العوض

هبه مصطفي

إسم الــكتاب : العوض
إسم الكــاتــب : هبه مصطفي
تصميم الغلاف : عمرو علاء الشافعي
تدقيق لــغــوي : كارم أحمد
رقــم إيـــداع : ٢٠٢٠/٦٧٣٤
ترقيم دولـــي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٩٤-٧٩-٤

شارك سطورك مع العالم

العوض

هبه مصطفي

The Writer Operation
شارك سطورك مع العالم

إهداء إلى كل من دعمني وآمن بموهبتي:

مصطفى رفعت.
عفاف فرج.
محمد فرج.
مي رفعت.
آية محمد.

طرق الباب فأذن الطبيب بدخول الطارق، ففتح الباب ومر منه رجل في بداية العقد الثالث ووقف أمام المكتب، طلب الطبيب منه الجلوس فظهر شبح ابتسامة على وجهه.

- مش مطول عشان أقعد، أنا ماشي على طول أنا بس جاي اديك دا.

أخرج الرجل كتابًا بعنوان «دكتور نفسي» وتركه على المكتب، فنظر إليه الطبيب بتعجب

- إيه دا؟!

- قصتي.. الحكاية اللي خلتني أجي لك جوة الكتاب دا، هتقول لي ليه أقرأه ما ممكن تحكي؛ هرد عليك ببساطة لأني مستحيل أقدر أحكي بالصدق اللي حكيته هنا، مستحيل أقدر أقول كل حاجة زي ما كتبتها.

التفَّ الرجل وتحرك تجاه الباب ليخرج، ولكنه التفَّ قبل خروجه ونظر إلى الطبيب وقال:

- أنا عارف إنك ممكن بنسبة كبيرة ما تقرأش الكتاب دا ولا حتى تفتحه، بس لو فتحته هيعجبك أوي، لأنك هتلاقي فيه حياتك اللي أنت نسيتها أو اللي بتحاول تنساها عشان ما توريهاش لحد.. آه أصل الكتاب دا مش قصتي لوحدي.

تعرف يا دكتور بداية الكتاب دا سبب معناتك، أمر نهايته سبب معناتها هي.

دكتور نفسي

« نصيحه واحده عيش مع كل قصه وكأنها الوحيده»

أنا دكتور سامي «دكتور مجانين» بكتب خبرة ١٠ سنين في مجال الطب النفسي بعد لما ولأول مرة أحس إنه فعلًا شرف كبير إني أبقى دكتور، اللقب اللي أمي لحد دلوقتِ مش معترفة بيه أصل إزاي أنا دكتور ولا معايا سماعة ولا خط إيدي يشبه خط الدكاترة، أما خالتي فبتقول إن الشيخ رجب مفيد أكتر مني، لأنه بيطلع الجن من أي واحدة وبيعرف يشفي المفاصل، دا حتى الأيام دي شغال على تركيبة حجاب جديد إنما إيه هيقضي نهائي على مرض السكر، طبعًا لو قعدت أقنعها إن دي خرافات وإن اللي أنا درسته علم هتقول عليَّ ملبوس، أو هتقول لي جملتها المعتادة «يا بني هو فيه مجانين معاهم فلوس يتعالجوا، دا الناس بتتجنن من قلة الفلوس.. ولو هيتعالجوا ما يروحوا العباسية أسهل وأرخص».

لأننا في مصر.. مفيش حد عارف قيمة المرض النفسي، مع إننا كلنا مرضى نفسيين، بدرجات متفاوتة طبعًا، وتلاقي واحد يقول لك أنا عايز أروح لدكتور نفسي، ٩٩٪ هيترد عليه كدا «أنت تافه أوي» «وده من إيه دا هو أنت فيك حاجة» «والله أنت فاضي ومش لاقي حاجة تعملها «.

لا هو مش تافه.. آه هو فيه حاجة حتى لو مش كبيرة، بس هو فيه حاجة مضايقاه ومحتاج يلاقي لها حل، وممكن يكون محتاج بس إنه يتكلم، يتكلم من غير شروط، من غير نصيحة، من غير موعظة، يتكلم من غير ما حد يعايره بالحاجة دي بعدين، ممكن يتكلم لمجرد إنه محتاج يحكي من غير ما حد يرد عليه، بس أهو يكون حكى اللي في قلبه وخلاص.

وفيه بيبقوا مرضى بجد، فيه بيبقى محتاج يتعالج بجد.. احنا بس لو عرفنا قيمة الطب النفسي هنكتشف إن كلنا محتاجين دكاترة نفسيين زي ما كلنا بنحتاج أكل ومياه.

مرة كنت بتقدم لبنت، والدها أول لما عرف إني دكتور نفسي قرر يطفشني بالذوق وفضل يسخر من شغلي بطريقة حقيقي تعصب؛ زي إنه قال «أنا بحس إن المرضى النفسيين «المجانين» كانوا زمان زيك كدا دكاترة نفسيين، بس من كتر تعاملهم مع المجانين فتجننوا» وزي إنه عرض عليَّ أقفل العيادة وأفتح محل بقالة أفيد، مشيت من عند الراجل دا بعد لما قلت له إني مستنيه في العيادة عندي عشان هو فعلًا محتاج لجلسة عند دكتور المجانين.. الراجل دا شايف إن كل المرضى مجانين، أنا مش هقعد أدافع عن المرضى بتوعي وأقول إن مش كلهم مجانين، أنا هسيب المرضى اللي يدافعوا عن نفسهم، هسيبهم يشاركونا برحلة من رحلات حياتهم.

بدأت تجربتي بعد ١٠ سنين في مجال الطب النفسي وهي: تسجيل للمرضى على مدار الفترة القادمة وتدوين تسجيلاتهم وقصصهم كما هي من دون تغيير أي منها، كي يرى والد تلك الفتاة التي كنت أنوي خطبتها ووالدتي وخالتي وكل من سخر من تخصصي أنه ليس كل من دخل مكتبي «مجنونًا» فهناك من هم أكثر مني عقلًا، وهناك من هم أجن من المجانين.

افتكرني

- يعني إيه.. طب إزاي؟!

- مراد أنت لازم تروح لدكتور.

- أنا مش مجنون مش مجنون.

- يعني أنت شايف إن عادي تصحى الصبح مش فاكرني.

- بس أنا فاكر كل حاجة بس أنتِ مين؟!

- يا حبيبي أنا مراتك.

- اتصلي لي بماما.. أنا فين موبايلي؟!

- مراد طنط هند ماتت.. يا حبيبي أنت فيك إيه بس.

«رن جرس الباب، ففتحت فدخل أحد الرجال بسرعة بالغة».

- مالك يا مراد.. حور كلمتني وقالت لي أجي بسرعة.

تحرك مراد اتجاهه مسرعًا وهو يتكلم قائلًا:

- عمرو.. عمرو أنت أهو.. مين دي.

- نعم!! أنتم جايبني على ملى وشي عشان تهزروا أنتم الاتنين؟!

- عمرو.. ابن خالتك مش فاكرني!

- يعني أنا دابب خناقة مع أمنية عشان أعرف أجي أشوف فيه إيه وأنتم بتلعبوا.. أنتِ بتستعبطي يا حور.

- عمرو ما تنجز مين دي؟!

- أهلًا أهلًا أحب أعرفكم.. دا مراد ودي حور مراتك.

صاح بهما مراد وهو يتكلم:

- مرات مين أنتم هتجنُّوني.

- يا حبيبي طب صلِّ على النبي طيب واهدا كدا يمكن تفتكر حاجة.

تكلم عمرو:

- أنا مش فاهم حاجة.

- أنا اللي مش فاهم حاجة.. يا بني أنا مش كنت معاك أنت وكريم وهيثم، وأمي اتصلت وقمت وسبتكم.

- مراد فيه إيه ماالك.. فيك إيه فهمني.. أمك ماتت يا مراد من ٦ شهور.

- بقول لك كانت بتكلمني امبارح.

- مراد احنا في شهر إيه.

- شهر ٢.

- صح احنا شهر ٢ سنة ٢٠٢١.

- أنت مجنون ولا هو أنا ولا...

لم يكمل كلامه فقد وقع على الأرض فاقدًا الوعي.. عاد إليه وعيه على صوت الطبيب وهو يقول:

- صحته كويسة جدًّا، يعني مفيش أي حاجة في دماغه الأشعة مبينة إنه تمام جدًّا، وعلى حسب ما عرفت منكم أعتقد إنها بسبب انفعالية حادة زي الأخبار السيئة أو الصراع الداخلي.

- طب لييه أنا اللي نسيني، دا أنا مراته.

أجابها الطبيب قائلًا:

- أعتقد إنه في الحالة اللي بتحكي عنها دي بيكون التأثير نفسي أكتر من عضوي.. ياريت يتعرض على دكتور نفسي متخصص هيكون أحسن له.

خرج عمرو عن صمته وتكلم قائلًا:

- طيب يا دكتور ما تعرفش حد يكون كويس ويقدر يساعدنا بجد.

- في دكتور أسمع عنه شاطر أوي ممكن يقدر يساعده.. هكتب لك عنوانه.

***

- دا بالظبط اللي حصل امبارح.

- تمام يعني اللي حصل إنك صحيت من النوم امبارح لقيت مراتك جنبك وأنت مش عارفها.

- ما تقولش مراتي.

- تمام الست اللي جت معاك.

- أنا مش فاكر أنا نمت إزاي امبارح، بس أنا متأكد إني ما اتجوزتش، يعني أنا صحيت الصبح لقيت نفسي في أوضتي وعلى سريري وعادي جدًّا، وأنا بتقلب لقيت واحدة جنبي.. اتفزعت وقمت صحيتها، وكل ما أسألها أنتِ مين تقول لي مراتك.

- طيب ممكن تحكي لي آخر حاجة فاكرها.

- كنت مع عمرو صديقي الوحيد، وقابلنا كريم زميله في الشغل وكان معاه واحد صاحبه اسمه هيثم.. مش عارفهم أوي بس أنا شُفتهم كام مرة كدا وقعدنا عادي، كانوا بيتكلموا عن بنات ودا مش جوي أصلًا أنا مليش فيهم، فأول لما أمي اتصلت اتحججت وقُمت وسبتهم وركبت عربيتي، ودي آخر حاجة فاكرها، بعدين صحيت النهارده وعلى كلامهم كدا عدى سنة، والسنة دي أنا ما أعرفش فيها أي حاجة؛ لا أنا فاكر البنت دي ولا أعرف إنها مراتي ولا أي حاجة، حاسس زي ما يكون أنا نمت وصحيت عادي.

- بس لو نمت وصحيت عادي دا هيخليك تبقى فاكر أنت نمت إمتى وإزاي، لكن أنت كنت في نص اليوم وفي الشارع والذاكرة عندك وقفت لحد كدا.. هو ممكن ندخل مدام حور؟!

دخلت حور كما طلب الطبيب جلست في هدوء تام حتى لم تنظر إلى الطبيب ولا إلى مراد.

- تقدري يا مدام حور تقولي لي أول مرة قابلتِ فيها أستاذ مراد.

- كنت بعدي الشارع وهو كان ماشي عكسي وخبطني بالعربية بس خبطة بسيطة، ونزل بسرعة يطمن عليَّ وقومني عشان يوديني المستشفى.

انفعل مراد وتكلم مقاطعًا كلامها:

- مستحيل.. أنا أكيد مش هلبس نفسي مصيبة أنا لو كنت خبطتك كنت مشيت وسبتك.

- بس أنت نزلت لي وأخدت رقمي لما أنا أصريت إني مش عايزة أروح المستشفى ولا عايزة آخد فلوس، وأنت أخدت عنوان البيت عشان تجيب لي دكتور.

- مستحيل أنا ما أعملهاش.

- بس أنت عملت المستحيل عشاني.. أنت مراد اللي ما لكش في الستات، بس عشاني بقى ليك أنت مراد الابن المثالي اللي عشاني بقيت الابن المتمرد، أنت مراد اللي بتقدس النوم والقراءة بس كنت بتسيبهم عشان تقعد معايا.

- كملي بعد لما جبت لك الدكتور عملتِ إيه.

- أنت بعت الدكتور بس ما جتش معاه، عشان كدا أنا ما دخَّلتش الدكتور لأني قاعدة لوحدي، وكمان أنا كنت كويسة مفيش غير رجلي اللي اتجزعت، بعدين اتصلت بيك أشكرك وخلاص كدا، قعدنا شهر وكام يوم مش بنتكلم لحد ما اشتغلت عندك في الشركة وشفتني بالصدفة، حتى أنا ما كنتش أعرف إنك شغال في الشركة دي، طلبتني في مكتبك كنت أول مرة أعرف إنك صاحب الشركة دخلت لك سلمت عليَّ، ومن هنا بدأنا نقرب، حتى إنك بقيت توصلني البيت كل يوم.

- يعني أنتِ اتجوزتيني عشان أنا صاحب الشركة.

امتلأت عيناها بالدموع وهي تتكلم قائلة:

- أنت زودتها أوي يا مراد.

قالتها وهي تهم بالخروج، وهي تسمح لعيونها أن تنزل تلك الدموع.

- طيب أنت حاسس بإيه تجاهها.

- مش حاسس بحاجة يعني، طبيعي إنها حتى لو راحت ذكرياتي معاها يفضل حبي ليها أو على الأقل أحس بأي حاجة تجاهها.

- طيب مش ممكن تكونوا متخانقين مثلًا.

- يعني دا طبيعي يعني أنت لما بتتخانق مع مراتك بتصحى مش فاكرها.. أنا أعرف إن الناس ممكن تنسى لما يحصل حادثة أو أي حاجة.

- الحادثة مش بتكون السبب؛ السبب في فقدان جزء من الذاكرة هو عدم رغبة الشخص في تذكرها، فبيجبر عقله الباطن إنه ينساها.

- يعني أنا لو عايز أجبر نفسي إني أنساها يبقى أنا مش بحبها، وهي بتقول إني كنت بحبها.

- دي حاجة هي بس اللي تقدر تجاوبك عليها.. تمام، أنا هكتب لك على شوية فيتامينات ومنشطات للذاكرة، وأشوفك الأسبوع اللي جاي في نفس المعاد.

- طيب إيه اللي المفروض أعمله يساعدني أفتكر أي حاجة.

- مدام حور هي حل اللغز، لازم تقضي معاها أكتر وقت ممكن، وياريت تعملوا الحاجات اللي كنتم بتعملوها وتزوروا الأماكن اللي زورتوها على الأقل، يمكن تفتكر أي حاجة مع تكرار الموقف.

خرج مراد ليجد عمرو وحده سأل على حور ليخبره صديقه:

- ما أعرفش حصل إيه، بس خرجت عمالة تعيط وراحت ماشية.

ظهرت علامات الغضب على وجهه وتكلم وهو يتحرك إلى الأسفل.

- وهي إزاي تمشي من غير إذني.

استقل سيارته وبجانبه عمرو ليذهب إلى البيت.. سأل عنها لكنها لم تصل بعد، حاول الاتصال بها عدة مرات لكنها كالشبح قد اختفت، حتى أجابته بعد محاولات كثيرة من الاتصال بها لتجيبه وتخبره أنها ببيتها القديم وأن لا نية لها في الرجوع له، في حين أنه يعتقد أنها تسعى إليه من أجل أمواله.. خرج من بيته ومعه صديقه ليخبره طريق بيتها.. وصل إلى حي شعبي بأحد مناطق الحلمية وأوقف سيارته ونزل منها، وسأل عن رقم الطابق والشقة.. فصعد إليها للطابق الثالث وطرق بابها، فقد كانت شقة واحدة في كل طابق.. فتحت له وعيناها متهالكة من كثرة البكاء الذي لم يلاحظه هو، فقد كان غضبه يعميه عن كل شيء.. جذبها من شعرها وهو يحدثها بغضب:

- أنتِ إزاي تروحي في حتة من غير إذني أنتِ اتجننتِ.. لو كنتِ تعرفيني صح زي ما أنتِ قعدتِ تقولي قدام الدكتور عشان تبيني إني مجنون ما كنتيش رحتِ في حتة من غير إذني.

قالت وعلامات الدهشة تملأ وجهها:

- يا مراد فيك إيه.. أنت بتعاملني كدا ليه؟!

جذبها من يدها وأخرجها من باب الشقة ونزل بها ليجعلها تركب سيارته، وعمرو يقف مندهشًا مما يفعله صديقه.

- طب استنى خدني معاك عربيتي سبتها هناك.

- اطلب أوبر.

قالت حور وهي تدخل السيارة:

- أنت حقيقي اتجننت.

ظلت حور تراقب الطريق بعينيها الممتلئة بالدموع، فكيف ينقلب كل شيء رأسًا على عقب في ليلة.. أت لك هي فواجع القدر كما يسمونها.. أوقف السيارة أمام البيت وخرج من السيارة وأخرجها ليدخلا البيت.

- أنا طول الطريق ساكت ومحترم إننا في الشارع واحترمتك على الآخر، بس هنا ما حدش هينجدك من إيدي، أنا عايز أعرف كل اللي حصل بينا وبالتفاصيل.

صوت شهقاتها المتتالية يرتفع:

صاح بها مراد قائلًا:

- كفاية زفت عياط وردي عليَّ.. قلت لك مش عايز أسمع صوت عياط.

وضعت يدها التي ترتجف على فمها لتهدئ الصوت، فهي غير قادرة على أن تهدِّئ من روعها.

ذاب الجليد الذي يعتلي وجهه، ونظر إليها بشفقة قائلًا:

- طيب أنا هديت وأنا مش هزعق ممكن كفاية عياط.

ذهب ليجلب لها الماء لتهدأ قليلًا، بعد شرب الماء البارد قالت:

- ما أعرفش إزاي بس أنت حبتني، أجمل حاجة في قصتنا إننا حبينا من غير ما نحس، يعني ما حدش فينا كان عامل حسابه إنه هيحب التاني، وما عرفناش إننا بنحب بعض إلا لما أنت خطبت واحدة والدتك اختارتها لك

- جودي بنت صاحبة ماما صح؟!

- أيوه عشان والدتك كانت عايزاك تخطبها، ويوم خطوبتك أنا جيت وأنت بتلبس الشبكة، كنت باصص لي وأنا كنت عمالة أعيط لأني في الوقت دا بس حسيت إني بحبك وما أقدرش أعيش من غيرك، ومستحيل أستحمل إنك تكون مع واحدة غيري، وكنت مقررة إني همشي وأسيب الشغل.. خرجت من القاعة عشان أمشي لأني ما كنتش قادرة أستحمل إني أشوفك مع غيري، وكمان ما كنتش عايزة حد يلاحظ إني بعيط، بس وأنا واقفة برة وفي الوقت اللي الكل مشغول بيك أنت وعروستك، أنت با لك كان مشغول عليَّ لأنك دايمًا كنت بتقول لي ما بحبش أشوفك بتعيطي.. خرجت ورايا وجت لي، أنا فاكرة كويس فرحتي لما شُفتك جيت ورايا، وفاكرة دقات قلبي وهو هينط من مكانه، وفاكرة جملتك اللي اتحفرت في قلبي قبل ودني:

« في حد ضحكته تبقى حلوة كدا ويعيط، وحياتي عندك ما عايز أشوفك بتعيطي تاني».

ساعتها من غير تفكير حضنتك وفضلنا كدا كتير أوي مع إننا ما حسناش بالوقت، واللي قفشنا كان عمرو اللي شافنا واحنا بنحضن بعض، وقعد كتير يقول لك إن ما ينفعش وإنك هتتجوز قريب، بس أنت بوظت الجوازة كلها عشاني.. وفضلت حكايتنا في السر فترة يعني أجي لك المكتب في الدِّرا، نتقابل بعد الشغل، شوية توصلني حاجات كدا.

- سكتِّ ليه كملي.. قلنا إزاي إننا مرتبطين، ولا اتجوزنا كمان في السر ولا إيه؟!

- مش قادرة أصدق إني بحكي لك أجمل لحظات عشناها سوا.

- انجزي يا حور.

- والدتك من كتر ما كانت بتشوفنا سوا يعني أنت كنت بتدخلني في كل حاجة تخصك، مع إني مليش في شغلك، بس أنت كنت بتدخلني في أي حاجة هتخليني قريبة منك، ووالدتك كانت بتشوفني معاك أكتر من السكرتيرة بتاعتك، فعشان يعني ما يبقاش في مشكلة بتاعت البنت الفقيرة والأمير الغني والأم

الشريرة قررت تشوف لي عريس، يعني أهو تخلص مني وفي نفس الوقت تكسب ثواب البنت اليتيمة، وعشان أنا ما عنديش حد ممكن يقابل العريس دا وبحكم إنه جاي تبع والدتك فكنت أنت ووالدتك حاضرين القعدة، العريس كان الطباخ بتاعكم، كان كويس ماديًّا، يعني كان مرتبه كويس، ومهنيًّا كان شغال شغل ثابت عندكم واجتماعيًّا، بس أخلاقيًّا لا، لأنه حاول يقرب لي بطريقة مش حلوة.. وأنا بالعافية كنت مثبتاك عشان نعدي القعدة دي على خير وأنا أرفضه لأي سبب، بس عشان والدتك ما تشكش في حاجة، بس أنت لما بتغير ما بتشوفش قدامك، ولما شفته بيقرب لي رحت قمت ضربته وطردته، ولما والدتك قالت مش مشكلة هشوف لك عريس غيره، رحت أنت قايل لها إنك بتحبني وأنا مش هتجوز غيرك، واديني فعلًا معاك.

- مش شايفة إنها غريبة إني أحب حد الحب دا كله وفي الآخر أصحى مش فاكره.

- أنا اللي المفروض أزعل؛ أنا واحدة صحيت الصبح لقت جوزها وحبيبها اللي هو كل حاجة في حياتها بيزعق وبيقولها أنتِ مين.. طب أنا المفروض أعمل إيه، لا وجاي تمد إيدك عليَّ عشان رجعت بيتي، طيب أقعد معاك هنا بتاع إيه.. أنا دلوقتِ بالنسبة لك إيه.. هاا؟ حبيبتك، ولا مراتك، ولا البنت اللي شغالة عندك، ولا واحدة ما تعرفهاش أصلًا؟

نظر إليها فلم يستطع أن يجيبها، فتركها ودخل غرفته ليرمي نفسه على السرير بغضب.. أتت خلفه واقتربت منه لترفع رأسه وتضع يدها أسفلها ليرخي رأسه على يدها الصغيرة.

- أنا آسفة إني اتعصبت عليك، أنا عارفة إنه مش ذنبك وإن اللي بتعمله دا عشان مستغرب اللي بيحصل، بس أنا كمان زيك مستغربة.. مراد أنا هفضل طول عمري أحبك ومش هسيبك إلا لما تفتكر.. أنا حور اللي حلفت لها إنك لو ما اتجوزتهاش هترمي على وشها مية نار عشان ما حدش يبص لها غيرك.. عنيف أوي بس برضة بحبك، وعمري ما هيكون في راجل يملا عيني غيرك.

كانت تحدثه بنبرة ضعف بصوتها، أما هو فكان يستمع لها وهو مسترخٍ على يدها.

- أنا محتاج أنام.. محتاج أحس بهدوء.. ممكن تسيبيني أنام على دراعك.

ظهر شبح ابتسامة على وجهها وهي تجيبه قائلة:

- كالعادة بعد يوم طويل من المشاكل تجي لي وتقول لي ممكن أنام على دراعك وتنام نوم عميق، وتصحى بعد ساعات تبوسني وتقول لي كانت أحلى نومة.

***

استيقظ من نومه ولم يجدها بجانبه، ظن أنه كان داخل حلم رغم أنه كان يشعر بوجودها حقًّا.. خرج من غرفته ليجد الإجابة أنه لم يكن يحلم، فوجودها شيء حقيقي.. إنه يقف ينظر إليها وهي تركع في خشوع، ظل يراقبها حتى انتهت بالتسليم.

- حرمًا

- جمعًا.. مع إنك ما بتركعهاش بس أهو بدعي لك ربنا يهديك.

- ما تفتحيش كلام في الموضوع دا عشان ما أتعصبش عليكِ.

- مراد حبيبي وجوزي ما بيتعصبش عليَّ مهما قلت ومهما عملت، إلا لو غار طبعًا.

- أنا دلوقتِ مش جوزك ولا حبيبك أنا واحد مش فاكرك أصلًا، عشان كدا ممكن أتعصب عليكِ عادي.

- مش جعان.

- جعان أوي بس مليش نفس للأكل.

- طب ادخل ريح وأنا هحضر لك العشا.

- لا ما بحبش حد يمد إيده في أكلي.

- عارفة بس أنا مش أي حد، أنا الوحيدة اللي تقدر تاكل من إيدها أي حاجة.

دخلت لتحضر الطعام – ارتدت غطاء الشعر وقفازات اليد - ظلت بما يعادل نصف ساعة وهو ينتظرها ليجدها تخرج ومعها أطباق ترتبها على المائدة بطريقته المفضلة.. نظر إليها متعجبًا وقال:

أنتِ مش عاملة إلا بيض.

- بيض بالجبنة الرومي، وبيض باللانشون، وبيض بالبصل، وبيض بالطماطم الحراقة، وده بقى البيض بالخلطة بتاعتي اللي أنت بتحبه أكتر مني.

- أنا بحب البيض بس مش لدرجة إنك تعملي لي كل دا.

- لما كنت بتبقى زهقان من الأكل كله ما بتاكلش إلا بيض، عشان كدا أنا كنت بقعد أخترع أي حاجة وأحطها على البيض.

- هو احنا متجوزين بقالنا قد إيه.

- شهرين، اتجوزنا يوم ١٢/٣٠.

- بس شهرين مش كفاية عشان تبقى عارفاني أوي كدا.

أجابته وهي مبتسمة:

- اللي بيحب بجد بيركز في تفاصيل اللي بيحبه عشان يعرف يسعده، وما تنساش إني معاك من سنة والسنة دي محفورة في قلبي لأنها أجمل سنة عدت عليَّ.

- أنا عايز أعرف هو أنا بعام لك إزاي.. أنا ما بحبش الستات وما بحبش إني أتعامل معاهم وبالتالي بعاملهم وحش جدًّا، مستحيل تكون في ست في الدنيا دي حبّتني زي ما أنا كدا.

أنا مش زي أي حد، مش أنت كنت دايمًا بتقول لي كدا.. أنا عارفة إنك عصبي، بس لو أنا ما استحملتكش مين هيستحملك؟ وعلى فكرة أنا عمري ما هنت عليك بعد كل مرة بتزعق لي فيها، كنت بتيجي تطيب خاطري وتراضيني.

- أنتِ طيبة أوي.

***

- قلت لها إنها طيبة وهي فعلًا طيبة أوي، تحسها جاية من مكان مختلف دي أكيد مش عايشة في الدنيا.. مختلفة حتى في هدوئها وحبها ليَّ اللي ظاهر بيخلوني أقف قدامها مش عارف أعمل حاجة ببقى في قمة الغضب وأول لما بتعيط بهدا وبقعد أراضيها.. أنا حاسس إني معرفهاش بس الأسبوع اللي قضيته معاها بجد كان أسبوع مميز جدًّا، كنت حاسس إني مش محتاج أشرح حاجة مش محتاج أقول لها أنا حاسس بإيه، مش مضطر أتصنع قدامها أي حاجة ببقى قدامها على طبيعتي جدًّا.. بس أنا في الطبيعي بجد ما بحبش صنف الستات يعني بعتبرهم كدابين من وأنا صغير كدا، بس هي مش كدابة مش بتمثل مش بتتصنع هي طبيعية أوي، حتى جمالها من غير ميكاب ولا لاينسز، ولا بتعمل شعرها بس حتة قمر.

- اللي يشوفك وأنت بتتكلم عنها الأسبوع دا ما يشوفكش الجلسة اللي فاتت.

- قلت لك الأسبوع اللي قضيته معاها كان بجد مميز، يمكن الأسبوع دا خلاني أفهم أنا ليه حبيتها قبل كدا، أنا ليه اتغيرت عشانها، الأسبوع اللي عدا دا خلاني أحس إن فيه أمل في حياتي، يعني أنا لو قارنت بين الأسبوع اللي كنت معاها فيه وحياتي كلها هختار الأسبوع دا.. مع إنه ما حصلش فيه حاجة يعني، احنا ما نزلناش في حتة وما خرجناش غير روحنا مرة لبابا، غير كدا كنا مقضيينها في البيت يعني حكاوي عن حياتنا قبل الجواز وعن رفض ماما لحور، وعن تعبي بعد موت ماما وعن العوض اللي ربنا بعته لي اللي هو جوازي من حور.. أنا حقيقي شخص بعيد عن ربنا وإيماني ضعيف جدًّا، بس دايمًا حور بتحاول معايا في الموضوع دا.. وفرجتنا على الأفلام القديمة.. أنا ما بحبش أتفرج على التليفزيون بس بحب أوي أجيب الأفلام القديمة وأقعد أتفرج عليها وأعيد وأزيد فيها فبحملها على فلاشات، لكن حتى الدش مش بفتحه.. هي كانت بتقعد معايا تتفرج وألاقيها فضلت تتسحب لحد لما تيجي في حضني، أضحك وأنا باصص الناحية التانية عشان ما تخدش بالها، بس السوسة عارفة إني بحبها تيجي في حضني.

- طيب مع كل الذكريات الجديدة دي ما جاش في خيالك أي حاجة يعني أي حاجة حصلت قبل كدا.

- خالص.

- طيب وصوركم سوا مش بتفكرك بحاجة؟!

- أنا ما بحبش أتصور نهائي، فأكيد مش هتصور حتى معاها.

- طيب لما رحت شغ لك مفيش حاجة حسيت بيها؟!

- حور مش راضية تخليني أروح الشغل، وكل حتة بروحها بتبقى معايا بحجة إنها خايفة عليَّ وإن دا حقها بما إنها مراتي.

- طيب ليه ما تروحش معاك الشغل.

- مش فاهم ليه، بس على حسب ما عرفت منها ومن بابا إني كنت رافض إني أعلن جوازي بيها، يعني ما حدش كان يعرف غير أهلي والناس القريبة مني، اللي هي عمرو وبس، غير كدا لا.

- طيب بما إنك لما قعدت معاها الأسبوع دا كنت فرحان جدًّا، إيه اللي ممكن يخليك تجبر نفسك على إنك تنساها، يعني دا مش هيحصل إلا لو كنتم سبتوا بعض أو في صدمة كبيرة اتعرضت لها أو مشكلة كبيرة.

- دي أكتر حاجة كانت محيراني لأني لما سألتها عينيها دمعت، ولما حاولت أعرف ليه عينيها دمعت قالت إن في حاجة دخلت في عينيها وإننا مفيش أي مشكلة بينا وإن حبنا لبعض أكبر من أي مشكلة ممكن تواجهنا.

- دلوقتِ حاسس بإيه.

- إني عايز أخرج عشان أشوفها.

- طيب لما بتبقى جنبك إيه أول حاجة بتفكر فيها؟!

- هو إزاي حياتي المملة بقت مبهجة كدا وكل دا في أسبوع.

- عندك استعداد تفضل ناسي كل حاجة بس تفضل معاها.

- هفضل حاسس بالذنب تجاهها، يعني أنا ما ينفعش إني أفضل مش فاكرها ولا فاكر ذكرياتي معاها، الذكريات اللي هي بتعتبرها مقدسة فعلًا.

***

- هتروح له إمتى تاني؟

- كمان أسبوعين.

حلو حلو.. هنروح على فين دلوقتِ.

- الشغل.

- مراد احنا اتفقنا.

- مش يمكن أفتكر حاجة هناك.

- لا مش هتفتكر أنا متأكدة.

- إيه الثقة دي.

- هات المفتاح أنا اللي هسوق.

- لا أنا اللي هسوق.

نظرت إليهما إحدى الفتيات المارات بالطريق وتكلمت:

- مستر مراد إزيك؟!

أجابها مراد على حين ظهرت علامات الاضطراب على وجه حور.

- أهلًا يا علا.

- حضرتك مش بتجي الشركة خالص ليه.. إيه دا حور.. أنتِ قلعتِ الحجاب إمتى.

- ظروف.

- وأنا برضه بقول اختفيتِ فجأة يا حور.. يلا مبسوطة إني شُفتكم.

***

انفجرت حور باكية بمجرد دخولهما البيت، اندهش مراد فقد بدأت تبكي دون سبب.

- طب أنتِ بتعيطي ليه دلوقتِ؟!

- عشان علا لسانها طويل ومش هتسكت وهتفضحنا.

- وفيها إيه يا حور احنا متجوزين.

- لا لا برضه ما ينفعش حد يعرف.

- فيه إيه أنتِ خايفة من إيه؟!

- أنا مش خايفة، أنا بس مش عايزة حد يعرف.

- لا أنتِ خايفة باين أوي.

- أنا داخلة أنام.

- وأنا نازل لعمرو.

- طب أوصلك.

- مش كنتِ داخلة تنامي.

دخلت حور الغرفة، وخرج هو من المنزل واستقل سيارته، لكن شعور الندم لازمه، كان يجب أن يضمها ويشعرها بالقليل من الأمان.. خرج من السيارة وتقدم ليفتح باب البيت ليدخل ليعتذر منها، بحث عنها في هدوء فشعر بهمس يأتي من غرفتهما، فأيقن أنها بالداخل ما زالت تبكي، حين تقدم سمع صوتها يأتي من الداخل:

- أهم حاجة يا عمرو لما يجي لك تبين له قد إيه هو بيحبني، وقد إيه أنت كنت رافض علاقتنا بس هو متمسك بيها، هتعرف تسبكها عليه ولا إيه؟

ابتسم بعدم فهم، فما معنى هذا؟! أتكذب عليه؟! لكنها بدت صادقة، كانت تبدو وكأنها شخص لم يكذب في حياته، قد شعر بحبها له بعينيها قبل لسانها، ماذا عن نظراتها أكانت كاذبة؟ ماذا عن حضنها الدافئ الهادئ، أكانت باردة؟ لكنه لم يشعر ببرودة، أكانت تتصنع كل هذا؟!

جلس على أقرب مقعد لأن اتزانه اختل؛ فصدمته بصديق عمره أقوى من صدمته بها التي لم يتحملها.. عمرو ابن الخالة ورفيق الدرب، كان عمرو صديق العمر.

- إيه دا.. أنت رجعت؟!

- كنتِ بتكلمي مين؟!

- أنا؟!

- في غيرك هسأله؟!

- ما كنتش بكلم حد.

قالتها وهي تلتف لتدخل غرفتها، لكنه جذبها من شعرها ليوقفها وهو يقول:

- كنتِ بتكلمي مين؟!

اعتلت علامات الدهشة وجهها وهي تصيح:

- مالك يا مراد إيه إيه يا حبيبي !!

مش عايز أسمع الكلمة دي من بقك تاني، أنتِ واحدة سافلة وزبالة.. دا حتى الزبالة كدا بظلمها.

- مراد والله أنت فاهم حاجة غلط أكيد...

لم تكمل كلامها، فقد تلقت صفعة، وهذا ما جعل دموعها تخرج.

- أنتم بتحوَّروا عليَّ في إيه تاني.. أنا مش فاقد الذاكرة صح؟!

- أنت مجنون.. يا مراد أنت إنسان مجنووون.

ضحك عليها ساخرًا وهو يقول:

- وبابا بقى معاكم ولا إيه.. طب يا ترى ماما ماتت فعلًا ولا إيه.. أقول لك حاجة أنتِ أكيد ما تعرفيهاش لأنك ما تعرفنيش أصلًا، وحتى ما حدش يعرفها، حتى عمرو ما يعرفهاش عشان يقولها لك.. أنا بحب أؤلف فسبيني أخمن، أنا آخر حاجة فاكرها إني كنت مع عمرو وكان عايزنا نروح نسهر ونسكر، بس لما رفضت أكيد دور على البديل إنه يحط لي أي حاجة تخليني غير واعي لحد تاني يوم اللي هصحى فيه ألقى مراتي اللي أنا ناسيها جنبي، ولأني لا بفتح جرنال ولا تليفزيون ومش بركز احنا في يوم إيه والهبل دا، فمش هبص على التاريخ نهائي، ولو بصيت فتاريخ الموبيل متغير، والصور أنا ما بتصورش معروفة وعلى الناس فهتقولوا لي إني كنت مخبي على الناس عشان أبات أنا الوحش وأنتِ الضعيفة المظلومة اللي بتتمسكن عشان تتمكن، اللي بتعرف تمثل لدرجة إنها تمثل عليَّ إنها بجد بتحبني، لا وأنا أصدق وأحبها تخيلي بقى، عشان كدا كنتِ خايفة لما علا شافتنا سوا، وعشان كدا كنتِ رافضة نهائي إني أروح الشغل لأشوف ورقة ولَّا أعرف تاريخ ولا يحصل حاجة تخليني أعرف حقيقتك، بس شوفي أنا عرفت كل دا لوحدي يا زبالة يا شحاتة يا اللي كنتِ فاكرة إنك هتقدري تسحبي مني شوية فلوس.

تكلمت حور وهي تصفق له:

- حلوو شاطر يا مراد يا ذكي، أنت إزاي ذكي كدا؟!

- ما تحاوليش تمثلي تاني عشان حاسس إني هرجع من كتر القرف.

- ماشي أنا واحدة من الشارع وزبالة.. انساني انساني، ولا أنت أصلًا ناسيني انسَ بقى اليومين اللي فاتوا دول وسبني أمشي.

- عارفة أنا لو ما كنتش حبيتك كنت لبستك قضية تقضي بيها باقي عمرك، اتفضلي امشي.

- شكرًا.. هدخل ألم حاجتي وأمشي.

- لا هتمشي كدا زي ما أنتِ كدا.

- طب أغير على الأقل.

- لا زي ما أنتِ كدا.

- أنت مجنون يا مراد همشي بالبجامة

- برااا يا زبالة

***

- يعني طلعت بتكدب عليك؟!

- أو بتخبي حاجة.

- الاتنين نفس المعنى.

- استنى يا دكتور لما أكمل لك هتفهم.. قفلت تليفوني ودخلت في حالة العزلة.. أي حد يعرفني هيعرف إن الحالة دي أنا بدخل فيها بعد ضغط كبير من الشغل أو بعد موقف صعب أتجاوزه.. لحد لما أبويا جالي لأنه مش عارف يوصل لي أبويا مريض وصعب يتحرك، بس لما جالي رفضت أدخله، كنت فاكر إنه معاهم يعني ليه يقول لي إنها مراتي.. بابا فضل واقف لحد لما اتصل بعمرو وجاله بعد صراع كبير جوايا قررت أدخلهم.

***

تكلم والده:

- ممكن أفهم اللي حصل معناه إيه؟!

- مالك يا مراد؟ وكنت قافل موبي لك ليه؟ ولما جت لك قعدت أخبط ما فتحتش؟

- لا ونبيِ يا عمرو.. يعني حور ما كلمتكش وعرفتك إنكم كلكم اتقفشتوا.. وأنت بقى يا بابا معاهم ولا إيه؟ أصلًا اللي يخليك تتحرك من مكانك وتيجي لحد عندي؟ أكيد مش خوفك عليَّ، لكن ممكن خوفك على الفلوس.

تكلم والده والدهشة تملأ وجهه:

- إيه اللي أنت بتقوله دا؟!

- طب أنت مصلحتك إيه؟ فلوس.. أنت مش ناقصك أي حاجة.

- أنا فعلًا مش ناقصني أي حاجة، بس النهارده اكتشفت إني ناقصني صاحب.

- أنت اللي خسرتني يا عمرو.

- هو أنت بجد فاهم إن في علاقة بيني وبين حور.. يا بني دي عمرها ما حبت غيرك وكأنك الراجل الوحيد على الكوكب.

- لا لا أنت ذوقك مش واطي كدا عشان تبص لحور.

ابتسم والده ابتسامة ساخرة وهو يقول:

- وطو!! حور دلوقتِ بقت واطية.. الله يرحمك يا هند.

- بااس.. أهو أنا عايز أشوف ماما.

- موِّت نفسك عشان تروح لها أهو على الأقل نخلص منك ومن غباءك.

- أنت لسه بتكدب وبتقول إنها ماتت، يعني هي لحقت تموت في يوم.. أنا عرفت كل حاجة.. أنا مش فاقد الذاكرة، دي لعبة أنتم لعبتوها عليَّ عشان تاخدوا فلوسي.

تلقى مراد صفعة من والده، وهذا ما جعل الصمت سيد المكان.. حتى تكلم والده بنبرة صارمة:

- أنا لما حور قالت لي أنا قلت بتبالغ أكيد، لكن عمري ما تخيلت إنك توصل بيك الحقارة لهنا.. فاكر يوم ما جت لي تسألني إيه اللي ممكن يضغط عليَّ لدرجة إني أبقى عايز أنسى كل حاجة وقتها، كان نفسي أقول لك عشان تعرف كل اللي أنت عملته في حياتك، لولا حور اللي فضلت تتحايل عليَّ.

- خلاص يا أونكل.. سيبه سيبه يخسر كل حاجة بغبائه اللي فاكره ذكاء.

- يلا يلا يا عمرو يا بني.

- استنى.. أنا عايز أعرف إيه اللي أنا عملته.

أخرج ناجي ورقة من جيبه ووضعها أعلى الطاولة، وغادر برفقة عمرو.. جلس مراد وبيده الورقة يريد أن يفتحها، لكن شيئًا ما بداخله لا يريد أن يعرف ماضيه، لعله يكون بذاك الغباء الذي وصفه به عمرو.. فتحها ليجدها ورقة أشعة تصويرية صغيرة (سونار).

***

- وإيه علاقة الورقة دي.

- الورقة دي هي ذاكرتي.. الورقة دي زي ما كانت السبب إني أفقد ذاكرتي، بقت السبب إني أفتكر.. حور كانت حامل.

- كانت؟!

- كانت راجعة من برة في يوم عادي، بس الفرق إنها كانت فرحانة فرحة ما تتوصفش، مش غريبة يعني حور شخص متفائل بطبعه، سهرنا اليوم دا واحنا بناكل جابت الأطباق كلها فيها أكل إلا طبق هي مغطياه، ولما سألتها قالت لي دا اللي هنحلي بيه، بعد الأكل شالت الأطباق واتبقى طبق التحلية اللي افتكرتها تورتة، ولما فتحته كانت ورقة زي اللي بابا ادهالي، فهمت وقتها إيه اللي هي عايزة تقوله.. حور حامل ودي أكتر حاجة أنا كنت خايف منها.

حور فرحتها كانت فرحة عيل صغير بفانوس رمضان وجت اترمت في حضني.. طول الوقت كنت خايف ليدخل حياتها حد غيري، عشان كدا أول حاجة تخيلتها إن الطفل دا مش ابني، ومن هنا فقدت أعصابي وقمت ضربتها كالعادة.. حاسس إن صوتها في ودني، صوتها وهي بتقولي «أنا آسفة والله أنا آسفة.. طب بلاش بطني.. يا مراد أنا حامل» ما فقتش إلا وحور مغمى عليها وعمالة تجيب دم من كل حتة، جريت بيها على المستشفى وأنا مرعوب، أنا على طول بضربها بس عمرها ما كانت للدرجة دي.

لما وصلت عرفت إن الطفل مات في بطنها وعمل لها نزيف داخلي، وإني لو ما كنتش جبتها على المستشفي كان بعد الشر ممكن تموت.. فاقت حور وأول حاجة سألت عليها الطفل.. صريخ حور وعياطها مشهد مش ممكن أنساه، دا كان تفكيري وقتها بس أنا نسيته ونسيت كل حاجة حتى حبي ليها بالرغم من قسوتي عليها.. وقت لما شفت الورقة تاني افتكرت أجزاء من الحاجة دي والأجزاء دي مش هتكمل من غير حور اللي نزلت زي المجنون عشان أروح لها.

***

- ادخل يا مراد.

دخل فأغلقت باب الشقة.. جلس على أقرب مقعد.

- مبدأيًا أنا آسف.

- على إيه؟!

- على إني شكيت فيكِ.

- لا أنا أقصد على إيه ولا إيه ولا إيه.. بتتأسف على إيه بالظبط؟!

- ممكن تسمعيني؟!

- أنا طول الوقت بسمعك.. أنا دخلتك هنا عشان أنت اللي تسمع.. عايزني أفكرك.. عايزني أحكي لك حكايتنا الحقيقية.. طول الفترة اللي فاتت كل اللي كنت بحكيه لك حياتنا الوهمية اللي في دماغي.. أول مرة خبطتني جبت لي الدكتور واشتغلت عندك قربنا من بعد ما مامتك حاولت تجيب لي عريس أنت طردته.. لحد هنا كل دي حقيقة في اليوم دا مامتك سألتك سؤال كل المسلسلات الأجنبي «الفلوس ولا

هي»، بس أنت حبيت تكسر القاعدة وقلت لها الفلوس، وقلت لي آسف مش هقدر أسيب حياتي دي.. كانت أول مرة تكسرني فيها، مشيت وأنا دموعي على خدي.

وافقت تتجوز البنت اللي أنت خطبتها وكنت معايا في السر عشان مامتك، وكنت أنا بلعب دور العشيقة اللي مش محترمة ومراتك هي الهانم المخدوعة، وكانت جوازتك هي تاني حاجة كسرتني بيها لحد لما والدتك ماتت.. سبت مراتك وجت لي، أنا مش هنكر إنك بتحبني عشان كدا كنت متمسك بيَّ لحد لما اتجوزنا، بس في السر عشان طليقتك ما تعرفش وتعرف إنك بتخونها وتزعل.. كنت خايف على مشاعر مين ساعتها مش فاهماك، ما أنت سبتها، ليه لسه خايف على مشاعرها؟ طب وأنا؟ أنا لا، ليه؟ ليه؟ بتحسسني إني حمارة وملهاش حق تحس.. كنت ساعات بحس إنك بتستعر مني، محسسني دايمًا إني أقل منك فكريًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا، مع إني أنا عادي مش من ذوي الاحتياجات الخاصة ولا أنا عندي جرب مثلًا..

اتكلمت مع البواب النهارده اَتضرب، نزلت واتأخرت ٥ دقايق اَتضرب، كلمتني وما ردتش عليك اَتضرب، كأني عروسة لعبة بس برغم كل دا كل يوم قبل لما تنام كنت بتيجي تصالحني وتاخدني في حضنك قبل لما تنام، وكان هو دا اللي أنا عايشة عليه، فترة في التانية بدأت أفقد الأمان اللي كنت حاسة بيه معاك، لدرجة إني بقيت بخاف منك.. لحد لما جه أمل حياتي كله نونو اللعبة الصغيرة اللي كانت هتخليني أسعد واحدة في الدنيا.. خدتها مني ليه، قُل لي بس أنا ابني عمر لك إيه؟ ما كانش نفسي في حاجة تانية، كل اللي كان نفسي فيه ابن منك عشان بحبك..

أنا ليه حبيتك؟ أنا جالي وقت اتمنيت إنك تكون لما خبطتني بالعربية موتني.. أنا حبيتك ليه؟ حبيتك عشان تكسرني وترجع تقول لي بحبك، ولا عشان تضربني ولا عشان تقتل ابني؟ الغباوة في كل دا إني كنت بنساه، بنسى كل حاجة عملتها بمجرد ما بتضحك لي، بنساه بمجرد ما تقول لي آسف، بنساه بمجرد ما بتحضني، لا وشوف كمان بقول إنها حنية حتى بعد لما قتلت ابني واتأسفت لي سامحتك، وبعد كل دا قدرت تنسى كل حاجة عملتها، قدرت تنام في حضني مرتاح ولا كأنك عملت حاجة، لا وشوف إزاي قدرت تخليني أحس بالذنب لدرجة إني أتمنى إنك ما تفتكرش حاجة عشان ما تحسش بالذنب على اللي عملته لابني.

كل يوم كنت بشوفك وأنت محتار وقلقان عشان الحاجة اللي نسيتها، كنت بحاول أبدل قلقك لفرحة أو على الأقل لهدوء واستقرارن لحد اليوم اللي شُفنا فيه علا.. اليوم اللي ما قدرتش أسيطر على خوفي لدرجة إنك لاحظت، بس أنت ما عرفتش إن خوفي دا كان منك، كنت خايفة لما تفتكر وتعرف إن في واحدة من الشركة شافتنا سوا تيجي تضربني، لأني كنت فاكرة نفسي حملت تاني، بس الحمد لله إنه لا، عشان لما فكرت فيها كدا إيه الذنب اللي ممكن يكون عمله أي طفل في الدنيا لدرجة إن عقابه تكون أنت أبوه..

لما كلمت عمرو كان عشان لما تحكي له يقعد يقول قد إيه أنت بتحبني، عشان تتلهي كام يوم في أي حوار لحد لما أقنعك إنك ما تتعالجش وإني موافقة بيك كدا، بالذات إن آخر فترة اتغير تعامل لك معايا نهائي، بس أنا مش قادرة أفهم أنت فهمت إيه عشان توصل بيك إنك تنزلني من بيتك بهدوم البيت، لحد هنا أنا حقيقي حبيتك أوي ولسه بحبك أوي أوي، بس أنا قررت إني هبطل أحبك عشان أنا اكتشفت إن حبي ليك بيخليني أكره نفسي، وأنا قررت أحب نفسي عشان أنا أستاهل، كان نفسي يبقى عندي أخ

ولا أب ولا أم أترمي في حضنهم في كل مرة كنت بتضربني فيها، بس أنا ما عنديش عشان كدا كنت برجع أترمي في حضنك.. هحكي لك موقف حصل معايا يوم ما نزلت بهدوم البيت، لما طردتني شُفتْ ست كبيرة أوي في الشارع، أول لما شافتني جريت عليَّ بالرغم من إنها كبيرة وحركتها صعبة، إلا أنها جت لي بسرعة تقول لي:

- مالك يا بنتي؟!

أول لما شفتها دموعي نزلت من غير سبب، ولقيتها خدتني في حضنها وقالت لي:

- ما تعيطيش يا هدى والنبي ما تعيطي يا بنتي أنت فاكرة إن ربنا هيسيبك، دا بيحبك يا عبيطة عشان كدا بيختبر صبرك.

خدتني عندها البيت، أول لما دخلت بيتها حسيته بيت بسيط هادي مريح، دخلت الأوضة وطلَّعت لي هدوم تعتبر مقاسي.. دخلت الحمام لبستها وخرجت، لقيتها قاعدة عمالة تعيط، جريت عليها افتكرت حصل لها حاجة، لقيتها ماسكة صورة وعمالة تكلمها:

- إيه يا حاجة مالك بس؟!

- لا يا بنتي أنتِ مش ناقصة.. قولي لي أنتِ مالك.

- أنا الحمد لله بجد شكرًا على الهدوم والله، أول لما أروح البيت هغيرهم وهجيبهم لك.

- لا يا بنتي مش عايزاهم، ما صاحبتهم خلاص مشيت.

- بنتك.

تكلمت والدموع تنهال على وجهها:

- هدى بنتي.

- هي مسافرة؟!

- ماتت.

- أنا آسفة والله.. الله يرحمها.

- ماتت يوم فرحها.. كنت هموت عشان هتسيبني وتتجوز، بس بعد الفرح فجأة لقيت عربيتها بتتقلب قدام عيني، نزلت أجري لقيت فستان بنتي الأبيض بقى أحمر، آه يا وجع قلبي آاه يا هدى.

- راحت عند الأحسن مني ومنك.

مش فاهمة إزاي أنا وافقت أروح عندها البيت ولا إني أدخل أغير عندها، بس يمكن ساعتها أنا ما كنتش باقية على حاجة ولا حتى على نفسي، ويمكن ارتحت لها من غير سبب.. بس أنا متأكدة إني ما غلطتش لما صدقت الست دي، هي ست غريبة وتعرفي عليها كان شيء غريب، عارف لما تحس إن ربنا اللي حطها قدامك.. مش هنسى حضنها اللي اترميت فيه وأنا بحكي لها حكايتي اللي كنت مترددة أوي إني أقولها لها، بس حقيقي أنا ما كنتش محتاجة غير إني ألاقي حد يحس بيَّ، حسيت بروح أمي الله يرحمها زي ما هي حستني هدى بنتها، الست دي كلامها كان زي الكرباك اللي نزل على قلبي عشان يفوقني، ربنا بعت لي الست دي في الوقت دا عشان تقويني وعشان أقدر أبعد عنك وعن أذاك، أنت يا اللي أكتر واحد حبيته.. أنا هبعد عنك وهعرفك إن اللي كانت معاك وبتستعر منها دي جزمتها أنضف منك.. إيه اتعصبت هتضربني.. اضربني أهي على الأقل هتبقى آخر مرة تمد إيدك عليَّ فيها.

***

- ضربتها؟!

- لا.. هي اللي ضربتني، كل كلمة قالتها كانت بتوجعني أضعاف ما أي ضربه ممكن توجع.. وقفت مش قادر أتكلم حسيت إني مهما اتكلمت واتأسفت مش هقدر أشفي وجعها اللي أنا السبب فيه.. أنا بحكي لك يا دكتور الكلام اللي هي قالته وأنا شايل منه كلام وبحكيه متلغبط هي لا، هي حكته بترتيب الأحداث وكأنها شايفاه قدمها.. أنا حكيته بلخبطة لأني مش قادر أسيطر على نفسي من ساعة ما سمعت الكلام، دا لكن هي كانت بتحكيه بكل ثقة وفي الآخر رمت جملة كسرتني «لو أنت حبتني بجد طلقني».

- أنا حبيتها وعمري ما حبيت غيرها ولا هحب عشان كدا طلقتها.. عارف يعني إيه أكتر واحدة حبتني تبقى تتمنى تبعد عني.

- هو أنت كنت بتضرب مراتك الأولى؟!

- لا ولا مرة.

- طب ليبه هي؟!

- عشان بغير عليها، عشان بحبها، لكن التانيه ما كانتش فارقة معايا.. أنا ما حبتش إلا حور.

- اللي بيحب ما بيأذيش.

- اللي بيحب هو بس اللي بيأذي.. وبعدين حور ما كانتش بتشتكي وما كانتش بتزعل، عشان كدا الموضوع ما كانش فارق معايا.. أنا بحبها أوي يا دكتور عشان كدا أنا مش هخليها تشوفني تاني، مش هظهر قدامها تاني، يمكن تعرف تنسى اللي عملته فيها وتعرف تعيش حياتها، بس كل لما توحشني هروح أبص عليها من بعيد.. تعرف آخر مرة رحت لها لقيتها لبست الحجاب تاني، الحجاب اللي أنا منعتها تلبسه كانت زي القمر وهي لابساه وواقفة في المحل اللي هي فتحته من فلوس المؤخر، تعرف المحل كان فيه زباين زي الرز، وكأن ربنا مبارك لها فيه على قد كل اللي استحملته، بجد هي تستاهل كل خير.

مش قادر أعتبر المريض دا مجنون، لأن المجنون مهما كان فهو إنسان، لكن دا مش إنسان.. مش كائن حي بيحس، مش عارف ممكن يكون إيه نوع الكائن اللي خرج من عندي دلوقتِ، بس كل اللي أعرفه إنه حاليًّا بيتعاقب على كل اللي عمله.

رحلة حياة الكائن دا خلصت، بس رحلة حور بدأت، بدأت من جديد، بدأت صح على قد ما استحملت، على قد ما نضجت وعرفت تمشي حياتها.. الحياة مش بس حب، أوقات بيكون الحب هو نهاية الحياة.

دا كان رأيي الأول بس بعد تفكير طويل في القصة دي حسيت إنه الغلط غلط حور، هي اللي غلطت الأول، هي اللي سمحت إنه يمد إيده عليها مرة واتنين وتلاتة لحد ما في مرة منهم فقدت الأمان، وفي مرة تانية فقدت ابنها.. أعتقد أنها لو كانت رفضت العيشة دي من الأول كان مراد غيَّر أسلوبه أو لو ما غيرهوش كانت على الأقل مش هتخرج من العلاقة دي بكل الألم اللي حصل لها دا، مش قادر أشوفها المظلومة لأن هي الظالمة.. هي اللي ظلمت نفسها.

نوروا النور

- اتفضلي.

- شكرًا.

- اسم حضرتك؟!

- كريمة.

- تحبي تبدأي منين؟!

- من الأول، من الأول خالص.. من لما رجعت من إنجلترا.. أنا كنت عايشة هناك بس بعد وفاة أبويا رجعت عشان جدي حسام.. تعرف حضرتك فيلم جدو حبيبي.. فيلم مصري مشهور أوقات بحس إن الكاتب يعرفني لدرجة إنه جاب نفس اللي حصل معايا.. هقول لحضرتك إزاي...

رجعت من إنجلترا على فيلا جدو، ومشاكل كتير بينا بسبب فرق الثقافه بس أنا شخصية صبورة، عشان كدا كان في بيننا تفاهم برغم من اختلافتنا، المهم إن جدو حسام أخوه عايش هو اللي لينا في الدنيا، يعني جدو ما كانش عنده غير بابا، إنما جدو أيمن أخو جدو حسام كان عنده ٣ بنات و٤ ولاد وكلهم مخلفين فعنده أحفاد كتير وواحد من أحفاده هيتخطب، وبما إننا من العيلة كنا معزومين.

وصلنا المكان هي عمارة جدو أيمن بناها وجمع فيها أولاده لكل واحد منهم شقة، وحاليًّا بيبني دور جديد عشان أول أحفاده هيتجوز.. ركبنا الأسانسير وطلعنا شقة جدو أيمن لكن هو كان في شقة محمد ابنه وابو العريس، يعني الشقة اللي في الدور اللي بعده.. فطلعناها على السلم وأنا طالعة كان فيه بنت جميله نازلة ودُست بالغلط على ديل فستانها ووقعت.

من غير تفاصيل كتير رجلها اتكسرت، وكانت دي أخت العروسة والخطوبة اتأجلت أسبوعيين، وجدو أيمن مسك في جدو حسام وقال له اقعد معايا كام يوم.. روَّحت البيت جبت هدوم ورجعت على شقة جدو أيمن، ولما دخلت كان في واحد قاعد متعصب أوي وبيتكلم مع جدو وحش، دخلت فيه شمال - وقتها ما كنتش أعرف يعني إيه الجملة دي - المهم إن هو عادل، وكأي قصة حب بتبدأ بخناق وتقلب لحب شديد وده اللي حصل، وحتى لما روَّحت أنا وجدو البيت كنت أنا وعادل بنتقابل كل يوم، عرفني على أصحابه وحبتهم أوي، وبقى كل يوم عندنا أو أنا عندهم، وكل دا تحت مسمى الصحاب.

حتى بعد الخطوبة كنا بنتكلم.. «نازلي» خطيبته كانت بتكرهني كره بس ولا كان بيفرق معايا، هو أصلًا مش بيحبها، هي جوازة مش بين اتنين لا بين شركتين.. شركة أهله وشركة أهلها.. كنت آه بغير منها أوي وكل لما كان ميعاد الفرح يقرب كل لما بكرهها أكتر، لحد اليوم اللي اعترف لي عادل إنه مش هيحب غيري.

وكنت متوقعة إنه هيسيبها، بس ما حصلش وفضلنا مع بعض، وهو عمال يقول لي اصبري اصبري في حاجات في الشغل لازم تتم الأول، طبعًا كل دا كان بخناقات معاه وبالذات إني غيورة أوي، بس هو كان بيصبرني بفكرة إن الشغل محتاجها بس الفترة دي، لحد لما لقيتهم في مرة قدموا ميعاد فرحهم.. كانت الصدمة ليَّ بكل معاني الكلمة.. قال لي اصبري بس أنا ما كنتش عايزة أصبر تاني عشان كدا سِبته

وهو اتجوز نازلي هانم.

وزي الفيلم جدو حسام مات.. كنت لوحدي في الدنيا دي.. مليش قرايب إلا جدو أيمن وأولاده وأحفاده اللي عادل منهم.. وكل دول ساكنين في عمارة واحدة، يعني عشان أروح هناك أكيد هشوف عادل، وما كانش عندي استعداد لدا، لأن المرة الوحيدة اللي رحت قابلت خطبته اللي بقت مراته وهي حامل، وبصت لي بصة ما أقدرش أنساها بصة انتصار.

كنت لوحدي مليش حد، وقت ما أتعب أو أفرح وقت لما يحصل لي أي حاجة مش هلاقي اللي يقف جنبي، أول قرار قررته إني أسيب البيت بتاع جدو وهقعد في شقة ماما، بس الشقة مقفولة من لما هند أختي رجعت لجوزها إنجلترا فقررت أقعد في شقة إيجار، وتاني قرار إني أشتغل.. حاولت أفكر أنا بفهم في إيه، إيه اللي ممكن يكون مربح وممتع في نفس الوقت، أنا عشت في إنجلترا بلعب وبخرج بس.. مسكت ورقه وقلم عشان أكتب الحاجات اللي بحبها والحاجات اللي بعرف أعملها فضلت أشغبط وأنا بفكر.. لقتني رسمت حاجة شكلها غريب وعجبتني، حاولت أظبط فيها حاجات رحت مبوظاها فزعلت، بس قلت أعملها تاني وأسيبها نفس شكلها اللي كان قبل لما أبوظها بس ما عرفتش ولقيتها طلعت حاجة كدا أحلى من الأولى.. فكرت أجيب خشب وأعمله على الأشكال الغريبة اللي بعملها بس ما عجبنيش، فكرت أعمل من الأشكال دي أبجورة ونجف وحاجات لعفش البيت وأشكال زي التحف وبعتها لورش تتصنع.. ونجحت وفترة وفتحت ورشة، وبعدين محل للبيع، وبعدين ٣ فروع للمحل، وبعدين ٦ فروع كمان، وبعدين مصنع وشركة وبقيت الست اللي عملت من الشخبطة براند.

واتعرفت بصاحبة الرسمة في ٣٠ ثانية.. لأني كنت بقدر أرسم تصميم جديد في٣٠ ثانية بس، وكلهم كانوا مختلفين.. وبقيت بشتغل بكل حاجة خشب وكريستال وفضة وممكن دهب وإزاز وحتى البلاستيك.

بس لسه لوحدي من غير أي حد، الكلام دا خد مني سنين.. خليني أحكي لك السنين دي حصل فيها إيه.. ساكن جديد دخل العمارة هلال الساكن اللي حياتي بدأت وانتهت عنده.. دكتور هلال شاب وسيم لطيف وحقيقي شهم وجدع وجاري المفضل.. هلال فضل يقرب لي في الأول بحجة إنه جديد وما يعرفش حاجة هنا، وبعدين بحجة مليش صحاب حلوين هنا، وبعدين أنتِ أقرب صديقة ليَّ.. بس أنا كنت عارفة إني مش بس صديقة ولا أخت.. هلال كان شايفني ست وست يقدر في يوم يقول لها يا مراتي.. يمكن هلال ما قالهاش بس عينيه قالتها ١٠٠ مرة وهو بيسلم عليَّ قبل ما يطلع شقته، عينيه كانت بتقول لي مش عايز أطلع عايز أفضل معاكِ، بس للأسف ما كانتش عندي القدرة إني أحب تاني.. كان هيبقى صعب أوي إني أتساب تاني، بس برضه ما أنكرش إني كنت منجذبة لهلال جدًّا، بالذات اهتمامه بيَّ في الوقت اللي كان حقيقي ما عنديش حد.. لحد اليوم اللي بابي خبط وكان هلال، وفضلنا نرغي شوية وكل شوية يجي له اتصال ويرد، ويوصف لحد العمارة وفضل واقف يرغي معايا عشان هو مستني صاحبه يجي وهو يشاور له عشان يطلع لأن صاحبه مش عارف العمارة.

ومش هتستغرب يا دكتور لما تعرف إن صاحبه الأنتيم طلع عادل، أول لما شفته اتسمرت مكاني، قلبي كان هيقف وأنا بسلم عليه، حسيت إنه رجعني للوقت القديم، حتى إنه رجعني للإحساس القديم، عشان كدا فورًا دخلت وسبتهم قعدت أشتغل وأنا عقلي كله بيفكر فيه حقيقي، ما كنتش عايزة أرجع للوقت اللي حبيته فيه، بس الظاهر إن مش أنا بس اللي رجعت.. تاني يوم عادل خبَّط عليَّ الباب، فتحت وأنا مصدومة وأول كلمة قالها «وحشتيني».

ضعفت قدام الكلمة دي، وكل السور اللي بنيته بيننا اتهد في ثواني ووقع قلبي من الدور الأربعتاشر وهو مسكه في إيده، ما قدرتش أمنع نفسي إني أقول له وأنا كمان، لما قال لي لسه بحبك.. ما قدرتش أفتكر مراته اللي بطنها لسه ما فضيتش، ما قدرتش أقول له لا لما قال لي تتجوزيني.. فكرته هيطلقها بس رده كان «ليه أنا ما شوفتش منها إلا كل خير، هي ست طيبة وبنت ناس وكمان هي حامل، وأكيد مش هرمي ابني اللي بترجاه من الدنيا».. والجملة دي كملت بـ»هو أنتِ عايزة تفرقي بيني وبين ابني، أنا بحبك آه، بس أنا طول عمري حلمي إني أخلف من زمان».

وافقت أتجوزه في السر وما حدش عرف نهائي غير هلال اللي شُفت في عينه كلام كتير وجعني أوي حقيقي، هلال عينه بتفضحه وبالذات لما تدمع، بس فرحتي مع عادل نستني زعلي على هلال.. وزي ما أجمل أيامي عشتها مع عادل، كانت أكتر أيام فيها خوف وقلق لمراته تعرف، وزي ما هي حاجة بشعة أما كل مرة كلامنا عن الخلفة ينتهي بـ «والله لو حصل ما هتكوني على ذمتي، احنا اتفقنا إن مراتي مش هتعرف».. خناق وصلح وعياط وضحك وهي دي أيامنا وهي بتمر لحد اليوم اللي مراته مشيت وراه لما شكت فيه والطريق جابها لعندي هنا.

مشهد مراته وهي بتعيط وعلى كتفها عيل وعادل ماسك فيها وبيقول «أنتِ اتجننتِ أنا ما حبتش غيرك أنا باجي أشوفها عشان خاطر جدو أيمن، أنتِ عارفة إنها ما لهاش حد غيرنا وأختها مع جوزها في إنجلترا.. وبعدين أخونك مع مين دي واحدة أنا لسه عارف إنها من العيلة أصلًا، والله صدقيني أنا ما بحبش غيرك».

برغم من إني عارفة إني غلطانة وإني كدا كنت بخرب بيت واحدة، بس كان نفسي عادل يقول بعلو صوته أيوا دي مراتي.. أنا عارفة إني أنا اللي غلطت وأنا اللي قبلت الوضع دا من الأول، بس ما بقتش قادرة أستحمله، بقيت عايزة أهرب من كل حاجة وأولهم عادل اللي عرفت إن مراته دي تبقى التانية، يعني كان في أولى، يعني أنا التالتة، يعني أنا مش مميزة ولا حاجة، يعني أنا مش حب عمره زي ما بيقول، عشان كدا قررت إني مش هشوفه تاني، قررت أتطلق وأنهي كل حاجة، وبرغم محاولات عادل الكتيرة بأني أستحمل وإنه بيحبني وكل الكلام دا أنا برضه مشيت، لأني حقيقي وأنا واقفه قدام مراته استحقرت نفسي أوي، كفاية إني ما كانش ليَّ عين أرد عليها بصراحة، أنا بحب نفسي ومش ناوية أكرهها عشان أي حد.. أول لما اتطلقت من عادل هلال اتقدم لي ووافقت، وحقيقي هلال ما فشلش إنه يعوضني عن كل حاجة، وما فشلش إنه يخليني أحبه، ومن شهرين كنا بنحتفل بعيد ميلادي الـ ٤٩ مع بعض ومع عمرو ابني ورشا بنتي.. ومن هنا ظهرت المشكلة من شهرين قبل يوم عيد ميلادي بيومين حلمت حلم غريب.

حلمت إني في مكان ضلمة وماشية مش سامعة حد ولا عارفة أنا فين، المكان عمال يضيق وأنا خايفة، لا أنا مش خايفه بس أنا محتارة، محتارة أوي بس مش عارفة إيه اللي محيرني ولا إيه اللي ممكن أعمله يخرجني من كل دا، وفجأة لقيت قدامي كبريت، ولعته ولقيت النار مسكت في حاجة.. كان عمرو ابني، النار ولعت فيه وأنا ما كانش قدامي إلا إني احضنه ونولع سوا..

صحيت مفزوعة وأول حاجة جت في دماغي هي عمرو ابني، قعدت أدور عليه في الشقة ما لقتهوش، بس لقيت نور البلكونه والع، كنت هدخل بس سمعته بيقول «أنا كمان بحبك أوي يا أمنية، إيه دا طنط دخلت طب خلاص اقفلي» ما قدرتش أسكت ومسكته خليته يعترف ويحكي لي عنها.

أمنية هتتخرج السنة اللي جاية من فنون جميلة، وهي جميله أقصد الكلية يا ماما، بصراحة أنا ناوي أتقدم لها، أصل احنا مش عيال في إعدادي عشان كل لما حد يدخل نقفل ونخبي عليهم، ومش هنفضل نتقابل من ورا أهلها كدا كتير.

- كلمني عنها شوية.

- قمر يا ماما قمر، حاجة كدا بنبونايه صغننة، هي قصيرة ورفيعة، حاجة كده تقولي في تانية ابتدائي مش جامعة خالص، بس لو سمعتِ صوتها تقولي بالعة واحد صاحبي، أنتِ متخيلة دي بتلعب معايا رست وتكسبني، أو بصراحة أنا ببقى متبس في وشها وبسببها تكسب بمزاجي، بس في الاستميشن ما بتهزرش، تقولي متربيه على قهوة وهي أصلًا ما بتخرجش من البيت.. ببساطة روحها خفيفة وبسيطة أوي أوي.

- طب مش هتعرفني عليها بقى؟!

- بجد؟ إمتى؟!

- شُف لي هي فاضيه إمتى وقُل لي أنا هفضي نفسي، هو أنا عندي أهم من مرات ابني حبيبتي.

- ربنا يخليكِ ليَّ يا ست الكل.

عمر ما كان عمرو فرحان قد الوقت دا.. وجت «أمنية» يوم عيد ميلادي وحقيقي كانت بنت ذوق ومحترمة وشيك جدًّا ومن مستوانا يعني كله تمام.. هلال كلم أبوها واتفق على ميعاد ووصلنا البيت ودخلنا وكانت أمنية بنت عادل التانية.. صدمة عمري يعني إيه أجوز ابني لبنت الراجل دا، أو بمعنى أصح إزاي أجوز ابني لأخته.. آه يا دكتور، أنا كنت حامل لما سبت عادل وقررت إن الطفل دا هو عوضي، ولما اتقدم لي هلال كان عارف إني حامل وعملنا شهادة ميلاد عمرو بعد ولادته بـ ٣ شهور عشان يكون الوقت الصح في الشهادات.. كنت حاسة إن قلبي هيقف، وعمرو عمال يقول طب نقرا الفاتحة طيب، وهلال يقول له استنى، وعادل بدأ يتردد لما عرف إن عمرو ابني، حقيقي كان يوم لا يحتمل، روَّحت وأنا بقول لعمرو على جثتي الجوازة دي تتم.

لأول مرة عمرو يكسر لي كلمة، لأول مرة عمرو صوته يعلى ويقول لي أنا «هتجوزها يعني هتجوزها»، خناقات وصراعات، وبدأ عمرو يشوفها من ورانا وأنا حقيقي مش قادرة أقول له حاجة، أصل أقول له إيه؟! اللي قلبك دق ليها هي في الحقيقة أختك.. عرفت معنى الحلم وعرفت إيه اللي محيرني، وما كانش قدامي إلا إني أعرَّف عمرو، ما كنتش عارفة دي أعملها إزاي.

الكذب سهل بس عمره قصير أوي، ودايمًا بيتكشف في الآخر، وفعلًا اتكشف واتولى هلال الموضوع اللي اتقبله عمرو بزعيق وخناق وعصبية ونزل من البيت، وأنا كنت هموت من الرعب عليه لتلات أيام ابني مش في البيت، كنت هموت، سألت كل الناس، عملت كل حاجة بس ما لقتهوش، لحد لما لقيت الباب بيتفتح وعمرو داخل عليَّ ووطى على إيدي باسها، وبعدين باس راسي وقال «ولو كانت أمنية حبيبة العمر فأنتِ العمر نفسه «.

يا فرحة قلبي ساعتها، بس يا كسرة نفسي بعد ما بقيت أشوف ابني وهو قلبه محروق ومحتار؛ بقى

مهموم وحزين، بقى عمرو اللي بيقلب البيت ديسكو يبقى هادي كدا.. أنا جاية لك يا دكتور عشان تساعد ابني يرجع زي ما كان، وقررت أحكي لك كل حاجة عشان تعرف تعذرني.

***

صعبة.. حبيبتي تبقى أختي يعني إيه؟! مين ممكن يتقبل الفكرة دي؟! خلال تلات أيام بس كنت متأكد إن مراحل علاج الشخص دا هتبقى صعبة حتى لو يبان إنه كويس وعادي، بس الحوار تقيل عليَّ إني أتخيله ما بالك هو.. كنت فاهم سبب سكوته، بس كنت مستغرب من قد إيه هو بار بأهله لدرجة إنه ما قدرش يقسى عليهم رغم اكتشافه إنه عايش في كدبة كبيرة بقاله سنين.. يمكن رحلة حياة الشخص دا بالنسبة له انتهت، بس أنا عايز أساعده يبدأ رحلة جديدة.

أجهزة

صحيت النهارده على رنة الموبايل.. كان أيمن جوز أخت مراتي.. افتكرتها مشكلة كالعادة عشان أيمن نسي تاريخ مهم أو كان مشغول شوية في قضية معينة.. بس ما طلعتش خناقة طلع فعلًا مشغول في قضية وعايزني أساعده.. يعني فيه مسجون عنده وعايزني أروح أسمعه بشكل ودي مش قانوني، يعني ما حدش مصدق إن الراجل دا مريض نفسي، بس هو شاكك عشان كدا طلب مني إني أروح لك كزيارة عادي، وفعلًا رُحت قبل لما أروح عيادتي.. وصلت قدام مكتب أيمن ودخل العسكري، وكلها دقايق وأيمن دخلني شوية وجه الراجل.

***

- أنا كلامي بالنسبة لناس كتير أوي هو خيال، بس اللي ما شافش يقول ما أعرفش.. الحكاية بدأت سنة ٢٠١٩ لما نشر «فلكيون» بإحدى المجلات البريطانية عن نتيجة رصدهم ماء على كوكب خارج المجموعة الشمسية، «وتم اكتشاف ذلك بواسطة تليسكوب هابل.. وقال الفلكيون بحسب المجلة المتخصصة إن الكوكب الذي اكتشفوه في ٢٠١٥ يدور بشكل منتظم حول نجمه.. ومؤخرا عثروا على بصمة بخار الماء في الغلاف الجوي لذلك الكوكب.. وأكد الفلكيون أن الكوكب الذي عثروا عليه ليس شبيهًا بالأرض لأنه أثقل منها بكثير، حتى إن غلافه الجوي له تركيبة مختلفة، وقد أكد المشرف على الفريق الفلكي أن العثور على ماء في كوكب آخر غير الأرض يحتمل أن يكون ذلك الكوكب قابل للعيش».

..

ودا البيان اللي نزل لفريقنا.. أنا الباحث وعالم الكواكب الرئيس في وكالة دول الخليج اللي تم إنشاؤها في سنة ٢٠٢٧ في الحقيقة دا شيء مش مترتب، لأن صعب إن دولة أو مجموعة دول يعملوا مركز أو وكالة فلكية مهمتها كشف غموض العالم خارج كوكب الأرض، بس بدأنا نعمل الأبحاث عشان نتأكد إذا كان الكوكب (إكس) اللي تم اكتشافه سنه ٢٠١٥ فعلًا عليه حياة، وهل فيه سكان هناك ولا هنكون أول بشر يوصلوا للكوكب دا.. في ظل اهتمام وكالة ناسا بتأكيد الأبحاث قرر مجلس الوكالة إنه ياخد «الريسك» ويضحي بفريق مكون من ١٠ أفراد في مختلف المجالات عشان يبقى أول إنجاز لوكالة دول الخليج، دا لو نجح لو فشل هيبقى زي محاولات كتيرة من الدول المختلفة تانية، يعني لو فشلت هتبقى كل الخسايز ١٠ أفراد وخسايز مادية.

وبالفعل بدأت إدارة الوكالة الاتفاق مع رئيس إدارة الفضاء الوطنية الصينية «شو دا تشي» على إطلاق رحلة الفضاء عن طريق الوكالة الصينية، ولكن كل التكاليف وفريق الاستكشاف من وكالة دول الخليج عدا المشرفه صينيه تدعى «لي إن إن».. وإذا فشلت المحاولة نسب الفشل لوكالة الخليج العربي، وإذا نجحت المحاولة نجحت وكالة الخليج العربي ووكاله الفضاء الوطنية الصينية.

وفعلًا بدأت الرحلة ما أقدرش أكشف عن التفاصيل لحد لما وصلنا الكوكب (إكس).

المكان اللي وصلناه في مكان زي صحرا مفيش حد حوالينا، رمل وشمس حامية أوي، قررنا إننا هنمشي لأي اتجاه، بس لازم نبدأ نعمل دراستنا؛ يعني إيه الملاحظات اللي حصلت لنا من لما وصلنا.. بس الملاحظات كانت صفر.

كملنا مشي لحد لما وصلنا لضفة نهر، صوت المياه والهوا، بس فيه صوت جاي من بعيد أوي، حاولنا نتتبع الصوت لحد لما وصلنا بعد يجي ساعة كدا، وكان آخر الطريق سور ومصدر الصوت – اللي بدأ يرتفع – ورا السور دا اتكلمت «لي إن إن»:

- أكيد فيه باب يعدينا من السور دا.

لفينا مع السور وما وصلناش لحاجة.. كنت حاسس إننا بنلف ونرجع نفس المكان؛ قلت لسعود: «يستنانا هنا واحنا هنلف ونرجع» لفينا وفعلًا رجعنا لنفس المكان، كان سعود قاعد على الأرض وساند ظهره على السور أول لما شافنا بص لي وقال لي:

- كل هاد.. ليش كل هاد الوقت.

سعود صديقي اللي شغال معايا من أكتر من ٥ سنين رديت عليه:

- احنا كدا بنلف ونرجع لنفس المكان ومفيش باب أو أي معبر.

وقف وكان لسه هيرد عليَّ.. السور بدأ يتحرك وبنقسم لجزئين، دقيقتين من الصمت والذهول لحد لما اتفتح بشكل كامل وظهر اللي ورا السور.. صحرا برضه بس المختلف إن في ٦ رجالة ظهروا.. الكوكب دا فيه بشر زينا، حقيقي مش عارف هما زينا ولا ممكن يكون شكلهم بس اللي يشبهنا.. خرج من وسط الست رجالة بنت بدأت تتكلم وهي بتبص لرياض رفيقنا السعودي...

-

-På hvilket sprog kan vi tale

-

-Hangi dilde konuşabiliriz

رياض: إيش كله (ما هذا).

وكأنه شتمهم.. وشهم اتغير وهجم عليه الـ٦ رجالة، وطلع واحد منهم مصل أو حاجة أنا مش عارف إيه هي راح رياض واقع فجأة وهي ابتسمت وبصت لغيث وبدأت تتكلم.. كنان ركع على ركبته عشان يشوف رياض، وبعديه غسان ركع جنبه.. كل ٣ رجالة مسكوا واحد فيهم وحصل لكنان وغسان نفس اللي حصل لرياض واترموا جنبه.. والبنت لسه مركزة مع غيث وبتقول له:

-Në cilën gjuhë mund të flasim

-En que idioma podemos hablar

-

-In quale lingua possiamo parlare

-Ulla lingua sciat loqui lingua

-In welke taal kunnen we spreken

-

كنت براقب الوضع وأنا في ذهول مش قادر أتكلم ولا فاهم إيه اللي بيحصل، وكأنه حلم مش قادر أفوق منه وغيث مش بيرد للبنت، وراجح عينيه على صحابه اللي مرميين على الأرض.. أنا حاسس إن البنت بتكرر كلامها بس بطرق مختلفة لحد لما قالت:

– In what language can we speak

رد أحمد المصري الوحيد اللي معايا:

- كل دا عشان تسألي على اللغة

ما توقعتش إن أحمد بالغباء دا عشان يقول أي كلام بعد ما شاف اللي حصل لزمايلنا، وطبعًا حصل له زي اللي حصل للي قبله، والبنت لسه بتتكلم وغيث مش عارف يرد وبص لي وكأنه بيقول لي «انقذني»، بس أنا لسه مش عارف إيه الحل ومرعوب زيي زيه، اتكلم غيث بصوت بجد مش مسموع لأني بصعوبة سمعته:

- طب أقول اللغه ولا أعمل إيه؟!

وكان مصيره نفس مصير رياض وكنان وأحمد وغسان.. ووجهت الكلام لسعود وبدأت تقول:

-In quale lingua possiamo parlare

-Ulla lingua sciat loqui lingua

-På vilket språk kan vi tala

قاطعها سعود وقال لها:

- اللغة العربية.

افتكرت إن دا الحل، بس لا، حصل لسعود نفس اللي حصل للباقي وبصوت عالي اتكلم فهد وهو بيقول:

- وكأن اللي معه شفق راح يموتنا كلنا (وكأن اللي معاه سلاح..هيموتنا كلنا).

مفيش حل.. حصل له زي الكل واترمى على الأرض جنبهم.. أما الدور جه على «لي إن إن» وبدأت البنت

تتكلم بنفس الكلام اللي ما حدش فهمه إلا لما قالت البنت:

- بأي لغه يمكن أن نتحدث؟

إن إن: بأي لغة يمكن أن نتحدث؟

ردت البنت:

- لقد تم تحديثي للتحدث بجميع اللغات.

- لقد تم تحديثي بلغة العربية والصينية.

ابتسمت البنت وردت:

- تم السماح لكِ.

واتحركت هي والـ٦ رجالة وعدِّت «إن إن» من بينهم.. وهنا فهمت منين جت عظمة دولة الصين، ما حدش عرف طريقة الدخول غير «إن إن» وطبعًا أنا وراجح عملنا زيها.. واحنا داخلين لمحت راجح وهو باصص على أصدقائه نظرت حسره.. احنا آه كل واحد من بلد ويمكن لكنتنا مش واحدة ولا بينا دم يربطنا، احنا اتجمعنا لفترة كبيرة مع بعض، كنت متأكد إنه حزنه عليهم نفس حزني على سعود صديقي.

بعد لما دخلنا بدقائق دخل ورانا ريان ووراه البنت اللي دخلتنا وبدأت تتكلم:

- أرضنا ترحب بكم.. نعتذر عن تأخركم في الدخول، لكننا اضطرنا إلى التعامل مع بعض المهاجمين الذين يحاولون الهجوم على أرضنا مستخدمين لغتهم غير المألوفة كسلاح ضد أرضنا.

اتكلم راجح اللي لحد دلوقتِ مش عارف يمسك نفسه:

- هما المهاجمين دول هيحصل لهم إيه.

بحركة سريعة لفَّت البنت وشها وكان في ٣ رجالة جايين من ناحية البوابة وحصل لراجح نفس اللي حصل لاخواتنا السبعة.

وبكده احنا بقينا تلاتة.. ما توقعتش إننا هنخسر سبعه من أعضاء الفريق بالسرعة دي.. كان عندي فضول إيه اللي هيحصل فيهم، بس في وقت زي دا أنت بتنقذ نفسك وما يمكن إنقاذه وبس، ما ينفعش كنت أبص ورايا.

كنت أنا و»إن إن» وريان باصين في اتجاه السور الحديدي مش عارفين هل هما الـ٧ أفراد دول بس اللي على الكوكب، أصل فين الباقي يعني؟ كل اللي ورانا دا صحرا.. لا استنا دا اللي أنا كنت فاكره، لأني وأنا داخل لما السور كان مفتوح كان كل اللي ورا السور صحرا، بس بمجرد لما السور اتقفل.. صوت عالي أوي ظهر فجأة بحركة سريعه كلنا لفينا، كنا في مكان زي سوق في مدينة، زحمة وناس بتتحرك في كل حتة

وصوت ناس بتتكلم باللغه العربية.

هل كل الناس اللي هنا بتتكلم باللغة العربية، يعني هو أصلًا عرفوا إزاي اللغة العربية ولا باقي اللغات؟ طب هما متقسمين بلاد زينا كدا يعني فيه أماكن تانية على الكوكب دا فيها ناس، طب والناس التانية دول لغتهم إيه؟!

فترة عدت وبدأت أفهم إن أنا وأصدقائي الاتنين إن احنا بس اللي بنسمعهم بيتكلموا عربي، يعني هي حاجة كدا زي خاصية بتخلي اللي مش محدثين بكل اللغات يسمعوا الناس باللغة اللي هما عايزينها، يعني هما هيتكلموا اللغة الإنجليزية أنا هسمعهم باللغه العربية، حاجة غريبة صح؟! بس الأغرب إني فهمت إيه اللي بيحصل.

الناس دي أجهزة.. إزاي؟!

يعني هما بشر زينا بس دماغهم زي الموبيل بيحصل لهم تحديث كل فترة، والتحديث دا بياخد من بطاريتهم اللي هي دمهم.. كل لما بيكون الشخص مريض أو مش بصحة كويسة بيبقى صعب إنه يحدث نفسه، وبالتالي الناس هناك بتساعده وكأنه زي الشحات كدا عندنا بنعطف عليه، هما بقى بيعطفو على اللي مش مُحدَّث.

دماغهم بتتعامل مع كل حاجة لوحدها، يعني واحنا داخلين المكان دا كنا ١١ واحد مع بعض، بس البنت كانت بتبص لكل واحد لواحده وكأنه هو بس اللي واقف، ولو فشل هو بس اللي بيتأذى ولو نجح هو بس اللي بيدخل، زي «إن إن» لما دخلت.. دخلت لوحدها.

دماغهم بتتعامل مع اللغات زي الموبايلات، يعني لما بتجيب موبيل جديد بيظهر إشعار على الموبايل عشان تختار اللغة اللي هتتعامل بيها مع الموبايل، وفي بلد تانية ممكن شخص تاني يمسك نفس الموبايل اللي معاك بس يختار لغة تانية غير اللي أنت اخترتها، لما بتيجي تختار بتختار لغة من الموجودين في الموبيل دا، يعني لو الموبايل مش مُحدَّث «حديث» أوي مش هتلاقي عليه كل اللغات، هما كدا اللي مش مُحدَّث ممكن يكون مش بيستخدم كل اللغات.

إيه مش مصدقني ليه؟! الموضوع غريب صح؟! طب تحب تسمع الأغرب؟! فاكر زمان أوي في زمن الأبيض واسود كانوا بيستخدموا التليفون الأرضي أبو سلك، وأول لما ظهر كان اختراع والناس كلها كانت بتقول إزاي الكلام بيمشي في السلك، ولما طلعت الموبايلات الناس كانت هتتجنن إزاي طب الكلام بيمشي في إيه مدام مفيش سلك، طب إزاي الكلام بيمشي من هنا لهناك من غير السلك، أنا بقى هناك لقيتهم بيتكلموا من غير موبيل نفسه، يعني إيه واحدة بتكلم واحدة بعيد عنها بأكتر من ٢٠٠ أو ٣٠٠ كم ويبقوا سامعين بعض، عرفت إنها خاصية كدا اسمها «إمكانيه التحدث عن بعد» وعلى قد ما الشخص مُحدَّث يقدر يكلم الأشخاص الأبعد منه حتى لو بمسافات كبيرة أوي.

هناك بيتغذوا على محلول كدا بيخليهم عايشين ودمهم صحي أكتر عشان يعرفوا يحدثوا نفسهم، لأن هناك بيحصل إجراء كل فترة.. جهاز كدا بيقيس قدرة الفرد على تحديث نفسه، يعني لأي مدى يقدر يبقى مُحدَّث، وعلى الأساس دا بيتم الجواز بين الأفراد اللي قدرتهم على التحديث عالية عشان يوصلوا

لأعلى تحديث، عشان يقدر حد منهم ينجب «الطفل المنتظر»، الطفل اللي هيقدر يغير مسار الكوكب ويقضي على المعادين.

هما عارفين إن فيه ولد هيتولد وهيكون أعظم ما فيهم بس بطريقة علمية؛ يعني عقله وتحديثه مختلفين عن كل اللي هناك وعرفوا دا عن طريق الأبحاث.

فترة عدت ومش عارف أفهم إيه اللي بيحصل هناك وبيحصل إزاي؛ يعني إيه أساس وجودهم وإزاي موجودين.. مش عارف أوصل لحاجة، كل يوم أقول لازم إننا نخرج من المكان دا ونحاول نرجع كوكبنا، بس برجع في كلامي لأن كل اللي وصلنا ليه دا كلام بس مفيش حقيقة مثبتة ويجي اليوم اللي بعده وما نوصلش لحاجة، وبرضه نقرر نمشي ونرجع في كلامنا لحد اليوم اللي «إن إن» حملت فيه، وعرفت إن بقى فيه طفل وما ينفعش أعرض ابني أو بنتي للخطر لأي سبب، وقررنا إننا لازم نمشي وفورا.. في اليوم دا خرجت أدور على ريان عشان أقول له إننا لازم نمشي بس مصير ريان نفس مصير أصدقائنا ال٨.

زاد القلق وبالأخص إني مش عارف إيه اللي بيحصل لهم بعد كدا، وقررت إننا هنمر من البوابة النهارده.. أي حد لما بيحب يخرج بيطلب الخروج في رحلة لاكتشاف العالم الخارجي - خارج السور - لأنهم واثقين إن كل اللي برا السور دول أعداء وعالم برا عالمهم.

هما عبارة عن مجموعات، كل مجموعة محاطة بسور وبيقفلوا على نفسهم ومش بيتفتح السور إلا لما حد يضغط على السور من تحت، وبيدخلوهم بعد لما يتكلموا معاهم ويتأكدوا إنهم مش أعداء وإنهم لو مش أعداء فأكيد هما أفراد من مجموعة من المجموعات التانية.

ووصلنا أنا و«إن إن» عند السور بس حصل اللي ما توقعتوش.. أنا عارف إن اهم هدف هما عايشين عشانه هو «الطفل المنتظر» عشان كدا مش بيضحوا بأي ست إلا لما يكشفوا عليها، ولأن «إن إن» حامل ما كانش ينفع نخرج..

فكرت في أكتر من طريقة للهروب، لأن لو حد كشف على الطفل واتعمل عليه الأبحاث أو اتحط تحت الأجهزه وكل الكلام دا هيكتشفوا إنه مش، مش مُحدَّث، لا.. دا هو أصلًا ما ينتميش ليهم بأي شكل، وبكده هيكون مصيرنا كلنا نفس مصير أصدقائنا.

عرفت إن كان في ناس بيحاولوا يدخلوا المجموعة في نفس اليوم اللي أنا دخلت فيه، بس التانيين كانوا أعداء وبيستخدموا لغتهم كسلاح، ومن هنا فهمت إن الاعداء دول هما أصدقائي اللي كنت عايز أعرف مصيرهم، عشان لو هما لسه موجودين يساعدوني ونهرب كلنا، وفعلًا عرفت مصيرهم.. القتل.

بس اللي حصل إن قبل لما يموتوا اختفوا، يعني هما عايشين إزاي ما أعرفش.. كنت عايز أعرف إيه اللي حصل، بس فهمت لما جه الدور عليَّ لما اتقفشت وأنا بحاول أهرب، وفي الوقت اللي كنت واقف مستني موتي.. فجأة لقيت نفسي في مكان تاني وعرفت إني في بلد عربية غير بلدي، ولما وصلت كنت في سنة غير السنة اللي سافرت فيها، مش عارف «إن إن» فين ولا ابني ولا أي حاجة.

بدأت أسرق عشان أجمع فلوس لأني لازم أروح للوكالة، لازم أرجع تاني أدور على «إن إن»، وكمان لازم أكشف الكوكب دا، واتقفشت وأنا بسرق واترحلت على مصر لأني مليش أي بيانات ولا ورق إني في البلد

دي، ومن لما وصلت وأنا محبوس هنا وما حدش مصدقني.

- طيب أنا معاك إن كل الكلام اللي أنت قلته دا صح، بس أنت في بدايه كلامك قلت إنك شغال في وكالة الفضاء لدول الخليج اللي تم إنشاؤها ٢٠٤٢ وإن بعد ١٥ سنة يعني سنة ٢٠٥٧ بدأتوا الرحلة، وعلى أساس إن دورة يوم وسنة الكوكب التاني أكبر يعني احنا ٢٤ ساعة وفي السنة ٣٦٥ يوم، لكن الكوكب التاني ٤٢ ساعة في اليوم والسنة ٦٣٥ يوم، وده معناه إن الفترة الزمنية هناك أكبر من عندنا، يعني لو قلنا إنك قعدت هناك يوم يبقى هنا مر يومين إلا كم ساعة، ولو قعدت هناك شهر يبقى هنا مر شهرين، يعني لو رحت هناك سنة ٢٠٥٧ يبقى هترجع في آخر سنه ٢٠٥٨ لكن احنا في سنه ٢٠٢١.

- هي دي المشكلة إني نزلت في زمن غير الزمن بتاعي وده مش عارف إزاي حصل.. طب دور في السجلات مش هتلاقي اسمي، دور على أهلي مش هتلاقيهم موجودين، لأني ببساطة أنا ما ليش أي وجود في الزمن دا.

- مسافر عبر الزمن (Time traveler)

خرجت من عنده وأنا مش قادر أحدد إيه اللقب اللي الفروض ألقب بيه الراجل دا «مجنون» ولا «عالم».

اتكسرت

- انكسرت.

- إيه اللي ممكن يكون كسرك.

- مش مهم إيه اللي حصل، مش مهم القصة المهم إحساسي.. إحساسي اللي كنت محتاج حد يسمع له من وقت كبير بس ما لقيتش، عشان كدا جيت ودفعت لك فلوس عشان بس تقعد معايا تسألني حاسس بإيه.

- مش مهم إنك تقول لي أنت حاسس إيه، بس المهم إنك تبقى متأكد من اللي أنت حاسس بيه.

- الكسرة ما فيهاش أكيد ولا مش أكيد.. إذا كانت كسرة نفس ولا كسرة من اللي بتقطم الضهر دي.. عارفها؟!

- وأنت بقى انكسرت أنهي كسرة.

- الكسرة اللي ما بيكونش في ضهر أصلًا بعدها.

- خيانة؟!

- الخيانة مش كسرة؛ كل الناس اتخانت وخانت قبل كدا.

- أقرب حد ليك مات؟!

- الموت قدر وشيء احنا ما نقدرش نتحكم فيه وكلنا هنموت.

- عجيبة كسرتك اللي مش قادر أصنفها.

- أنا اتكسرت كسرة من اللي كل حاجة بتغرق حواليك حتى أنت، بس للأسف مش قادر تعمل حاجة كأنك متكتف، بس أنت حر مش متكتف، ومع ذلك مش قادر تعمل حاجة ولا قادر حتى تقاوم عشان تنقذ ما يمكن إنقاذه، بس ما باليد حيلة بتكتفي فقط بالدعاء يمكن يغير القدر.

- طب إزاي أنت قدامي دلوقتِ.

- لأن الدعاء أنقذني أنا بس وساب كل حاجة تغرق، ودي المشكلة إني أنا كنت عايز الحاجات دي أكتر ما أنا كنت عايز إنه ينقذني، فبقى إحساسي عالق بين البحر اللي غرق فيه كل حاجة، وبين الأرض اللي أنا لسه واقف عليها.

- مش حاسس إنك عايز تقول لي القصة بشكل أوضح؛ يعني على الأقل عشان أقدر أساعدك بدل ما أنا اللي عالق كدا بين شوية كلام مش مترتب.

- القصة مش مهمة إذا كان أساسها غرقان.

- القصة مش مهم إذا كان أساسها غرقان.. الجمله شغلت دماغي لأيام بعد زيارة المريض دا ليَّ.. حسيت وقتها إنه مرهق، مرهق بجد أو ممكن يكون قلبه هو اللي مرهق وروحه هي الغرقانة، مريض ما عرفتش أساعده لأن شايف حياته سراب شيء بلا هوية أو معنى.. تفاصيل كتير فضلت شاغلة دماغي زي هزة صوته، كلام قاله بعينيه، حركات إيده، الدمعتين اللي بيحاولوا يهربوا من عينيه كان نفسي أعرف إيه القصة كان نفسي أساعده بس، هو كان مقرر انه جاي يحكي، يحكي اللي هو عايزه مش جاي يتعالج.

صاحبتي

- عارف يعني إيه لما تقع تلاقي حد يوقفك مش بس يسندك لا دا بيوقفك.. عارف يعني إيه فرد جديد يدخل العيلة ويبقى منها.. عارف يعني إيه أتعشم في حد وأنا أكتر إنسان مش بثق في حد.. يعني أنا عندي صاحبة.. في شكل أخت.. بطبع حبيب.. بحنية أم.. بجدعنة أخ.. بس هي صاحبة.

- حلو تعبيرك بس مش هتعرفيني عليكِ.

- أنا رنا شخصية متفائلة بطبعها.. فرفوشة يعني.. تفتكر إيه اللي يخلي واحدة فرفوشة عمرها ما شالت هم حاجة تيجي لدكتور مجانين.. أنا آسفة على التعبير، بس أنا دايمًا بقول كدا..

- أنتِ مش مؤمنة بالطب النفسي؟!

- ما حولتش أفكر في الموضوع لأني ببساطة عمري ما فكرت إني هبقى هنا دلوقتِ، بس أنا محتاجة أتكلم والإنسانه الوحيدة اللي أقدر أتكلم معاها هي اللي جاية بسببها.

- تحبي تبدأي منين؟!

- من لما كان عندي ١٤ سنة.. أنا دلوقتِ عندي ٣٦ يعني من ٢٢ سنة.. كنت طالبة في تانية إعدادي يوم ما جت مدرستنا بنت جديدة كانت عادية بالنسبة ليه هي في حالها وأنا في حالي بيناء أصحاب مشتركين ممكن نتكلم ساعات بس كتير ما كناش بنتكلم ليه ما أعرفش.. فترة التانية عدت سنة وأنا وهي علاقتنا سطحية جدًّا.

مامتي قررت تغير لي الرياضة اللي كنت مشتركة فيها وقررت تعلمني السباحة عشان أعالج مشكلة النفس وأتخطى أزمة قديمة لما غرقت وأنا صغيرة وكنت شبه هموت.. رحت طبعًا دخلت في تيم أنا ما أعرفش فيه حد خالص، أول تمرين روَّحت وأنا مستقلة اليوم أوي، وكمان ما كنتش حابة السباحة بشكل عام، في المرة اللي بعدها رحت وأنا مقررة إني هلاقي أي سبب أقنع مامتي بيه إني ما أكملش في السباحة، بس لما رحت غيرت رأيي لأن قبل ما التمرين يبدأ دخلت واحدة بتعتذر عن غيابها التمرين اللي فات وعلى تأخرها النهارده وكانت هي..

بدأت أتعرف عليها عادي، افتكرت إني هضمها لقايمة صحابي يعني هتبقى واحدة من صحابي الكتير أوي إذا كان من قرايبي ولا من صحابي اللي في المدرسة ولا من صحابي اللي في الدروس ولا صحابي اللي هما أولاد صحاب ماما ولا أولاد معارفها.. أنا شخصية اجتماعية عشان كدا عندي عدد صحاب مهول، بس ما عنديش شخص مفضل حتى معنديش أخت.

ما تخيلتش إن عشان بنروح التمرين ٥ أيام في الأسبوع مع بعض وفي المدرسة ٥ أيام مع بعض إننا هنقرب لدرجة إننا نقعد جنب بعض في الديسك وإننا نخرج مع بعض.. أصبحت بشوفها طول الأسبوع كل يوم، وساعات بتبقى مرتين في اليوم.. ما تخيلتش إني لما أرح لها البيت هتعرف على ماماتها وأحبها بالسرعة دي، ما تخيلتش إني هلاقي أمها تشبه أمي بالطريقة دي، ما تخيلتش إني هوصل لمرحلة إني أرح لها قبل ما اتصل أستأذن، ما تخيلتش إني هوصل لمرحلة إني أعتبرها شيء أساسي في يومي لدرجة إني ما أقضيش يومي من غيرها، لدرجة إني أقلق عليها.. اكتشفت إني ببعد عن أصحابي وبقرب لها.. اكتشفت إنها فاهماني في الوقت اللي أنا مش فاهمة نفسي فيه.. اكتشفت إن وجود صحاب تانيين ليها

شيء معصب جدًّا.. صدق اللي قال غيرة الصحاب أصعب من غيرة الحبايب.. بدأت أعرفها على عيلتي البسيطة اللي همَّ مامتي وبابايا، وأكترهم أمي اللي هي تشبه مامتها أوي في الطبع والتصرفات وفي كل حاجة.. عارفة إني بحكي تفاصيل ما تهمكش بس التفاصيل دي هي السبب إني مش هقدر أتخطى وأتعايش مع اللي حصل.

- طيب وإيه اللي ممكن يخليكِ تيجي هنا بسبب إنسان فيه الصفات دي وبالقرب للدرجة دي منك؟!

- استنى يا دكتور لما أكمل لك... أمي وأمها وأنا وهي وإخواتها الاتنين الولاد كنا طول الوقت مع بعض في كل حتة في النادي، في البيت، في السفر، في الخروج، في كل حتة.. ناس كتير بدأت تستغرب إننا بقينا طول الوقت مع بعض، كنا بنجيب لبس زي بعض لدرجة إن صحابنا بدأوا ينادونا بأسماء بعض كانوا بيتلغبطوا بينا.. ولما حد يشوف حد منا كان لازم يبعت السلام للتاني معاه.. وفي المرحلة دي اتحولنا لأخوات من أب وأم مختلفين.. أخويتنا بدء الباقي يعترف بيها، يعني لما حد يسأل واحدة فينا عن التانية يقول لها «أختك فين؟! «.

دي كانت من الحاجات الحلوة، بس احنا الاتنين أعند من بعض؛ فكنا بنتخانق، بس أحلى ما في خناقتنا الضحك اللي بعد كل خناقة لما نفتكر احنا عملنا إيه، زي ما كنا في مرة بنشد بعض في الشارع عشان كل واحد عايز يمشي من طريق وأنا بشدها لطريق وهي بتشدني لطريق تاني.. ولا لما تغلط فتعند وتبرر تبرير مش منطقي وأقعد أتريق عليها لحد ما ترد عليَّ ونقعد ننكش في بعض لحد ما نضحك احنا الاتنين وبكده نكون اتصالحنا.

وجودها جنبي وقت تعبي البسيط قبل الكبير.. تعبها معايا لما رجلي اتكسرت وقت الامتحانات، وكانت بتيجي هي وأخوها ينزلوني اللجنة وبعد الامتحان يروحوني تاني وتقعد معايا تراجع لي اللي راجعوه في الدرس لو ما رحتش وحاجات كتير وحشة عدت علينا وخلصنا منها.. زي تعبنا في ثانوية عامة أكتر فترة ما كناش عرفين نهون على بعض ولا على نفسنا.. كنا شبه هيكل عظمي لأننا كنا عايزين كلية إعلام يعني بالميت لازم نجيب ٩٤ ٪.. بس القدر خلى وحده فينا تقدر تدخل إعلام والتانيه مجموعها ما يجيبش إعلام بس يجيب آداب إعلام.. كان صعب إننا بعد السنين دي كلها نفترق.. كان صعب نبعد عن بعض بالذات إنها كانت في فترة وحشة، فترة اكتشافها لخيانة حبيبها ليها أكتر فترة هي تعبت فيها.. المهم إني قررت أدخل معاها آداب إعلام وحولت واتقبلت.. وبقينا مع بعض الأربع سنين بتوع الكلية.. ما كناش مضطرين إننا يبقى عندنا صحاب تانيين لأن احنا كنا كفاية لبعض.

- حلو علاقة صداقة قوية جدًّا إيه اللي يهدم العلاقة دي ويخليكِ تروحي لدكتور مجانين؟!

- في آخر سنه في الكلية اتنين من صحابنا اللي في الكلية اعترفوا لي بحبهم، كان منهم واحد كان باين عليه أوي حبه لدرجة إنها كانت دايمًا بتقول لي إني ما تمنلكيش غيره، والتاني واحد عادي بس لطيف فبحكم عندي اخترت العادي وبدأت أتكلم معاه وادِّي له فرصة بس هي ما كانتش بتحبه نهائي وطلبت مني إني أسيبه وأنا ما أقدرش أرفض لها طلب على الرغم من إني عندية وما بحبش الأوامر، لكن هي كانت بتطلب بتطلب بصدق، بتطلب بدافع الخوف عشان كدا أنا سبته، مع إني كنت بدأت أتعلق بيه.

وكان عندها حق، التاني فضل شايلني في عنيه وحتى جه واتقدم واتخطبنا، مش هنسى تعبها هي

وإخواتها الاتنين معايا في جهازي، إخواتها بقوا أكتر من إخواتي حقيقي، عوضوني عن إني ما عنديش إخوات وقفوا جنبي لحد يوم فرحي اللي باتت معايا عشان نسهر سهراتنا بعد الحنة، والصبح كانت هي اللي بتصحيني عشان نروح الكوافير.. فرحي من أجمل الأيام اللي قضيناها سوا، رقصت معاها هي وإخواتها أكتر ما رقصت مع العريس نفسه.. كنت فرحانة إني بتجوز بس برضه كان في حاجة ناقصة، برغم حب عريسي ليَّ إلا إني مش مبسوطة وأنا معاه، من أقل حاجة بتنمرد عليه مع إني في العادي مش نمرودة، فضلت معايا في كل الأيام اللي كنت بروح لها أقول لها إني مش مرتاحة، كانت بتسمعني وتصبرني.

حتى يوم فرحها كانت مهتمة أوي بتعبي اللي كان ظاهر، حتى أول بيبي لها أنا اللي مسمياه، أنا اللي شلته قبل ما هي تشيله حتى.. لحد اليوم اللي اتكسرت؛ في يوم موت أبويا، حضنتها وكنت بصرخ من القهرة، كانت ساندااني اليوم دا، وما عداش الأربعين بتاعه إلا وعرفت إني مش هعرف أخلف، كان اليوم دا المطر مغرق الأرض وأنا عمالة أدعي إن الدكتور يكون غلط، فضلت أمشي تحت المطر ورجلي جبتني على بيتها، كان جوزها موجود بس لما لاحظ إن الوضع مش كويس استأذن ونزل، ما أعرفش ليه أنا رُحت لها في الوقت دا بالذات؟ بس كنت محتاجاها أوي، كانت مصدر القوة ليَّ في الوقت دا.. من وأنا عندي ١٤ سنة لحد اليوم دا شوف عدى سنين قد إيه ولسه صحوبيتنا مكملة، وحتى بعد اليوم دا عدى علينا حاجات كتيرة وحشة زي لما قررت أتطلق، وكانت هي اللي موافقاني، هي اللي مخلياني ما أرجعش في قراري بعد ما اتأكدت إني مش بحب البني آدم دا ولا هحبه، حتى لو عدى إيه، حتى لو حبه ليَّ فوق كل الحدود، وحلو لما بنتها التانيه طلعت شبهي، شبهي بجد حتى إنها اتسمت على اسمي.. هي دي يارا صاحبتي من ٢٢ سنة.

- يارا عندها سرطان.. قلبي بيتكسر مع كل آه بتقولها وهي بتاخد جرعة الكيماوي.. يوم ما عرفت جت لي عشان تقول لي بس لاقتني قاعدة متنكدة ما حبتش تزود همي، تخيل لما صحوبيتنا تبقى ٢٢ سنة وأنا ما أعرفش لوحدي إنها تعبانة، تخيل اأعرف لما يغمى عليها وهي معايا وأوديها المستشفى وأكتشف هناك، وهي تقول لي ما كنتش عايزة أزود همك.. هم إيه.. هم مين هي همي.. هي أختي.. يعني إيه تروح مش فاهمة يعني إيه تقول لي مش هتعالج، يعني إيه لما بالعافية ترضى تتعالج، ترجع في رأيها لما شعرها الطويل الحرير يبدأ يقع، يعني إيه حتى بناتها مش قادرة تاخدهم في حضنها من الوجع والكسرة اللي هي فيها وهي قاعدة قدامهم بطرحة عشان ما يسألوش على شعرها.. مش قادرة أستحمل وجعها، تخيل بقى هي حاسة بإيه.

ببقى كتير وهي بتاخد الجلسة ببقى عايزة أدخل أشيلها من على الجهاز وأزعق لهم وآخدها وأمشي.. ببقى نفسي أجيب الدكتور اللي بيعمله لها من شعره وأقول له كفاية توجعها.. بس بفتكر إني لو عملت كدا هي هترجع ترفض العلاج.. وأنا ما عنديش استعداد إنها تموت.. هي ما ينفعش تموت.. بحس إني قلبي هيوقف لما أتخيل إن حاجة ممكن تحصلها، يعني إيه فرد من عيلتي يموت.. جوايا كلام كتير نفسي أخرجه بس مش عارفة أقوله لحد، مش عارفة لأني ما عنديش غيرها تخيل بقى لو راحت.. أنا خايفة تروح.. هي مش هتروح صح.. هي مش هتسيبني أنا عارفة، نفسي أقدر أعمل لها حاجة تفرحها ومش هقدر أعمل أي حاجة وأنا مبسوطة بجد إلا لو كنت خرجت كل اللي جوايا، محتاجة أهدى حتى لو بمهدئات، محتاجة أبان في قمة ثباتي عشان أقدر أسندها.

بعد لما خرجت المريضة دي.. بدأت اعيد تفكير في مفهومي عن الصداقة.. كنت فاكر إن صاحبي هو

اللي بنزل أقعد معاه على القهوة بعد شغل طول اليوم عشان نشرب حاجة نلعب دورين طاولة، وإن أصحاب مراتي دول لعنة لأن كل واحدة بتبقى عايزة تخرب بيت التانية، وصحاب ولادي هما صحاب السوء اللي هيخلوا ابني أو بنتي الملاك يمشي في طريق غلط، لأن أصحاب أختي أيام الجامعه كانوا سبب في مشاكل بيني وبينها دايمًا لما كنت بحاول أمنعها تقابلهم، وصحاب أبويا أندال ما حدش جه في عزاه مع إني معرفش ولا واحد فيهم وممكن يكون في ناس جت بس أنا ما أعرفهاش.. أنا اتربيت على إن الصحاب فترات في حياتنا وإن دايمًا حد هيغدر بالتاني.. أنا اتربيت على إن البنات بيخسروا بعضهم بعد الجواز بسبب المسئولية وهمها.. ما كنتش أعرف إن في صداقة بطعم أخوة، صداقة بريحة جدعنة، صداقة ممكن توصلك لأنك تفضَّل صديقك عن نفسك، ما توقعتش إن فيه صداقة للدرجة دي.

رحلة حياتهم قضوها سوا.. كل حاجة حصلت في الرحلة دي كانت السبب في إن المريضة دي تلجأ لدكتور مجانين، مش ضعف منها بس دي قوة الذكريات.. الذكريات بتعلم فينا وعلى قد الذكريات على قد ما بتكون العلامة عميقة.

مين فينا الغلطان

- اتفضلي.

- مشكلتي بدأت من ٣ سنين بس أنا شخصية قوية وقدرت أتخطى الفترة دي وأ»جو أون».. حاولت أتجاهل الموضوع دا طول الـ٣ سنين بس يوم.. يوم غير كل حاجة.

- طب مش هتقولي اسمك الأول.

- أنا حرية.. حابة أحكي لك عن اليوم دا بتفاصيله.

***

تكلمت حرية وهي تمر من الباب لتدخل غرفتها:

- هاا يا ماما عريس الأسبوع دا أخباره إيه؟!

أجابتها والدتها وهي تدخل خلفها:

- بصي هو دكتور وعنده عيادة خاصة، وخالتك بتقول لي إنه فلقة قمر.

- هو عن طريق خالتو تاني؟!

- لا بصي أنا واثقة المرة دي غير كل مرة.

- آه ما الـ٥٨٠ مرة اللي فاتو كانوا غير كل مرة.

- أنتِ بتتريقي يا عين أمك، طب ما تهزي حيلك وتجيبي حد.

- ما أنا قلت لك اللي فيها، أنا مش هجيب حد ولا هتعرف على حد، اللي عايز يتعرف عليَّ يجي لي البيت.

- هو اللي خلق وليد ما خلقش غيره.

ظهرت علامات الغضب على وجهها وهي تصيح:

- ماما أنا ما أعرفش حد اسمه وليد.

- آه مانا عارفة.. بقول لك يا حرية ابقي كلميه أنا هبعت لك رقمه على الواتس.

- ماشي أنا نازلة.

- ما تتأخريش عشان تلحقي ميعادك في الشغل.

تحركت حرية لتمر عبر الباب وعيونها ممتلئة بالدموع، ووالدتها تراقبها في صمت وحسرة.

- يا عيني عليكِ يا بنتي.

نزلت حرية للركض كعادتها اليومية، وكأن تلك هي الطريقة الوحيدة لإخراج مشاعرها المكبوتة ولإخراج غضبها، عادت إلى البيت لتستحم وتغير ملابسها الرياضية لملابس أكثر رسمية.

- أنتِ لسه هنا يا بنتي؟!

- آه ما الميتينج بتاع الصبح اتأجل، بجد الكلاينت دا متعب جدًّا أنا مش فاهمة كل مرة يأجل الميعاد أو يبعت لي حد وما يجيش هو.

- طب كويس أهو تفطري معايا.

- لا ممكن بس شوية لبن دافي.

***

جلست على مكتبها لتدخل إحدى الفتيات خلفها مباشرةً فتكلمت حرية:

- إيه يا منى.

- هو كدا كل الشقق المطلوبة خلصت بكل التفاصيل اللي قلتِ عليها، بس ناقص تنزلي تبصي عليهم.

- شقة الدائري خلصت برضه؟!

- بصي والله شغالين.

- أنا قلت كل اللي في المكتب يسيب اللي في إيده ويخلص لي كل الشقق، أنا عايزة أسلم الناس.

- والله المشكلة في الإيفينت بتاع الكلاينت اللي كل شوية يأجل أو يعدل حاجات.

- ابعتِ ميل الغي لي شغل الراجل دا، أو ابعتيه لأي مكتب تاني، أنا مش هشتغل على الإيفينت دا.

- بس يا مس حرية دا إيفينت مهم أوي، وكل اللي في المكتب حابيين يشتغلوا عليه.

- عشان كدا سايبين اللي أنا بقول لهم عليه وقاعدين مهتمين بإيفنت أصحابه أصلًا مش مهتمين بيه.. ملخص الرغي دا مفيش شغل على الإيفينت دا، وما حدش يروح غير ما كل التفاصيل بتاعة شقة الدائري تكون خلصت، لأني هنزل العمال شغل فيها من بكرة عشان العرسان فرحهم كمان شهرين.

- طب دا لسه شهرين.

- أنا ميعاد تسليمي كمان خمس أسابيع والنهارده تصميم الشقة النهائي يبقى على مكتبي عشان هشوفه قبل لما أروح.

- حاضر.

- وابعتيلي سارة وطارق وعماد وأسامة وليلى، قولي لهم يشربوا قهوة، نسكافيه، أي حاجة تفوقهم عشان في اجتماع طارئ مش هيخلص دلوقتِ خالص.

***

- اتأخرت عليك؟!

- سبع دقايق بالظبط بس مش مشكلة

- سوري كان عندي شغل.

- ولا يهمك أنا كمان جاي من العيادة بتاعتي.. أصل أنا دكتور.

- آه ما ماما قالت لي يا أستاذ.. أستاذ إيه معلش؟!

- باسل.. اسمي باسل سامح يسري.

- آه وأنا حرية.

- آه ما أنا عارف، أنا حافظ كل حاجة.

- حافظ.. طب معلش حضرتك شغال دكتور إيه.

- أنا دكتور يا فندم دكتور رمد.

- آه صح.. معلش نسيت، وأنا مهندسة ديكور، عندي مكتبي بستلم الشقق على المحارة وبسلمها للكلاينت على الفرش.

- بس هو حضرتك ناوية تكملي شغل؟!

- نعم.

- أصل ماما كانت بتقول لي يعني أقول لك تسيبي الشغل والحاجات دي.

- آه بس أنا صاحبة المكتب، والحقيقة مش ناوية أسيب شغلي حتى لو اتجوزت.

- مش عارف بس نحاول نقنع ماما، أو ممكن نقول إنك مش هتنزلي شغل وتبقى تنزلي من وراها، بس

المشكلة لما تبات معانا.

- هو حضرتك بتتكلم في إيه أنا شغلي حاجة تخصني أنا.

- أيوه طبعًا طبعًا مفهوم، بس ماما يعني...

- هو الحوار طلع فيه ماما.. طب يا أستاذ حافظ سوري أقصد باسل، أنا عندي ميعاد مهم دلوقتِ.

- بس ماما كانت قايلة إننا هنتقابل النهارده أنا وأنتِ من ٦ لـ ٨، الساعة لسه ٦ وربع.

- لا تلاقيك حفظت غلط، أنا بجد مضطرة أمشي.

خرجت حرية وهي تضحك بشكل هستيري، اقتربت من سيارتها لتركب لكن قاطعها صوت رجولي.

- حرية.. أخبارك إيه.. واحشاني أوي.

- وليد.. إزيك.

- بقول لك وحشتيني.

- وأنا كويسة الحمد لله.. بعد إذنك عشان عندي حاجات مهمة.

- هو أنا ما وحشتكيش؟!

- لا خالص، ممكن أمشي عشان ما يبقاش فيه إحراج أكتر من كدا.

- هو أنتِ ليه ما عاتبتنيش لحد دلوقتِ؟ بتعامليني كأنني شخص عادي، ليه بتتجاهليني؟

- لا لا ما تحاولش عشان مش هنفتح الموضوع، ما تحاولش تستفزني عشان أعيط وأبقى يا عيني مسكينة.. أنا دلوقتِ حرية المرغني تانية خالص.

- هتفضلي في عيني حرية بنت قلبي.

- يا حنين وأنت كدا بتثبتني!! فوق يا وليد أنت شكلك فاكرني زي مراتك.

- أنا مطلقها على فكرة.

- وأنا ما يخصنيش على فكرة.

- أنا عارف إنك لسه ما اتجوزتيش، تعالي نتجوز أنا لسه بحبك.

- لما يبقى معايا منديل ويقع ما بوطيش أجيبه، وأنت لما كنت معايا مشيت ولفيت، وطبيعي لما ترجع

لي مش هوطي نفسي عشان أجيبك.

- أنا لفيت بس ما حدش ملى عيني بعدك.

- ولا أنا مليت، أنت خنتني مع اللي أكتر من أختي، أنت خنتني مع واحدة قعدت جنبي في ديسك ابتدائي وكانت معايا في دروس إعدادي رحنا نفس المدرسة الثانوي، أنت خنتني مع اللي وجعتني بجد، عمري ما هسامحك مش عشان خيانتك لا، عشان خدت مني الإنسانة دي أختي وصاحبتي عشرة عمري، أنت خدت مني خلود، إذا كان كملتوا ولا اطلقتوا أنا مش هاخدك منها عشان أنا مش زيها أنا لسه محترمة كل لحظة عدت واحنا صحاب، وامشي من وشي يا وليد عشان أنت لو آخر راجل مش هبص لك.

استقلت سيارتها بعد أن تعكر صفوها وهي تسب وتلعن هذا اليوم الذي بدأ بتعطيل بعض الأشياء في مكتبها، ثم مقابلتها باسل عريسها المرفوض، ثم وليد حبيبها الخائن.. وصلت إلى بيتها أو ما تطلق عليه مملكتها، فتحت الباب لتجد والدتها أمامها.

- إيه يا ماما العريس دا؟! أنا قلت لك كل اللي خالتو بتجيبه بيبقى شبه ابنها.

- وهو ابن خالتك وحش، بس أنتِ كنتِ وافقي بيه.

- بطني قلبت وهرجع.

- استني يا حرية، رايحة فين؟!

- فيه إيه يا ماما، موقفاني على الباب ليه هكون رايحة فين!! هدخل أوضتي.

- أنا كنت عايزة أقول لك حاجة بس.

- تاني عريس تاني؟

- لا لا.. خلود.

- ما أعرفش حد بالاسم دا.

- متأكدة؟!

- آه.

- طب خلود جوة.

- نعم.. أنتِ بتهزري؟!

- خلود ما لهاش حد اتطلقت وأبوها الناقص طردها، وأنا ما ليش دعوة باللي حصل بينكم، بس أنتِ

عارفة غلاوة خلود عندي وغلاوة أمها الله يرحمها.. لو ناوية تعملي معاها مشكلة فعشان خاطري باتي في المكتب النهارده، أنتِ أصلًا بتحبي تباتي هناك.

تلألأت الدموع بعينيها وهي تتكلم بثقة:

- لا على إيه.. هي أتفه من إني ما أنامش في سريري عشانها.

دخلت حرية وألقت نظرة لتراها تجلس شاردة الذهن، تركتها حرية وتحركت إلى غرفتها والدموع تملأ عينيها، دخلت خلود خلفها.

- إزيك يا حرية.

تكلمت دون أن تنظر إليها:

- كويسة.

- لو مضايقة إني هنا أنا ممكن أمشي.

- ما عندكيش مكان تروحيه عشان كدا اقعدي.

- لسه طيبة زي ما أنتِ.

التفَّت لتمسح دموع عينيها ثم نظرت إليها بحده وهي تقول:

- على فكرة أنتِ هنا ضيفة ماما مش ضيفتي، يعني مش أنا اللي دخلتك، لأني يا خلود بكل بساطة لو شفتك بتموتي قدامي ولا هبص لك.

- أنتِ واخدة على خاطرك مني للدرجة دي؟!

- لو عندك حاجة مفيدة عايزة تقوليها انجزي، لكن ما تحاوليش تفتحي في القديم عشان مش من مصلحتك.

- بس أنا شايفة إنه من مصلحتي.

- خلود صاحبتي ماتت، وأنا عيطت على فراقها شوية وبعدين نسيتها.

ابتسمت خلود ابتسامة ساخرة وهي تجيبها:

- - أنا فعلًا كنت صاحبتك وحبيبتك، واللي كنت سندك، أنتِ بقى عمرك ما كنتِ ليَّ صاحبتي، لأنك عمرك ما سندتيني، عمرك ما شوفتِ غير نفسك كنتِ فين.. كنتِ فين وأنا بتضرب كل يوم وكنتِ بتشوفيني وجسمي مزرق ولا مكسور، كنتِ فين وأنا بعيط بالساعات في الحمام لوحدي وأنا حاطة إيدي

على بقى من خوفي لستي تسمعني، كنتِ فين لما كان جسمي بيتحرق ولا لما الحرق بيعلم فتضحكي وتقولي لي هو إيه العلامات اللي في جسمك دي كلها، بس شكلها حلو يارتني عندي زيها..

كنتِ عايزة زيها عشان ما حستيش بالوجع اللي بيحصل لي كل مرة على ما تخف، ولا إحراجي لما تخف وتعمل علامة وحد يسألني على العلامة دي.. فاكرة يا حرية لما طلبتِ مني إني أكتب لك اللي على السبورة وأنا قلت لك إيدي وجعاني.. أنا إيدي كانت مكسورة، فاكره لما كنت بطلب منك تغششيني في الامتحان وأنتِ قلتِ لي لو كنتِ ذاكرتي كنتِ حليتي.. أنا ما ذاكرتش عشان كنت نايمة موجوعة من الضرب لأن الامتحان اللي قبله ستي عرفت درجته فضربتني كالعادة، أنتِ كنتِ فاكراني بطلب منك تغششيني، بس أنا كنت بطلب منك تنقذيني، بس أنتِ ولا كنتِ حاسة.

لا وكل ما كنت ببقى عندك كنتِ بتقعدي لازقة في مامتك، كنتِ عايزة تحسسيني إن أمي ماتت صح، كنتِ بتعملي كدا قاصدة.. مش متأكدة من دي، بس اللي متأكدة منه إنك عمرك ما حسيتِ بيَّ.. اللي كان بيحس بيَّ هو ربنا وبس، عشان كدا بعت خد ستي وريحني منها.. بس حتى بعد ما ماتت ستي ما كانش قدامي إلا أبويا والقعدة مع مراته، يمكن مراته ما كنتش بتضربني، بس كانت مدمراني نفسيًّا، ودايمًا محسساني إنها بتتجبه عليَّ، عشان كدا في ثانوية عامة كنت باخد فلوس الدروس ومش بحضر، وكنت بجيب بفلوس الدروس شغل وأنزل أبيعه في المترو، ودخلت المراجعات ودخلت الامتحانات، فاكرة الليله اللي قبل النتيجه وأنتِ عمالة تقولي لي يارب أجيب مجموع يا رب أجيب مجموع، هو أنتِ ليه ما قلتيش يا رب نجيب مجموع، ليه ما كنتيش بتفتكريني في دعائك؟ آه كان ممكن ربنا يسمع منك وأنجح زيك.

أنتِ كنتِ مشغولة بمجموعك وما خدتيش بالك إني دخلت الحمام بتاعكم أكتر من ساعة ونص بعيط، بس ولما جيت قعدتي تقولي لي قد إيه أنتِ مبسوطة أوي، ليه ما فكرتيش تسأليني أنا هعمل إيه، هقول لهم إيه في البيت ولا هقول لهم إزاي إني سقطت وهما عارفين إني كنت بروح دروس، هقول لهم إني لسه هدخل الملحق ولا لا، ويعالم هدخل جامعة ولا معهد.. أنتِ يا حرية بجد كنتِ شايفاني صاحبتك؟! لو كنت صاحبتك كنتِ منعتيني من إني آخد قرار زي اللي أنا اخدته في الوقت دا، كنتِ شجعتيني إني أدخل أي جامعة أو معهد مش أوقف تعليم وأضرب الدنيا صرمة.. فترة عدت ودخلنا الجامعة بقيت أنا وأنتِ بننزل كل يوم الصبح بدري، بس أنتِ عشان جامعتك وأنا عشان أفتح المحل اللي كنت شغالة فيه، ونرجع بالليل نتجمع سوا بس تبدأ بقى فقرة والنبي قومي هاتي لي مياه، معلش ناوليني الشنطة، هو أنا اسمريت، ما أنتِ مش مقدرة قد إيه الجامعة هلاك، دا أنتِ في نعمة والله، أنتِ بس عشان مش مجربة تعب الجامعة، على الأقل أنتِ بتشتغلي وبتاخدي فلوس، إنما أنا بنزل الجامعة بدفع فلوس.. وكأنك كل مرة بتقعدي معايا بتبقى عايزة توريني قد إيه أنتِ تحفة وقد إيه أنا قليلة.. حقيقي كان نفسي تعتبريني صاحبتك في كل مرة كنت بتجرأ وأقول لك على حاجة حصلت معايا وضايقتني، ما كنتيش بتسيبيني حتى أكمل وتبدأي تفتحي أي موضوع أو تحكي عن أي حد، لحد اليوم اللي طلعت بيتنا وعرفت إني اتقرى فاتحتي، وحتى من غير ما ياخدوا رأيي من غير ما أشوفه من غير ما أعرفه، لا والغريبة إنه قال لهم إننا نعرف بعض، وفجأة عرفت إني خطوبتي كمان أسبوعين نزلت من بيتنا وكنت جاية ليكِ، ولما دخلت عرفت من طنط إنك سخنة وتعبانة وشفت خوفها عليكِ وقعدتها جنبك والكمادات اللي قاعدة تعملها لك.

حسيت إني نفسي يكون عندي بنت حلوة عشان أعمل لها كل الحاجات دي، كل الحاجات اللي أنا اتحرمت منها، حسيت إنه عادي فيها إيه لما أتجوز حتى لو ما أعرفوش، حتى لو ما بحبوش وهو أصلًا أنا اللي زيي ليه الحق يحب؟! وقررت إني مش هقول لك إلا لما أتخطب يمكن تحسي إن في حاجات مش بقول لك عليها وتبدأي تسألي عني أو تحسي إنك كدا بتخسريني.

بس اللي حصل ما كنتش أتوقعه، عدى الأسبوعين دول وعرفت إنه مش هتبقى خطوبتي، لا دا هيبقى كتب كتاب؛ اتصدمت واتصلت بيكِ وأنا جسمي كله بيترعش من خوفي، بس أنتِ كنسلتِ، اتصلت تاني وتالت كان نفسي تردي عشان أقول لك أنا إيه أهم مني عشان تكنسلي وأنا بجري عليكِ وأنا في قمة خوفي وأنتِ مدياني ضهرك.

قفلت موبايلي ولبست وخرجت لقيت أبويا والمأذون ووليد.. أقسم بالله كانت أول مرة أشوف العريس اللي اتفاجأت إنه وليد، في الوقت دا قررت إن كل وجع أنا حسيت بيه أحسسك بيه، قررت إني هوافق على الجواز مع إني ما كانش عندي فرصة إني أرفض لأن أبويا عايز يخلص مني، بعد كتب الكتاب قعدت مع وليد وأنا بستغربه لأن على حسب كلامك هو بيحبك أوي، ليه يعمل كدا؟! وكانت إجابته سخيفة أوي، بس بالنسبة لي في الوقت دا كانت ما لهاش أي لازمة «حبيتك من كلام حرية عنك واتمنيت إني أكون مع واحدة زيك، حسيت إننا شبه بعض أوي، ولما طلبت إيدك من والدك هو اللي استعجل أوي كدا، بس أنا ما عنديش مانع، ولو حابة احنا هنعمل الفرح بعد فترة»

قلت له إني مش عايزة فرح، بس أنا مش هخرج من بيت أبويا إلا بعد شهر على الأقل، وهو وافق، بس أبويا اللي رفض، وبعد ما وليد مشي كان هاين عليه يطردني.. فكرت في إن جوازي هيخرجني من كل القرف اللي أنا عايشة فيه وهيخليني أنفذ القرار اللي كان نفسي آخده من فترة طويلة، وهو إني أقطع علاقتي بيكِ، القرار اللي ما كنتش قادرة آخده..

وليد كان حقيقي شخص كويس جدًّا كان بيعاملني باحترام جدًّا، وأهله اللي ما شوفتهمش إلا مرتين تقريبا بسبب سفرهم، كانوا في المرتين دول بيعاملوني بذوق جدًّا، بس أنا واحدة كانت عايزة معاملة خاصة من ناحية خوفي من الناس وخوفي من الضلمة اللي كان بيعتبرهم وليد دلع زيادة مني، عشان ما يعرفش إن الخوف دا مبني على طفولة مش سوية نهائي، وزي علامات الحرق اللي كان بيقرف منها ودايمًا بيقول إني أكيد كنت طفلة شقية وبعمل مصايب، كان نفسي أقول له لا أنا كنت بتحرق من ستي اللي متأكده إن ربنا خدها عشان يعرفها وجع الحرق في جهنم بإذن الله، وزي تعليقه دايمًا على قعدتي على أرض الحمام، كان بيقول إني ملبوسة، بس أنا كان نفسي أقول له دا أكتر مكان بقعد فيه عشان دا المكان اللي برتاح فيه دايمًا، كنت لما بخاف أو بتوجع أو بعيط أو بحاول أهرب من الناس كنت بدخل أقعد على أرض الحمام، وممكن كنت أنام عادي، وليد كان بيستغرب لما يدور عليَّ في الشقة كلها ويعدي من جنب الحمام يلاقيني قاعده على الأرض وماسكة الموبايل أو فاتحة اللاب وساندة ضهري على البانيو، عشان كدا وليد طلقني لأنه مش عارف يكون مع واحدة غريبة زي أو مجنونة زي ما بيقول، ولما رجعت لأبويا طردني وقال لي ارجعي بيت جوزك.. فجت لك لأني مش عندي غيرك.. كنت عارفة إنك هتدخليني، بس كنت واثقة إنك هتتجاهليني كالعادة.. تفتكري بعد ما سمعتِ الموضوع من ناحيتي.. مين فينا الغلطان يا حرية؟!

على العموم أنا همشي بكرة ومش هاجي تاني.

***

خرجت وسابتني وكأنها رمتني في البحر وقالت لي فكري إزاي تخرجي لوحدك.. عقلي ما كانش قادر يستوعب، ما عرفتش أنام طول الليل لحد لما النور طلع وسمعت صوت باب الشقة بيتقفل، جريت بصيت عليها في الشقة ما لقتهاش، دخلت البلكونة اللي بتبص على الشارع لقيتها خارجة من باب العمارة.. جسمي اتشل، مش عارفة أطلع صوتي أنده عليها ولا أتحرك أنزل وراها، ولا أبطل عياط.

فضلت ٣ سنين بحط اللوم عليها وما فكرتش في مرة هي عملت كدا ليه.. وجت هي في يوم رمت الذنب كدا عليَّ وما بقتش عارفة أرد عليها.. ما بقتش عارفة مين الغلطان، مين الغلطان يا دكتور؟

كانت أول مرة ألاقي المتخانة هي الغلطانة.. أنا ضد أي حد يقول إن خلود الغلطانة، هو آه لكل واحد رأيه الشخصي، بس أنا مش هعرف أشوفها غلطانة.. يمكن لو المريضة دي جات لي قبل المريضة اللي قبلها كنت ثبت نظريتي عن الصحاب وإن دايمًا حد هيغدر بالتاني، بس لا، فيه صداقة حقيقية، يمكن مش كلنا قابلنا صديق حقيقي، بس فيه ناس قابلت صديق بجد.. حرية لما شافت وليد قالت له «أنت خنتني مع اللي وجعتني بجد عمري ما هسامحك، مش عشان خيانتك، لا، عشان خدت مني الإنسانه دي» دا لأن حرية كانت شايفة خلود إنها الصديق اللي بجد، وده لأن خلود دايمًا كانت بتثبت إنها تستاهل لقب صديقة، بس حرية بقى عمرها ما حسست خلود بنفس الإحساس، خلود ادت لحرية كل الحاجات اللي هي نفسها كانت محتاجاها.

المريضه اللي قبل دي قالت جمله استغربتها «تخيل لما صحوبيتنا تبقى ٢٢ سنة وأنا ما أعرفش لوحدي إنها تعبانة» أنا قلت جملة مجازية أكيد مش دا قصدها، بس لا هي فعلًا كانت أكتر حاجة مزعلاها إزاي حصل لها كدا وأنا ما أعرفش لوحدي.. خلود كان نفسها حرية تعرف لوحدها، ولما فقدت الأمل في إن حرية تحس بيها بدأت تحكي لحرية، بس ما لاقتش من حرية استجابة لكلامها، زي مثلا لما تقول لحد قريب منك أوي: «أنا محتاجك»، فيرد ببساطة: «هخلص وأكلمك»، وينسى وما يكلمكش.

سحاب

يقلب الصفحات ليصل إلى صفحة الحوادث.. أراد أن يتخطاها، لكن خبرًا ما لفت انتباهه، وهو موت سيدة الأعمال سلمى سحاب.. أشاح بوجهه لينظر إلى الفراغ وهو يفكر بأول وآخر مقابلة لهما.. كانت قبل عدة أيام.. ترك الجريدة ليقف وينحني أسفل مكتبه ليحرك تلك الحصيرة ليأخذ المفتاح الذي يتركه أسفلها، تحرك وبيده المفتاح ليفتح أحد أدراج مكتبه بتردد.. بحث بعدة شرايط إلى أن أمسك بأحدهم.. نظر إليه نظرة وكأنه يحدثه، نظرة خوف من الشريط، هل ذلك الجماد يمكن أن يتسبب في أذاه أو أذى من يحب.. بتردد وضعه بالمشغل ليستمع له.

- - - - - - -

- شغلت التسجيل؟!

- آه.

- سلمى سحاب.

- مش محتاجة تعرفي عن نفسك؛ عيلة سحاب غنية عن التعريف.

قبل أي حاجة لازم تبقى عارف إن بمجرد ما كلمة من اللي هقولها تخرج من الباب دا.. مش محتاجة أعرفك عيلة سحاب ممكن تعمل إيه.. بس في دي مش بس عيلة سحاب اللي هتأذيك، دا اللي دمر عيلة سحاب كمان مش هيسكت.

- دا تهديد بقى!

- مش تهديد بس تحذير.

- لا وتصممي إن كلامك يتسجل ما دام ما ينفعش حد يعرف أي حاجة، إيه اللي يخليك تجي عشان تحكي؟!

- عشان لو مت.. السر ما يتدفنش معايا.. لو مت يكون في حد تاني يعرف الحقيقة.

لم يعقب الطبيب أراد فقط الاستماع.

- سحاب.. اسم بيهز أي حد في الشرق الأوسط.. أصل عيلة سحاب من قبائل الأعراب المتنقلة، يعني اللي ما لهمش بلد، تاريخ عيلة سحاب معروف في أي حتة من بدايتهم خالص قبل أكتر من ٦٠٠ سنة واحنا كأفراد العيلة لازم نبقى حافظينه، دا تاريخ بيدرسوه لينا مع باقي مواد المدرسة، لدرجة إن لينا كتاب ما حدش يعرف عنه حاجة غير عليتنا بس، الكتاب بيبدأ من سنه ١٤١٤، يوم ما قبيلة هجمت على القبيلة بتاعتنا وقتلت كل اللي فيها إلا عيل صغير، العيل اللي شاف عيلته كلها بتموت، اللي شاف أهله وناسه بيموتوا قدام عينه، كان اسمه سحاب.. عدت سنين لحد لما كبر، بس على حسب ما بيقول الكتاب هو كان قوي، قوي أوي من كتر الحمل اللي اتحمله من تعب وجوع وبرد وحاجات كتير، لحد لما دخل القبيلة اللي قتلت أهله وبقى أعز من ابن سيد القبيلة عند سيد القبيلة، لدرجة إنه اتجوز بنته،

وزي الكتاب ما بيقول هي ما شافتش يوم حلو معاه من ضرب وإهانة لحد لما خلفت، وخيرها بين ولادها وأهلها ولما اختارت أهلها وقف في المكان اللي الكل بيتجمع فيه ودبحها قدامهم، وهنا كانت هي الحرب اللي أعلنها عليهم، وبرضه على حسب ما بيقول الكتاب إنه هو قتل كل كائن حي من القبيله دي حتى الأطفال اللي أقل من سنة.

ومن سيرته اللي انتشرت إنه كل ما كان بيدخل قبيلة كانوا بيسلموا له كل حاجة هو عايزها من ماشية وأسلحة وحتى بناتهم، كانوا بيفدوا القبيله ببنت من بناتهم بس عشان سلامة القبيلة، من كتر البنات اللي هو خطفهم من قبائلهم كان عنده ١٢ زوجة والباقي كانوا جواري لمرتاته.. بس الـ١٢ ست دول كان بيعمالهم حلو أوي، حتى الجواري كان بيحترمهم، بس هدفه من جوازه الكتير هو الخلفة الكتير عشان يأسس قبيلة غير قبيلته اللي ماتت، قبيلة كلها رجالة أقويا يقدر يحارب بيهم.

استمر الوضع كدا لحد ما بقينا أكبر عيلة في الشرق الأوسط، العيلة اللي كل جزء فيها في بلد شكل، العيلة اللي مش الكل يعرف بعضه، بنعرف بعض من كارت بيتعمل لكل فرد مننا إنه تابع لعيلة سحاب.. يعتبر الكارت دا زي الكارت الدهبي كارت الأحلام.. يوم ما تبقى في المطار ومتعطلة عشان أي حاجة كارت سحاب بيطلع، يوم ما حد اسمه يتجاب في قضية الكارت بيطلع.. يوم ما أي حد بيعوز مساعدة لأي حاجة في البلد الكارت بيطلع.. بس الكارت لونه بيختلف، يعني لون الكارت كل ما يبقى غامق وقريب للأسود كل ما بيكون الفرد دا نسبه أقرب، يعني ابن كبير العيلة مش زي الحفيد، مش زي ابن العم كدا يعني.

تعرف أنا مرة كان في مشكلة بيني وبين واحدة، كل واحدة فينا بتقف قدام التانية بثقة أوي وأنا طبعًا واقفة عارفة النهاية، أصلي سلمى سحاب، بس الغريبة ثقتها اللي ما كنتش فاهمة إيه سببها، لحد أما طلعت كارت عيلة سحاب، استغربت وطلعت لها كارت عيلة سحاب، بقينا واقفين مش فاهمين حاجة، لحد ما عرفت إنها بنت عمتي.. عمتي اللي عمري ما شفتها أصلًا.

احنا عيلة عددها يساوي عدد شعب، مفيش أي حاجة فينا مشتركة إلا اسم العيلة «سحاب»، بس أصل العيلة اللي هما كبارها بجد كلهم عايشين في مصر.

احنا العيلة اللي ما تعرفش مين بيحب مين، يمكن لأن مفيش حد بيحب حدن بس بالرغم من إني ممكن ما حدش يكون بيحبني، إلا إني لما أقع في مشكلة هلاقي ألف من يحلها لي، مش عشان حاجة بس عشان ما ينفعش بنت عيلة سحاب تقع في مشكلة، لأن دا يضر اسم العيلة.. العيلة اللي كبرت بالحرام في كل حاجة.. في عيلتنا بيبقوا متجوزين أكتر من ٤، يعني ٤ رسمي والباقي عرفي.. عيلتنا بتتاجر في جميع أنواع السلاح والمخدرات، عدد الناس اللي ماتت بسبب عيلة سحاب أكتر من اللي ماتوا في الحرب العالمية الأولى والتانية.

- كل حاجة بدأت لما سمعت إن كبير العيلة اتدبح وهو في بيته.. يعني إيه.. مين يتجرأ على حاجة زي كدا مين قدر يدخل قصر سحاب ويتجرأ على حد من عيلته.. كان خبر مفاجأة للكل، والغريبة إن اللي عمل كدا كان عارف إن مفيش حد من العيلة في البيت إلا الكبير.. كان الكل لازم يتجمع عشان نعرف مين هيبقى كبير عيلة سحاب.. بس بالقرابة الأولى يعني مش أي حد من العيلة هيتجمع.

دخلت البيت كان اتنين إخواتي من أصل ٨ هما اللي موجودين، سلمت عليهم وعلى ولاد عمي، كان منهم موجود ١٢، منهم ٧ عايشين في القصر هنا.. ما حدش كان متأثر، كله مشغول يحكي للتاني عن حياته في الفترة الأخيرة، كنت قاعدة مش عايزة أتكلم مع حد، بس كانت عيني عمالة تدور على جود.. جود عندها ١٧ سنة تبقى بنت جدي، يعني بنت كبير العيلة اللي مات، كنت عايزة أعزيها وكنت بدور عليها بعيني لقيتها داخلة وباصة في الموبيل، وحتى ما خدتش بالها من حد وما سلمتش على حد، قلت أكيد زعلانة.

***

سلمى: مش هتسلمي عليَّ يا جود؟!

ليلى: إيه دا أنتِ هنا من إمتى يا سلمى؟!

سلمى: بقالي شوية.

أميرة: جود.. جوود.. جوود يا حبيبتي أنتِ كويسة؟!

صاحت بهم جميعًا:

- إيه إيه مش برد يبقى بعمل حاجة أكيد.. ينفع كدا أديني خسرت بسببكم ما كنتوش عارفين تسيبوني ٥ دقايق بس كنت خلصت الجيم.

ليلى: أهي هي كدا ما بتحبش حد يكلمها وهي بتلعب.

عبير: أنتِ ما عندكيش دم يا بت ولا إيه.

نظرت إليها جود نظرة غضب.

سمر: جود، اطلعي على أوضتك العبي براحتك.

تحركت جود ببطء لتصعد.

سمر: جود حساسة أوي وبلاش حد يضغط عليها.

أميرة: دا على أساس إيه بقى جاية تدينا نصايح؟!

عبير: هو أنتِ مش عارفة إن تجمع النهارده للعيلة بس؟!

سمر: لو مش هتحترموني، على الأقل احترموا جوزي اللي هو أبوكم.

عبير: ما بحترمش الكلاب اللي بيجروا ورا أي حاجة عشان حتت عضمة.

سمر: عبير احترمي نفسك أنا في مقام أمك.

أميرة: أنتِ مصدقة نفسك أنتِ أصغر مننا ورحتِ تتجوزي أبونا اللي عمره ضعف عمرك.

سمر: بحبه وأنتم مالكم.

ليلى: سمر، لو سمحتِ من غير رغي كتير اطلعي على أوضتك؛ أنتِ مش من حقك تقعدي في تجميعة النهارده عشان أفراد العيله بس اللي بيبقوا موجودين، لكن أجوزتهم لا، دا غير إن جوازك عرفي.

لم تستطع سمر أن تتكلم مرة أخرى خوفا من ليلى وشخصيتها القوية رغم حنانها وطيبتها.. صعدت سمر وظلت الفتيات يسردن آخر أحداث حياتهن.

عبير: ما حدش يعرف القايمة بتاعت الناس اللي هييجو مع مين.

أميره: آه مع بابا.

سلمى: عمي جلال بعتها لي اللي هيحضر النهارده...

أخرجت هاتفها وبدأت تسرد الأسماء:

- عمي ياسر وولاده اللي هيحضر منهم.. أنتِ يا عبير وعمر وحبيبة وسامي وسهر.

- ولاد عمتي سمر الله يرحمها.. أميرة وليلى وعمرو وأحمد وجلال.

- عمتي علا وولادها.. نهاد ومنار وأمير.. أم سليم وعلي اعتذروا مش هيجوا

- عمتي نهى وولادها.. سامي وباهر وسعيد وسالم الباقي برا البلد.

- ولاد عمتي دينا الله يرحمها.. شريف ونانسي وهديل وهاجر.

- ولاد عمتي نادية الله يرحمها.. معاذ وهالة وشادي وسمير وسارة وعرفة.

- بابا الله يرحمه.. مروان ومازن وماهر ومنى وسجا وأنا.

- عمي أحمد وولاده.. سيلا وساندي وساهر ولوما.

- عمي جلال وولاده.. صولا وهادي وجاسر وأميرة.

- وطبعًا جود.

- اللي ما اتقالش اسمه طبعًا يبقى مش شرعي أو ممنوع لأسباب ما نعرفهاش، وطبعًا أولاد كل اللي جايين.. بس أنا ولادي مش هيعرفوا يجوا.

جود: سلمى.. هو أنتِ قولتِ آخر اسم مين؟!

- عمي جلال وولاده.

جود: لا اللي بعده.

- أنتِ.. جود.

جود: بس أنا أبقى عمتك، يعني لما تيجي تقول لي اسمي تقوليه عدل، فاهمة يا بنت أخويا.

أميرة: اجري يا بت يا مفعوصة من هنا ما بقاش إلا أنتِ وتتكلمي.

سلمى: جود أنتِ عارفة فرق السن بيني وبينك كام؟!

جود: قانون ٢١ في كتاب سحاب «السن رقم.. الترتيب يحترم».. وبالترتيب أنا بنت راضي.. كبير عيلة سحاب وجدك اللي هو أبويا.

ياسر: جود عندها حق.

عبير: إيه يا بابا أنت هتقوِّم بت ما تكملش ٢٠ سنة علينا.

صاح بها والدها:

- عبير.. أنتِ بتتكلمي عن عمتك يبقى تتكلمي باحترام.

***

دا كان المشهد اللي شد أعصاب الكل قبل ما الباقي يتجمع.. اتجمعنا كلنا واتعلن إن عمي جلال اللي هيبقى كبير العيلة بحكم إنه كان مختاره جدي، حتى إنه كان قاعد في البيت هو وأولاده مع جدي وكانت جود معاهم، حتى إن سمر مرات عمي هي اللي بتهتم بجود.

اتلم الكل على أكبر سفرة ممكن تشوفها والخدم حط الأكل.. جود رافضة الأكل وطلعت، وراحت وراها سمر مرات عمي بحكم إنها ما لهاش حق في القعدة دي، أما أنا فقعدت معاهم بس.

الكل أكل وقام، اتجمعنا تاني بس كانت قعدة عادية، رغي وكدا مش أكتر، أما أنا ركبت الأسانسير وطلعت أوضتي أنام.. آه كل واحد فينا عنده أوضه في القصر دا.. بس الأبناء الشرعيين بس، وكل ٢ في أوضه.. العدد آه كبير بس القصر أكبر.. كنت طالعة أنام لأن بطني وجعاني.

صحيت الصبح لقيت منى أختي جنبي خارج من بوقها ريم أبيض وبصحيها مش بترد، خرجت أجري على ماهر أخويا الكبير دخلت الأوضة كان هو ومازن في نفس الحالة، جريت على كل الأوض كلهم نفس الحالة.. اليوم دا مات أكتر من ٥٢ فرد في عيلة سحاب بولادهم.. كل اللي في قصر سحاب ماتت ما عدا أنا وجود وسمر.. لما ركزت جود وسمر ما قعدوش على السفرة معانا وأنا كنت قاعدة، بس لأن بطني كانت وجعاني ما كلتش.. العيله كلها اتسممت.

لما المباحث جت ودوروا في البيت كله طبعًا دا أخد منهم ساعات من كبر البيت، بس برضه لاقوا أزايز السمر في المطبخ ولاقوا إزازة واحدة في أوضة سمر.. مش عارفة ليه حاسة إن سمر ما لهاش علاقة.. مش عشان سمر قاعدة تصوت وتحلف إنها مش هي.. لا، بس عشان سمر أهبل من إنها تعمل كدا.

كنت في حالة انهيار بس جود بتتعامل بكل هدوء ولا كأنها كانت معرضة للموت، ولا كأن عيلتها كلها ماتت.. دا أقل حاجة تتأثر من شكل الجثث، بس لا، جود كانت بتبص نفس النظرة البارده بتاعتها.. كان عندي إحساس غريب إنها اللي عملتها، بس إزاي دي طفلة عمرها ١٨ سنة.. روَّحت معاها بس ما أكذبش عليك كنت هموت من الرعب، بس إيه اللي ممكن تعمله طفلة زيها.. دخلت أنام، أنا آه خايفه منها بس برضه دي طفلة ما ينفعش أسيبها لوحدها في قصر كبير زي دا.. أنا قلت الصبح هكلم جوزي يجيب لي الأولاد يقعدوا معايا لحد ما أكلم باقي إخواتي وولاد عمي يجوا نشوف موضوع العزا والدفنة، والجثث لما تتشرح، ومين اللي هيبقى كبير العيلة ولا هنعمل إيه.

نمت وصحيت لقيت جود بتخنقني.. جود كانت بتخنقني بالمخدة.. جود اللي قتلت الكل.. وحاولت تقتلني أنا كمان، زقيتها وطلعت أجري على عربيتي وجريت ورايا، الحمد لله إني هربت وجيت على هنا، عشان جود هتقتلني وأنا عايزة الحقيقة تبان حتى لو أنا مت، لازم يكون فيه تسجيل لاعتراافي دا، أنا متأكدة لو سجلت التسجيل دا في أي حتة هي هتوصلها وهتاخد التسجيل، لكن مستحيل تفكر إن التسجيل مع دكتور، ولأي من عيلة سحاب ما أقدرش أبلغ عن أي حد من أفراد عيلة سحاب.. أنا آسفة يا دكتور إني بورطك في حاجة زي كدا، بس أرجوك لو في يوم سمعت خبر موتي التسجيل دا أمانة عندك لازم يوصل للمباحث.. أنت الدكتور اللي عالج هنادي بنت خالتي وهي اللي قالت لي عليك.

- هنادي.. الاسم مش غريب عليَّ.

- هي حكت لي إنك كنت السبب في إنها تخف بجد، وأنا لما قررت إني هروح لدكتور قررت أثق فيك.

- عندي سؤال.. هي ليه جود بتعمل كدا؟!

- لحد دلوقتِ مش عارفة.

- - - - - - -

طرق الباب، أغلق الطبيب مشغل الصوت بسرعة.. فتح الباب لتظهر الممرضة تخبره عن المريض الذي ينتظره في الخارج، فطلب منها إدخاله.. دقائق وكان المريض يطرق الباب فتح الباب بعد أن سمح له الطبيب.. دخلت وكانت فتاة يبدو عليها الثراء.

- إزيك يا دكتور؟!

- اتفضلي.

- لا مش حابة أتقل عليك.. أنا عايزة الشريط.

- نعم.. شريط إيه؟!

- سلمى سحاب.

- ما أعرفش حد بالاسم دا.

- أنت تعرف يعني إيه أنا دبحت كبير عيلة سحاب اللي هو أبويا.. تخيل ممكن أعمل إيه معاك.

- احححم.. يعني أنتِ بتعترفي إنك قتلتِ كبير العيلة.

- أنا قلت كدا.. لا أنا قتلت عيلة سحاب كلها.. أو أحسن خليني أقول إني قتلت أفاعي عيلة سحاب.

- والسبب؟!

- وقتي أغلى من إني أضيعه معاك.

- بس وقتك مش أغلى من الشريط.

- وأنت بقى يا دكتور أنهي أغلى بالنسبة لك.. روحك ولا نازلي مراتك.

- دا أنتِ حتى عارفة اسم مراتي.

- أنا من عيلة سحاب.

- بس كل اللي ماتوا كانوا من عيلة سحاب برضه.

- كانوا بيستخدموا دم سحاب غلط.. أكيد اتحكى لك عن سحاب الكبير ودمه اللي مليان شر بيجري في عروقنا كلنا، بس فيه اللي بيستخدمه صح، وفيه اللي بيستخدمه غلط زيهم.

- عشان كدا موتيهم؟!

- لا.. موتهم عشان بيضايقوني.. وبيزعقوا لي.

- نعم.

- أنت بتزعق لي؟

- لا أنا استغربت.

- ما قلتليش مراتك ولا روحك.

- مش لما أنتِ تقولي لي الشريط ولا وقتك.

- تمام.. ٣ أسئلة بس.

- قتلتِ الكبير ليه.

- عشان بيزعلني.

- أنا بتكلم عن السبب اللي بجد.

- هو دا السبب اللي بجد.. بيعمل حاجات بتزعلني زي إنه قتل أمي وإنه منع باقي العيلة من الدخول للقصر لمجرد إنهم رافضين شغله، وزي إنه بيزعلقي لما بقعد ألعب على الموبيل وما بردِّش على حد، عشان كدا دبحته أهو فرصة عشان الكل يتجمع.

- أنتِ اللي حطيتِ السم ليهم؟!

- وهو فيه غيري.. هتسأل ليه هقول لك عشان دول أسوأ ناس على وجه الأرض، القتل أسهل حاجة بيعملوها وكأنهم بيتغذوا على دم البشر وأكل الحرام.. قايمة الحضور أنا اللي مرتباها عشان كل اللي أنا عايزاهم يموتوا يكونوا موجودين.. تعرف إني دخلت الأوض عليهم كلهم عشان أشوفهم وهما بيطلعوا في الروح، كانت أسعد لحظة في حياتي.

- مين هيبقى كبير العيلة دلوقتِ؟!

- أنا لسه ما اخترتش، بس كبير العيلة هيبقى أنضف حد فيهم.. خلصت الأسئلة.. أنا مش حابة إني أموِّت حد بريء، بس لو على حساب حياتي مش هيبقى عندي مشكلة.

خرجت جود من العيادة منتصرة..

***

هي فعلًا خرجت منتصرة، بس ما كانتش تعرف إني بسجل لكل الحالات اللي عندي، يعني بمجرد لما الممرضة بتقول لي إن في حالة برة أنا بشغل التسجيل تلقائي، وكل كلمة هي قالتها كانت الدليل الأكبر في المحضر اللي أنا عملته ضدها، بس مش قادر أستوعب إزاي طفلة ممكن يطلع منها كل دا؟!

جود مش مريضة، جود أذكى بنت شفتها، كفاية إنها عرفت تقضي على عيلة سحاب أو على حسب مصطلحها على أفاعي عيلة سحاب بدون أي دليل غير اللي معايا، في رأيي جود مش غلطانة برغم من إنها في رأي المحكمة والناس كلها هي مجرمة تستحق القتل، ولأنها تمت الـ١٨ سنة فهيتحكم عليها بالإعدام، وده اللي شجعني إني أقدم التسجيل للنيابة.

برضه أنا شايف إنها مش غلطانة، دي أنقذت البلد كلها والمفروض تتكرم لأنها لما قتلت ما قتلتش إلا الأفاعي، كان ممكن أي حد عايش دلوقتِ يموت كمان دقيقة على إيد حد من أفاعي عيلة سحاب، كان

ممكن دلوقتِ يكون ولد بيشرب أي نوع من المخدرات اللي بيدخلها أفاعي عيلة سحاب البلد كل يوم، كان ممكن أي ظابط يخسر شغله النهارده على إيد أي حد من أفاعي عيلة سحاب، ودا لأن الظابط عايز يتبع القانون اللي درسه.

جود أنقذت كتير من الناس، جود بنت شجاعة حاربت عيلة كبيرة وانتصرت حتى عليَّ، فهي انتصرت، بس اللي حصل إن أنا الحظ حالفني لأني شغلت التسجيل وقتها.. فكرة إني شايفها شجاعة وذكية ومش مريضة ما كانتش كفاية إني أسكت عن اللي هي عملته، وإلا كان زماني ميت على إيد جود دلوقتِ، جود قتلت ناس تستاهل إنها تموت، بس دا مش هيمحي حقيقة إنها قتلت.

حياتي

دخلت النهارده العيادة وما كانش عندي طاقة حتى إني أستقبل أول مريض عندي.. فضلت أقول للممرضه تأجل المواعيد، بس بالفعل كان فيه مريض برة قلت لها تعمل لي قهوة تقيلة عشان أعرف ارفع دماغي عشان أقدر أتحمل كم الحكاوي بتاعة النهارده، المهم أجلت المريضة دي بتاع ساعة.. دخلت كانت بنت بمعنى الكلمة رقة وأنوثة، أعتقد إني لو كنت مش متجوز كنت عرضت عليها الجواز فورًا.. أصل إيه اللي يمنع.. شياكة، حلاوة، عيون، حتى شعرها لافت، بس اللافت أكتر ريحة البرفيوم بتاعها.. فضلت واقفة لحد لما طلبت منها تقعد.. ابتسمت بهدوء وقعدت.. بس واحدة زي دي إيه اللي يجيبها لدكتور نفسي، دي علاجها الوحيد إنها تبص لنفسها في المراية، أعتقد هترتاح أوي.

- اسمي ليلة.

- أهلًا آنسة ليلة

- لا ليلة مش ليلى

- تمام.. تحبي تبدأي منين؟!

- هي.. يعني بص.. هو أنا حكايتي غريبة شوية، لا مش شوية هي كتير لدرجة إنك هتحسها فيلم هندي قديم وأوفر كمان، كل حاجة هقولها هتبان أوفر جدًّا، بس هو دا اللي حصل.. أنا هحكي لك كل حاجة بالتفاصيل عشان كدا أنا حجزت أول تلات كشوفات عند حضرتك عشان الوقت يكون كفاية.. خطوة إني أجي لدكتور كانت بعيدة أوي، وبالذات لأني مش بحب أحكي اللي حاسَّاه لحد.. آسفة لو مقدمتي طويلة أوي، بس حبيت أوضح لك شوية حاجات.

ابتسمت بارتباك أظهر توترها.

- أنا وحيدة بابا وماما، عشت ١٤ سنة دلوعة بابا وماما... يوم عيد ميلادي الـ١٤ كانت هديتي من ماما هي إنها حامل وإن بعد ٩ شهور هيبقى عندي أخ أو أخت وده كان حلم حياتي.. نونو صغير يكون لعبتي حتى أمارس عليه دور الأم اللي دايمًا كنت بعمله مع عرايسي، كان عندي استعداد أساعد الدادة على قد ما أقدر عشان ماما ما تقومش تتحرك، أصلها كانت تعبانة أوي

نمت بعد ما اتهلكت لعب معاها مع إني كبيرة إلا إني بحب اللعب، أصلي طالعه لماما وهي كانت دايمًا بتلعب معايا، بس يوميها بعد كل اللي عملناه في المطبخ وهي بتحاول تعلمني الطبخ بس مفيش فايدة كالعادة، وبعد هدة اليوم دي كلها طلعت معايا أوضتي وقعدنا على السرير، حضنتني وفضلت تتكلم كلام ما ادتهوش أهمية من كتر تعبي، حتى إني نمت وما حستش بيه.. صحيت على صوت عالي أوي.. هتسأل إزاي عرفت أفرقه وأنا نايمه.. ما حدش بيغني بالحلاوه دي غيرها.

جسمي كان مكسر وأنا كنت كسلانة.. لسه ببص على الساعة لقيتنا لسه بدري أوي، كنت لسه هنام تاني.. فاجأتني إن النهارده يوم الولادة، مع إنها امبارح قالت لي لسه أسبوع.. قالت لي كدا عشان أنام وأعرف أصحى معاها الصبح... وصلنا للمستشفى وبابا خلص الإجراءات ودخلت العملية.. نص ساعة ولقيتهم بيقولوا إن النونو جه الدنيا.. بعد قلقي وخوفي بدأت أطمن، لا ومش بس كدا، دا أنا كنت طايرة من الفرحة، حسيت كأن حتة من قلبي خرجت للدنيا.. كان نفسي أشوفها وأحضنها بس أنا عارفة

إنها صغنونة أوي دلوقتِ، ومش صح إني أمسكها، بس على الأقل هبوسها.

اتأخر الوقت وماما لسه ما خرجتش والنونو لسه في الحضانة.. بدأت أقلق تاني، لحد لما خرج الدكتور اللي قبل لما تدخل العمليات قال لي ما تقلقيش ماما هتبقى كويسة.

وقف اتكلم مع بابا شوية.. قربت عليهم لما صوت بابا بدأ يعلا وهو بيقول:

« لا يعني إيه لا، بس طلعوها أنا هصحيها.. لا لا هي بس لسه ما فاقتش من البنج.. يا عم بس ماتت إيه تف من بقك، هي مش هتسبني أنا عارف..»

قعدت على الأرض حاولت أرتب الكلام.. أنا كبيرة كفاية عشان أفهم الموقف.. أكيد أكيد النونو الصغنن ماتت، أكيد بس مش مشكلة ماما أكيد هي اللي عايشة، ماما هتجيب نونو تاني.. أنا أصلًا مش عايزة نونو.. أنا عايزة ماما.. هي هتطلع من هنا دلوقتِ وهتحضني عشان أنا خايفة.. أنا خايفة بجد.. هي ما حصلهاش حاجة أكيد.

- ناس داخلة وناس خارجة بتعزي، فيه اللي بيقول يا حراام، طب البنت الصغيرة هيعملوا معاها إيه، واللي يقول دا جوزها أكيد منهار، واللي يقول النونو دا كان نحس، كل واحد بيقول له كلمة، وأنا قاعده وسطهم بعيط بس لا برد ولا بسلم ولا بتكلم ولا أي حاجة.. كنت مقهورة.. خالتي قعدت معانا أسبوع بعد العزا وروحت لبيتها وعيالها عشان ما توحشهمش زي ما ماما وحشاني، ما بقتش فاهمة إيه اللي بيحصل، طب هو دا اللي ماما كانت بتقول عليه اختبار ربنا.. بس يا ربنا دا اختبار صعب صعب أوي.. طب هو فعلًا النونو نحس.

دخلت أوضة النونو وبابا كان واقف بيبص لها وهي نايمة.

- تعالي يا ليلة.

حضني.. كنت هموت وأعيط بس من يوميها وقررت إني مش هعيط مش هينفع أعيط.

- أنتِ عارفة يا ليلة ماما اختارت حياة أختك وفضلتها على حياتها، عشان كدا احنا لازم نخلي بالنا منها.. وأنتِ من هنا ورايح هتبقى أمها وأختها وكل حاجة، وهي دي مهمة الأخت الكبيرة إنها تبقى الأم التانية.. بس دلوقتِ مفيش أم أولى عشان كدا أنتِ هتبقى الأم الأولي ليها، وأنتِ كبيرة وفاهمة دا معناه إيه صح؟!

رديت عليه وأنا بمسح آخر دمعة نزلت على وشي:

- هي اختارتها واختارت إنها تمشي وتسبنا.. بس كالعادة أنا هحترم اختيارها.. البنوتة دي هنسميها حياة.. عشان هي هتكون الحياة لينا احنا الاتنين.

وأنا لسه بكمل كلامي لقيتها عيطت.. تقريبا كانت بتعيط بدالي.. شيلتها وفضلت باصة لها ولحد لما نزلت دمعة من عينيا ووقعت على وشها، ساعتها بس كانت أول مرة أشوفها مفتحة عينيها الرمادي.

- تخيل إني بدأت أصدق إنها بنتي.. مهما أكون مهمومة كفاية بس أبص في عينيها أو أسمع ضحكتها، كانت فعلًا الحياة بالنسبة ليَّ.. كان حضن منها يكفيني الدنيا.. دايمًا ماما كانت بتقول إن الدنيا مش وحشة بس، ولا حلوة بس، وإن بعد الصبر بيجي العوض، وهي كانت العوض بتاعي، بعد يوم مدرسة أجي ألعب معاها، بصراحة لولا الدادة ما كنتش عرفت أتعامل في مواضيع كتير.. تعرف أول عيد ميلاد ليها خدتها ورحت المدافن من ورا بابا.. بعد موت ماما بابا بقى حويط أوي، بقى لو واحدة جالها برد يجيب مية دكتور، كان خوفه من إنه يخسر حد مننا أكبر بكتير من أي حاجة، حتى لو دا هيزعلنا.. بعد اليوم دا قررت إني مش هروح لماما تاني في اليوم دا.. هروح أي يوم بس اليوم دا لا.. لأن اليوم دا يوم عيد ميلاد بنوتي.. مش هعقدها من عيد ميلادها سنة ورا التانية.. بدأت أتعرف على اتنين صحاب ليَّ.. الغريبة إن كل واحدة عرفتها بطريقة مختلفة، واحدة كانت بنت صاحبة بابا وأصغر مني بـ٤ سنين والتانية تبقى بنت الدادة، ساعات بحسها أختي مش بنت الدادة بتاعتي.. ودي أصغر مني بـ ٦ سنين، برغم السن إلا إني بجد لولا إن الاتنين دول في حياتي أنا كنت تعبت أوي.. مش حاجة سهلة إني أصحى طول الليل بطفلة وبعديها ألبس وأنزل المدرسة وأرجع هموت وأنام، أصحى من شدها لشعري.. طبعًا مش هما بس اللي وقفوا معايا، مراد أرجل واحد شفته في حياتي.

سنين عدت كل يوم كانت قدامي بتكبر وتحلو، فاكرة أول مرة لمت لها شعرها في توكة بعد ما طول.. فاكرة أول ضفيرة صغننة عملتها لها، فاكرة كل لعبة لعبتها معاها، فاكرة خروجتنا سوا وأنا شايلاها على قلبي رايحة جاية بيها في كل حتة مع صحابي، دا حتى في الجامعة كانت بتلزق لي.. يوم خطوبتي على مراد كانت لابسة نفس فستاني بس على صغير، وكانت قاعدة على رجلي، حتى إنها كانت عمالة تعيط لما حضني بعد ما لبسنا الشبكة، وقعدت تقول لا أنتِ تحضنيني أنا بس، وفضلت تضربه وتقول له مش هتاخدها مني، وهو يرخم عليها ويقول لها ما أنا خدتها خلاص.. يوم الخطوبة دا بالذات ما رضيتش تنام في أوضتها ونامت في حضني كالعادة، هي أصلًا ما بتحبش تنام بعيد عني.. مش عارفة إزاي أنا بحتفل النهارده بعيد ميلادها العاشر.. بقى عندها عشر سنين، عشر سنين وهي في حضني وهي بنتي.. عدا عشر سنين على موت ماما.

كانت فرحتي بحياة أكبر من حزني على أمي.. حياة عوضتني وادتني الحياة فعلًا... أي نعم بقت صعبة أوي وعاملة لي فيها الكبيرة، بس على مين؟! أنا برضه أكبر بـ١٥ سنة.. تعرف أول لما بقول لها كدا بتزعق وتقول لي لا أنتِ أكبر بـ١٤ ونص بس.. فيها من ماما كتير.. نفس عنادها نفس صوتها اللي لما يغني تحس إنه بيلمس قلبك بجد.. حتى إني وعدتها أقنع بابا في موضوع الغنا دا.

- كنت فاكرة إن موت ماما أوحش حاجة هتحصل لي.. صيف ٢٠١٧.

جالي عرض آخد الماجستير والدكتوراه في جامعة برة مصر، بس الصعب هسيب حياة وبابا لمين؟! وكمان رأي مراد هيبقى إيه.. بابا ما كانش عنده مانع، ولو على حياة تقدر تيجي معايا، بس المشكلة في فرحي اللي قرب دا.. أول لما قلت لمراد كانت أول مرة يتعصب عليَّ.. قال لي إني مش هستفاد بيهم في حاجة، وإني كدا كدا هتجوز وأقعد في البيت وكلام كدا أنا ما فهمتوش يعني إيه.. كان أول مرة يقول لي إنه عايزني أقعد في البيت.. قال إيه مراد عزمي ما ينفعش مراته تشتغل.

- أنا أعرف مراد من المدرسة، أنا من قريب بس عرفت حوار إن بابا مكتبه مسؤول عن كل حاجة لعيلة مراد.. مراد من واحنا صغيرين وهو حنين أوي عليَّ، عمره ما زعق لي حتى دي كانت أول مرة عشان كدا

استغربت، بس أول لما روَّحت لقيته باعت لي «ماسج» بيقول لي «أنا مش عايز أضغط عليكِ زي ما عملت النهارده، عشان كدا خدي قرارك براحتك، وأنا معاكِ في أي حاجة هتقرريها، بس فكري شوية هتقدري تبعدي عني».. لما فكرت مع نفسي لقيت إني مش هقدر أبعد فعلًا.. بس برضه قلت هفكر أكتر عشان ما أندمش على أي قرار هاخده، وبالصدفة بابا قال لي احنا مسافرين، قلت دي فرصة أهو عشان أعرف أفكر بهدوء أكتر.. بعد محايلة على بابا وافق إننا نروح الفيلا اللي في مطروح، من ساعة ما ماما ماتت ما رحناش، كنت عايزة أروح عشان حاجة ماما اللي هناك، رحنا وكان كل العمال اللي هناك مش موجودين طبعًا، عشان الفيلا بقالها كتير ما حدش بيجي فيها فهيقعدوا يعملوا إيه؟! بس البواب ومراته كانوا هناك.. وبجد كانوا بيخلوا بالهم على الفيلا جدًّا، لدرجة إني حاسة إن كل حاجة نضيفة كأننا عايشين فيها بالظبط.. طبعًا بابا نزل مع الدادة عشان يجيبوا الحاجات الأكل وكده يعني، وراحت معاهم مرات البواب عشان تعرفهم الطريق، وأنا فضلت لأن حياة كانت مقتولة نوم.. ما لقتش حاجة أعملها قمت أقلب في حاجة ماما، دخلت الدولاب هدومها زي ما هي، ليه هي راحت وهدومها فضلت؟! نفسي بس أشوفها أحضنها حتى أشم ريحتها، عيني جت على صندوق من اللي ماما كانت بتحط فيه دهبها وحاجاتها، فتحته لقيته فاضي.. بس إزاي أنا متأكدة إن من قبل ما تموت بشهر كنا هنا، حتى كانت حامل في حياة وادتني عقد من العلبة دي وقالت لي «عايزة عريسك يلبسه لك يوم فرحك» أنا حتى جيت عشان آخده بس هي شالته في علبة تانية ورمتها فوق الدولاب وقالت لي مش هنجيبه إلا قبل فرحك.. بس برضه العلبة دي كان فيها دهب كتير جدًّا.. جايز بابا خده بس هو جاي إمتى.. نزلت جيبت كرسي من كراسي المطبخ الطويلة دي وطلعت عليه فعلًا لقيت العلبة اللي كان التراب مغطيها.. فتحتها لقيت العقد العقد اللي مراد هيلبسه لي في الفرح عشان أنا فعلًا مش هعرف أسيب مراد وأسافر.

الغريبة إن وأنا نازلة لمحت جنب السرير فستان من فساتين ماما، نزلت ومسكت الفستان كانت ريحته غبية أوي، يعني كانت ريحة عرق مع برفيوم مقرف أوي، وكانت ظاهرة أوي، مستحيل دي تكون من ١٠ سنين، يعني إيه تفضل الريحة دي فيهم إزاي أصلًا وماما كانت معروفة من البرفيوم بتاعتها بتبقى ماركات، إزاي تكون الريحة المقرفة دي من هدوم ماما.

نزلت أنادي عم محمد البواب بس لقيته في الفيلا تحت، ولما سألته إيه اللي دخله قال لي بشوفك لو عايزة حاجة، سألته لو كان في حد بيدخل البيت دا بس أنكر كتير، كلامه كان مش مترتب، في حاجة غلط سألته، على الفستان قعد يحوَّر كتير، وفي الآخر قال لي إن مراته اللي شافت الفستان دا وطمعت فيه، كدا كدا الست الوالدة ميتة وما حدش هيحتاج الهدوم دي في حاجة.. بدأت أزعق وصوتي يعلا مع إنها مش من عادتي إني أكلم حد أكبر مني بالطريقة دي، بس حاجة ماما لا، دا أنا حتى مش بقرب لحاجاتها، تيجي واحدة تلبسها.. بس صح، بيت أهله سايبينه من عشر سنين أكيد أي حد هيطمع فيه، دا لو ما كانوش بيسكنوا في حد واحنا مش موجودين.. اتعصبت أوي عليه، بس هو ما كانش مركز معايا، كان مركز في العلبة اللي فيها العقد.. هو ما يعرفش اللي فيها، بس علبة شيك كبيرة هيكون فيها إيه حتى لو متربة.

طلع من جيبه سكينة.. ما فهمتش اللي بيحصل حسيت نفسي بحلم.. هو ليه يعمل كدا، ليه سكينة، ليه تكون في جيبه أصلًا، خفت بعد لما صوته بدأ يعلا.

« أنتِ فاكرة نفسك إيه عشان تقعدي تزعقي فيَّ كدا، يعني هي جت على حتت فستان، دا أنتم على قلبكم قد كدا، ولا احنا عشان غلابة».

دا جزء من كلام كتير وزعيق أكتر ما كنتش فاهمة إزاي هو دا الشخص اللي فتح باب العربية لبابا وكان بيعاملنا بكل احترام.. هو بجد هو دا اللي بابا دايمًا بيحلف باحترامه وأمانته.. ما اتعودتش إني استحمل حد يزعق لي، فرديت عليه واتهمته بسرقة الدهب والغريبة إنه ما أنكرش، لا بالعكس دا قال لي إنه هيسرق حاجتي أنا كمان، ما أكيد البنت بتطلع لأمها يعني حاجتي قد حاجة ماما.. استغربت من جرأته وإزاي يعمل كدا، بس بصراحة كان حابب يرضي فضولي.. رد وقال لي «الفيلا اللي جنبنا دخلها اتنين حرامية من قريب وقتلوا الواد اللي كان قاعد فيها وأخدوا كل اللي معاه وهربوا وما حدش عرف يجبهم، يعني مش هتكون غريبة لو نفس الاتنين الحرميه جم هنا وضربوني على راسي بحاجة تقيلة وأنا راجل كبير في السن وصحتي على قدي، وعلى حسب ما مراتي قالت لي إنهم لسه قدامهم شوية».

تقريبًا كان فاكرني لوحدي لأنه اتفاجئ لما حس إن فيه حركة على السلم.. زقيته وجريت أطلع على السلم.. لكن طلعت صحته مش على قده زي ما بيقول، وقام وجري ورايا، حتى إنه لحقني وجابني من شعري.. كان كل اللي في بالي إني أجري ألحق حياة عشان ما تنزلش حتى لو قفلت عليها أوضه هبقى مش عايزة حاجة تاني، كنت خايفه إنها تنزل، واللي خايفة منه حصل، حياة نازلة على السلم وشافتني وهو ماسكني من شعري وحاطط السكينه على رقبتي.. كان نفسي في معجزة تحصل، كان نفسي حياة تجري وتخرج برة الفيلا، كان نفسي إنها تختفي.. قعدت أصوت وأقول لها اجري، بس هي واقفة خايفة لدرجة إنها عملت حمام على نفسها، كل ما كان صوتي بيعلا كان هو بيهددني بحياتي لو ما قفلتش بُقِّي، وكان خلاص سن السكينه بيقطع جلدي، حياة جريت.. فرماني وجري وراها لحقها عند الباب، فضلت تصرخ وتقول لي الحقيني بس أنا ما عرفتش أتحرك، مش عارفة ليه ما عرفتش أتحرك وأنا شايفاه وهو بيدبحها بالسكينة ودمها بيغرق الأرض.. كانت آخر حاجة أشوفها بعد الستارة السودة اللي ظهرت قدامي.

حياة كمان، راحت حياة اتدبحت قدامي، إزاي ما قدرتش أحميها وهي بتترجاني أساعدها، إزاي جاله قلب يقتل طفلة عمرها ١٠ سنين، كل ذكرى بتجمعني بيها افتكرتها، أول مرة أشيلها أول عيد ميلاد ليها، أول كل حاجة حلوة عملناها سوا انتهت النهارده، إيه ممكن يكون في حياتي حلو بعد النهارده.. إيه السبب اللي ممكن أعيش عشانه، بنتي راحت عشان أنا ما عرفتش أحميها.. حاسة إني سقعانة محتاجة حد يغطيني، بس مين هيغطيني ما كلهم سابوني..

أنا مين.. أنا فيين.. يا حيااة...

أول تلات حاجات قولتهم أول لما فُقت في المستشفى.. لكن في دماغي سؤال واحد بس، هو ليه ما قتلنيش زيها؟ هو ليه فرق بيني وبينها؟ أنا ليه لسه عايشة؟ أنا ليه ما متش معاها؟

فتحت عيني لما سمعت صوت نورا صاحبتي بتقول «ليلة أنتِ كويسة؟!».. أنا مفتحة عينيا بس لسه الستارة السودة زي ما هي، «نورا هو أنا مفتحة عينيا؟! «.

ردت: «فيكِ إيه يا ليلة أنتِ مش شيفاني؟!» بعديها عرفت إني اتعميت لما الدكتور جه وكشف عليَّ.. كانت قطمة وسط بالنسبة لبابا؛ واحدة ماتت والتانية اتعمت، بس أنا بالنسبة لي هو دا العدل، دا عقابي إني ما عرفتش أحميها وسبتها تموت لوحدها.. حسيت إني مش من حقي أعيش وإني لازم أروح لها.. انتحرت ٦ مرات مفيش مرة منهم نفعت، لأن دايمًا كان حد يبقى معايا وبالعافية ببعدهم عني، أول مرة لحقوني وودوني المستشفى والـ٥ مرات اتقفشت قبل ما أعمل حاجة.. ودوني لكذا دكتور نفسي

عشان كانوا فاكرني مجنونة، عشان كنت بشوف حياة وكنت بكلمها، بس هي موجودة بجد، أنا بشوفها هما اللي اتعموا.. حتى إني بحتفل بعيد ميلادها وبجيب لها تورتة.. وبنطفي الشمع سوا، حتى إنها قاست الفساتين اللي كنت بجبها لها، أنا يمكن ما كنتش بشوف الفساتين وأنا بجبها بس كنت بشوفها وهي لبساها.. أنا مش مجنونة على فكرة وعارفة إن كل دا من خيالي، بس إني أشوفها في خيالي أحسن كتير من إني ما أشوفهاش.. كنت في الأول مش بعرف أنام وبفضل بالـ٣ أيام صاحية لحد ما أنام لوحدي، بعدين الدكتور بقى يديني منوم، بس برضه كنت بصحى مفزوعة وأول لما أشوفها وآخدها في حضني بنام تاني، عارفة إن مش هي اللي في حضني.

سنة عدت وجت ذكرى موتها، بس أنا مش هروح لها المقابر عشان هي مش هناك أصلًا، هي هنا، هنا معايا.. بابا كان رافض إنه يشوفني كدا، كان كل مرة بيقعد معايا لازم يعيط، كان عارف إن وجعي على فراقها أكتر بكتير من وجعه هو نفسه، يعني إيه أربي بنت ١٠ سنين أكبر فيها وفي الآخر تروح مني، بابا طلب مني كتير إننا نعمل العملية عشان أشوف تاني، بس أنا مش عايزة، مش عايزه أشوف الدنيا دي وحياة مش فيها، كنت خايفة أخاطر وأرجع أشوف الاقيني بشوف كل حاجة إلا هي، والله لو حصلت ما هعيش يوم واحد.

آه نسيت أقول لك، مراد أنا خليت الدادة تبعت له «ماسج» من موبايلي بتقول له إني اخترت إني أسافر وإني مش هكلمه، وطلبت منه إنه ما يكلمنيش تاني، ومن ساعتها وأنا قافلة الموبايل، وطلبت من بابا إنه ما يجبش سيرة لأي حد باللي حصل لي، واللي هيسأل هنقول إني في أمريكا، ما حدش كان يعرف إني في مصر غير بابا ونورا وريم صحابي اللي بجد كانوا واقفين معايا، كانوا بيحاولوا يرجعوني للحياة بعد ما أنا قررت أدفن نفسي، حتى الخروج كنت رافضاه، الدكاترة بقوا يجوا لي البيت، حتى الدكاترة النفسيين اللي كنت بقلب خارسة أول لما يجوا.. بس الدكتور دا الدكتور اللي دخل لي الدخلة الصح.

***

- مش عايزة تتكلمي ما تتكلميش عيشي كدا شبه الميتة، ابعدي عن كل حاجة ممكن تخرجك من اللي أنتِ فيه، لو شايفة إنك كدا هترتاحي فتمام، ما تفكريش في والدك اللي حياته مدمرة، مراته بخ، وبنته الصغيرة برضه بخ، والكبيرة اللي المفروض تسنده في وقت ضعفه دفنت نفسها وحياتها.. صحابك اللي حياتهم وقفت عليكِ وعلى رعايتك عشان مش عايزين يسيبوا واحدة عامية عندها استعداد تموِّت نفسها.. تعرفي إن ريم أجلت الامتحانات السنة دي عشان ما عندهاش وقت تذاكر، عشان وقتها كدا ضايع عليكِ عشان مش مآمنة إنها تسيبك مع أي حد، عشان ما حدش هيخاف عليكِ قدها هي ونورا اللي حياتهم اتبدلت واتحولت، بقت حياتهم ليكِ وبس.. طب تعرفي إن نورا سابت خطيبها عشان كان بيقول لها ما تجلكيش وإنك واحدة مفيش منك أمل، وبصراحة هو عنده حق.. طب مراد.. مراد اللي مش عايش، اللي لحد دلوقتِ مش فاهم سبب بعدك عنه.. ولا حد فاهم أصلًا ليه سبتيه وليه بتبعدي كل اللي بيحبوكِ.

- عشان كدا ببعدهم، عشان ما أتسببش في أذى حد تاني، عشان أنا منحوسة وكل اللي بحبهم بيروحوا، تعرف أنا ريم ونورا بعاملهم إزاي، بعاملهم أزبل معامله عشان ما يجوش تاني وبرضو بيجوا.. بقول إن كل بني آدم ليه طاقة، وهما أكيد طاقتهم هتخلص وهيبعدوا وبزود معاملتي أسوأ عشان يمشوا وما بيمشوش.

- على فكرة أنا سألتهم هما ليه لسه معاكِ ومستحملينك، عارفة رد ريم كان إيه «كفاية عندي إنها تبتسم، والله عندي استعداد أستحمل أي حاجة بس تبتسم مش تضحك حتى» ونورا كان ردها «ما هي يامة استحملتنا ما ياما دافعت عني».

- أنا ما أستاهلش إن حد يكون معايا صدقني.

- ليه هو أنتِ اللي دبحتِ حياة.

- ما تقولش كدا على حياة.

- ما هو دا اللي حصل أنا ما بكذبش، حياة ماتت يا ليلة، بس أنتِ حية ولسه فيكِ روح.

- حياة عايشة حياة لسه موجودة، أنتم اللي اتعميتوا ومش شايفينها.

- بس أنتِ اللي عامية مش احنا.

- شايفة إنك دكتور كويس، بس لو ركزت شوية هتلاقي كلامك مش بيريح زي الدكاترة، أنت كلامك بيسم.

- عشان ما بقولش غير الحقيقة وأنتِ مش محتاجة دكتور زي التانيين.

- آه مش عايزة الدكاترة دي، بس مش لدرجة إنك تقول لي إني ميتة وإني عامية.. على الأقل مش باللفظ دا.

- إيه مضيقاكِ كلمة عامية، ما دام متضايقة كدا ما تعملي العملية وتفتحي وتعيشي صح، وتثبتي لي إنك حية وإنك مش ميتة.

-.....

سكتِّ ليه؟ مش لاقية كلام تقوليه صح؟ عشان أنتِ مش عايزة تعيشي يا ليلة.

***

- حكت له كل اللي حكيته لك، بس طبعًا بتفاصيل أكتر وبالذات ليلة الحادثة، لأني كنت فاكراها بتفاصيل أكتر، لأن لحد الوقت دا كنت لسة عايشه في ليلة الحادثة، كنت كل يوم بفتكر كل التفاصيل.. الغريب اللي في الدكتور دا أنا اللي كنت عايزة أحكي له، حكيت له كل حاجة كل اللي حاسة بيه واللي نفسي يحصل وكل حاجة بجد.

***

- كدا أنا حكيت لك كل حاجة، بس سبت جزء كبير أوي ومهم أوي من حياتي عشان عايزة أحكي لك عنه

لوحده، يمكن يكون الجزء دا الحاجة اللي بتخليني أبتسم من فترة للتانية، وهي مراد، كنت في المدرسة قاعدة في حالي، دخل فصلي مراد أروش واد في المدرسة، دا اللي بيمشي كلامه على المدرسين، ودا اللي بيطلع الأول حتى لو ما كتبش كلمة في الامتحان لأنه مراد عزمي، روشن عليَّ بس على مين اديته اللي فيه النصيب، أصل نورا محفظاني وصلة ردح إنما إيه بتخوف أي حد مني، وعلى رأيها يعني أنتم مدرستكم دي كلها فرافير، بس هو ما استسلمش وفضل ورايا لحد ما بقى أنتيمي بروح وباجي معاه في أي مكان، ودكر واحد يفكر يكلمني.. كان بيعرفني على الناس يقول لهم مراتي ليلة حتى أمه كان بيقول لها كدا.. مراد كان بيدعي الحب في الأول، بس بعدين حبه ظهر في عينيه وهي بتلمع وهي بتبص لي، كنت بشوف نفسي في عينيه، كان بتكفيني لمسة إيديه بعد يوم صعب من المناهدة مع حياة.. مراد كان بيرجعني طفلة مهما كبرت، كان بيطلع مني الطفلة اللي أنا حبستها من وأنا صغيرة لما لبست قناع الأم، هو بقى كان بيحب فيَّ إن برغم رقتي وخجلي معاه بقلب ببقى واحد صاحبه وبكلمه بغشومية بطلع كل كلام نورا، سنين كان مراد في حياتي هو اللي مصبرني.. عمري ما هنسى يوم ما عرض عليَّ الجواز في فرح أخوه، وقدام عيلة عزمي كلها ركع على ركبته ولبسني الخاتم، عن يوم خطوبتنا مثلًا كنت ماسكة إيده وإيد حياة وقدامي بابا، نورا وريم واقفين في ضهري.. نفسي أوقِّف الزمن عند اللحظة دي.

- طب مش حاسة إنه واحشك، ما بتفكريش تكلميه؟!

- أمَّال أنا بعمل إيه دلوقتِ يا مراد.

- نعم.. أنا دكتور ياسر يا ليلة.

- أمَّال نورا كانت بتقول إن اسمك محمد ليه.. مش هتعرف تضحك عليَّ أنا عامية آه بس أقدر أعرفك كويس.

- عرفتِ إزاي.

- مش من صوتك اللي حافظاه وأقدر أطلعه من وسط ألف راجل، ولا من أي حاجة غير إن ما حدش هرتاح له غيرك، ما حدش هحس معاه بالراحة والأمان قدك، أنا اتعميت بس لسه بعرف أحس.. أول مرة دخلت الأوضة دي كنت حاطت البرفيوم اللي أنا جايباه ليك، قلت صدفة بس أول لما اتكلمت قلت مستحيل يكون الكلام اللي طالع دا من حد غيرك، مستحيل يكون فيه راجل في الدنيا يعرف يدخل لي الدخلة اللي قلتها دي.. كلامك كان قاسي أوي، بس صوتك كان فيه الحنية اللي اتعودت عليها، لو ما كنتش أنت ما كنتش اتكلمت أصلًا.

- أنتِ إزاي تعملي فيَّ كدا يا ليلة، إزاي قدرتِ تبعديني عنك.. أنا اللي مش مصدقه إني إزاي صدقت وافتكرتك بعتيني، إزاي ما عرفتش إن كل دا حصل لك.. أنا يوم ما شوفتك في الشارع مع ريم ما صدقتش نفسي فضلت ماشي وراكِ لحد لما روَّحتي، ما كنتش فاهم أنتِ ليه مش متزنة في حركتك وأنتِ ماشية، لما روَّحت أنا اتصلت لقيت الموبايل مقفول زي ما هو من سنة، خبطت ونورا فتحت لي سألتها عليكِ قالت لي إنك لسه مسافرة وإن هي بتيجي تنظف مع الدادة اللي هنا عشان تساعدها، بعد ضغط كبير وبالذات لما ريم خرجت حكوا لي كل حاجة، يومها كان هاين عليَّ أضرب نفسي مية جزمة إني سبتك لوحدك في أكتر وقت احتجتِني فيه.. أنا آسف يا ليلة.

- أنا اللي آسفة ليك ولبابا وريم ونورا، آسفة كمان لنفسي وآسفة أكتر لحياة.

ريم: طب لو حاسة إنك بجد آسفه وإنك عايزانا نفرح اعملي العملية يا ليلة.

نورا: والله أنا ما عايزة حاجة في الدنيا غير إنك تفتحي عينك وأشوفك بتضحكي.

مراد: ليلة كلنا بنحلم باليوم اللي هترجعي تفتحي فيه، تعالي نسافر برة ونعمل العملية في أحسن حتة في العالم عشان تبقى مضمونة بنسبة كبيرة.

ليلة: أنتم عارفين إن اللي أناا فيه دا من التعب النفسي، يعني حتى العملية ممكن ما تعملش حاجة.

ريم: أهو نبقى جربنا.

***

- زن زن زن ما سابونيش إلا لما عملت العملية والمعجزة حصلت ورجعت أشوف تاني، بس كان ضميري مأنبني حسيت إني كدا بخون حياة.. مراد عوضني عن أسوء سنتين عشتهم في حياتي بجد، كان ناقص يجيب نجوم السما ويحطهم جانبي، واتجوزنا، فرحنا مصر كلها احتفلت بيه مش هنسى حضن بابا ليَّ ولا هنسى وقفة صحابي جانبي، ولا هنسى فضل مراد في إني أرجع حية تاني.

- أنا كل دا ما قلتلكش مشكلتي الأساسية.

- أنتِ لسه عندك مشاكل تاني.

«ضحكت »

- معلش دي آخر مشكلة.. أساس في عيلة عزمي الخلفة الكتير، وأنا حاسة إني ما عنديش استعداد لده، ما عنديش استعداد أربي بنت تاني عشر سنين وتروح مني، ما عنديش استعداد يكون عندي بنت غير حياة.. حصل مشاكل بيننا كتير أوي، وبالذات لأني كنت بتعامل مع الموضوع بعصبية وبرفض رفض نهائي، بس دلوقتِ لا، أنا عايزة أكسر الرهبة اللي عندي دي حتى لو في كل ذكرى أو موقف هعمله مع بنتي هفتكر بيه حياة وهتعب وهعيط بس برضه عايزة أكسر الرهبة دي، وأول خطوة عملتها إني النهارده أول مرة أزور قبر حياة، مع إنها سايباني من ٣ سنين، رحت واتأسفت لها إني ما بجيش، ووعدتها إني هأجي كتير من هنا ورايح، وتاني خطوة أهي إني قررت أتعالج، مع إن حياة مش مرض عشان أتعالج منه، حياة هي حياتي، نفسي أشوفها أو أحضنها، نفسي أجيب بنت شبهها.

***

خرجت أغرب مريضة.. المريضة اللي أول لما خرجت عرفت أنزل دموعي اللي حبستها عشان ما أبينش ضعفي قدامها.. منظرها وهي بتحكي بقهرة وهي بتعيط ما كانش مفارقني، دموعها ما بطلتش نزول من أول لما حكت لحد لما خلصت، كانت عينيها بتنزل دموع وهي مكملة حكي بثبات غريب، عينيها تنزل

دموع وهي مكملة.. هي دي المريضة اللي أول لما دخلت قلت إن علاجها إنها تبص في المراية من كتر ما كنت متوقع إنها جايه تشتكي من حاجة تافهة.. المريضة دي بطلت تجي لي بعد لما حملت في حياة التانية.

حنيتك

أنا هديل.. أنا مش لادغة في «ر» أنا اسمي هديل مش هدير، من عيلة حالتها المادية والاجتماعية كويسة جدًّا، أهلي ناس محترمين، حياتي عبارة عن دراسة وشغل وأعمال تطوعية بس كدا.. عمري ما دخلت في علاقة مع شاب، مش بسبب رفضي لا، دا أنا طول عمري نفسي أحب وأتحب، بس أنا ربنا مش رازقني بقدر كبير من الجمال، يعني وزني زيادة شويتين، بس دا مش من وأنا صغيرة، دا من الأكل، أنا عاشقة للأكل وبالذات الـ»فاست فود»، يعني كل إخواتي على قدر عالي من الجمال، بس عمر دا ما عمل أزمة، بس ساعات بحس إنهم بيتكسفوا مني، بس والله أنا بحبهم وعمري ما زعلت منهم.. أيامي شبه بعضها، لحد لما أتقدم لي عريس يبقى من العيلة بس من بعيد شوية، حتى إني عمري ما شوفتهم، كنت متأكدة إنهم بعد لما يجوا ويشوفوني كالعادة هيقفلوا الموضوع، واتأكدت من كلامي لما أهل العريس جم وشفته شاب رياضي، وسيم أوي الصراحة، طويل، كان بيتكلم مع بابا باحترام وأدب، ولما قعدت معاه كان فعلًا ذوق، بس نظرات عينيه ما عرفتش أحددها كانت عينيه تايهة.

خلص اليوم وحقيقي أنا اتبسطت باليوم مع إني كنت عارفة إن الموضوع هيتقفل، بس الولد كان حقيقي راجل أوي في نفسه جنتل كدا، ما حطتش الموضوع في دماغي لحد لما بابا جه يقول لي إنه حدد معاهم ميعاد الخطوبة، أنا اتصدمت، دا حتى بابا ما خدش رأيي، عرفت إن في شغل بين بابا وقريبنا اللي هتخطب لابنه، ومع زن ماما وجملتها المعتادة «هو أنتِ لاقية حد» ماما كانت موافقة جدًّا، بالذات إنه من عيلتها وهي بتحبه أوي، ومن زمان بتعتبره زي ابنها مع أنه أكبر مني بـ ٧ سنين.

اتخطبنا.. لحد يوم الخطوبه هو راجل مفيش فيه غلطة عشان أرفضه عليها، مش فاهمه إيه اللي يخلي واحد زي دا متأكدة إن البنات بتجري وراه يتجوز واحدة زيي، وكمان من عيلة كبيرة ومعروفة، لما جه يتقدم كان مع والده وعماته الاتنين.

***

هديل: شادي.. هو أنا ممكن أسألك على حاجة؟!

شادي: اتفضلي.

هديل: أنت مغصوب على الجوازة دي؟!

شادي: ليه بتقولي كدا؟!

هديل: يعني مش غريبة شوية إنك تتخطب لواحدة زيي وتسيب بنات أحلى مني كتير.. يعني احنا لو كنا بنحب بعض كنت قلت عادي عشان بيحبني، لكن دلوقتِ لا.

شادي: ثقي في نفسك شوية، أنا مش شايف إنك وحشة على فكرة.

***

- كانت أول مرة أشوف نظرة عينيه دي، كان كأنه بيواسيني بعيونه كأنه بيطبطب عليَّ مع إنه ما عملش أي حاجة، بس أنا حسيتها كدا.. اليوم دا ما عرفتش أنام من الفرحة، كنت عاملة زي الطفلة اللي

فرحانة بفستان العيد، اللي فرحانة بيه وخايفة عليه في نفس الوقت، آه كنت خايفة يكون بيضحك عليَّ بكلمتين، بس لا، عينيه بتثبت كلامه.

كنت كل مرة بشوفه بيزيد إعجابي بيه وهو هادي كدا وراسي، كنت بشوفه مميز في حاجات كتير، يعني صوته وهو بيتكلم مع أي حد غير صوته وهو بيكلمني، بيبقى فيه حنية ما تتوصفش، نظراته اللي مش مفهومة، ابتسامته اللي بتبين الغمازة اللي عنده.

وطبيعي إنه يكون في بنات تانية معجبين بيه وأولهم بنت عمته.. هو قريب أوي لعمته الكبيرة أمل، وعمته التانية منى بنت عمته منى بتحبه وأوي كمان، وده اللي عرفته لما عمته منى عزمتني عندهم، كانت تمارا بنت عمته عمالة تبص لي وحش وتكلمني بأسلوب وحش، وكل لما أكلمه واحنا على الأكل تقطع كلامي، ولما أجي أقدم له حاجة تروح عاملة زيي، حقيقي عصبتني؛ يعني أنا خطيبته مش هي، هي آه بنت عمته وآه أحلى مني، بس هو معايا أنا.. خلصت أكل ودخلت الحمام وأنا خارجة لقيتها واقفة على الباب، مع إن البيت في حمامات تانية.

***

تمارا: بصي يا هدير...

هديل: هديل.

تمارا: مش مهم اسمك إيه، المهم حجمك إيه.. أنتِ هنا لأنك ضيفة ماما مش ضيفة شادي، بصي أنتِ حقيقي صعبانة عليَّ، يعني شادي بيلعب بيكِ بس عشان يخليني أغير عليه لأننا لما سبنا بعض آخر مرة أنا قلت إني مش عايزاه تاني، وهو قرر يندمني وأنا فعلًا ندمانة وناوية أرجع له، بس بصراحة مش هعرف طول ما أنتِ موجودة، يعني دا احترامًا ليكِ ولمشاعرك، عشان كدا بقول لك من نفسك امشي وشوفي حالك، لأني مش هستنى كتير وهرجع له، فبلاش تخلي شكلك وحش، ولأن بصراحة شكلك مش لسه هيبقى وحش.

هديل: تقصدي إيه يعني؟!

تمارا: هو مفيش مرايات في بيتكم.

شادي: قلة ذوق منك يا تمارا بس دي مش حاجة جديدة عليكِ.. هديل أنا مفيش حاجة بيني وبينها نهائي ولا عمر هيكون فيه حاجة.

تمارا: أنت بجد هتسيبني عشان دي.

شادي: الغريبة إنك مستغربة إني شايفها أحلى منك.

***

مسك إيدي وأنا مشيت معاه، نزلنا من عندهم وأنا لسه ساكتة، ركبنا العربية وما حدش اتكلم غير لما أنا بدأت.

هديل: أنا آسفة.

شادي: على إيه؟!

هديل: شكرًا.

شادي: على إيه؟!

هديل: آسفة إني حطيتك في الموقف دا، وشكرًا على الكلام اللي قلته.

شادي: دا مش كلام، أنا فعلًا شايفك أحلى منها، عينيكِ لونها أحلى، وشك كيوت أكتر، ضحكتك أحلى، حتى إنك بيضا وأنا بحب البيض، وهي مش بيضا، وأنتِ عندك نمش خفيف متوزع حوالين وشك، هي لا، يعني بالنسبة ليَّ مفيش مقارنة بينكم لأنك أحلى بكتير.. بصي أنا حاسس إن الموضوع دا مضايقك أو مسبب لك قلق.. أنا بالنسبة لي مش فارق معايا الشكل، أنتِ شكلك طبيعي أكتر وأنا بحب كدا، وممكن أثبت لك بكل الطرق اللي أنتِ عايزاها إني عمره ما كان فيه حاجة بيني وبينها.

***

كل مرة كنت بشوفه ببقى نفسي أشكره على كل مرة حسسني فيها إني مش وحشة، على كل مرة زود ثقتي في نفسي، على كل كلمة قالها ريحت قلبي، أنا آه مش جميلة، بس هو دايمًا كان محسسني إني كفاية بالنسبة له وإني مالية عينه.. بجد هو مميز أوي في إنه بيقدر يطمني ويريحني.. اتعلقت بيه لدرجة إني بقيت بحلم بيه وما أقدرش أقعد يوم من غير ما أكلمه.

بس على قد ما كانت علاقتنا سهلة وجميلة على قد ما كنت دايمًا حاسة إنها فيها حاجة ناقصة مش عارفة إيه هي، بس فيه حاجة مش كاملة، ممكن من ناحيته حاجة بتمنعه من إنه يتكلم معايا في كل اللي هو عايزه، زي إني لحد لما اتجوزنا أنا مش عارفة والدته فين، يعني متوفاة ولا إيه، ومن إمتى، وحصل معاه إيه.. يعني كلام من النوع دا، وماما أكدت عليَّ إني ما أسألهوش وما رضيتش تقول لي ليه.

كمان نظرات عينيه اللي مش بفهمها.. أنا مؤمنة إن العين بتتكلم وبتقول الكلام اللي مش بتعرف نقوله باللسان، وكلام العين بيبقى أجرأ كتير، وأنا بفهم العين كويس، بس هو لا ما كنتش قادرة افهمه، كانت دايمًا عينيه حيرانة أو قلقانة، وممكن زعلانة أو مش مرتاحة.. بجد مش عارفة.

كان حضنه بينسيني كل دا.. الهدوء والراحة اللي بحسها معاه بتنسيني أي عيوب، دا لو هنقول إن دي عيوب.. بس بعد فترة اكتشفت إنه عنده مشاكل في الشغل ولا قال لي ولا حتى ظهر دا، لا كان بيتعامل عادي.. كنت حاسة إن دايمًا فيه جزء غامض في علاقتنا.

يعني لما بالليل أصحى وأدخل الحمام ولا أشرب ولا أي حاجة ألقاه صاحي مفزوع ويقعد يدور عليَّ،

أو زي إني بصحى ألقاه حاضن دراعي، دي حاجات أي ست مش هتشتكي منها دا بالعكس، بس أنا مش بشتكيه أنا مستغربة، يعني إيه اللي حصل عشان تعمل كدا.

غموضه كان مضايقني بس ما كنتش أقدر أزعل منه أنا حقيقي بحبه.. بحب خوفه عليَّ وبحب غيرته اللي بتبان بسرعة، وبحب صوته في البيت وإيده اللي لما بمسكها بطمن، بحب ذكريات شهر العسل بتاعنا بحب كل حاجة متعلقة بيه، وأكترها إنه عمره ما حسسني إنه بيستعر مني أو إنه بينكر وجودي.

***

هديل: شادي.. إيه رأيك أنزل جيم وأروح لدكتور تغذية.

هادي: ليه ؟!

هديل: ليه إيه أنت مش شايف شكلي أنا مليت زياده؟!

هادي: ماله شكلك دا أنتِ قمر.

هديل: بس أنا شكلي مش مناسب جنبك، يعني أنت رياضي وجسمك مظبوط أنا لا.. أنا عمري ما كنت عايزة أعمل دايت بس دلوقتِ عايزة عشانك.

هادي: نينينينين.. قالك مش مناسب، يا أسطى أنت عاجبني كدا والله عاجبني، عايزة تظبطي جسمك أنا مش هرفض، بس تكوني عايزه تعملي كدا عشانك مش عشاني، أنا مش شايف إن فيكِ حاجة عشان ما تبقيش مناسبة ليَّ.. ممكن بقى تبطلي تضغطي على نفسك في الموضوع دا، أنا بحبك وأنتِ طبيعية بشعرك السايب وضحكتك اللي صوتها عالي اللي بتفضحنا، وهزارك وكل حاجة فيكِ.

***

أنا عمري ما حبيت الشتا، كنت دايمًا بخاف من صوت الرعد ومش بحب أتغرق في المطر، ولأني بطبعي مش بحب الإحساس بالسقعة فكنت بلبس هدوم كتير فتبيني أتخن، فأزعل أكتر بس السنة دي مختلفه.. شادي كان موجود، كان بالليل يشغل فيلم وياخدني في حضنه تحت البطانية، ما كنتش بحس بالسقعة، ولا لما كنا ننزل نلف بالعربية والسما بتمطر فأمسك إيده فيبتسم لي، وأبص في عينه أحس من نظرته إنه خايف، فأبدأ أتضايق لأني مش فاهمة فيه إيه، وهو ما يبقاش عارف أنا اتضايقت ليه، بس بيقعد يراضيني ويبوس إيدي ويقول لي «ربنا يديمك نعمة في حياتي».

سنتين جواز.. لسه زي ما أنا مش عارفة أفسر نظراته ولا عارفة الجزء الغامض منه، بس اتغير فيَّ شوية حاجات، زي إني بقيت أحبه أكتر وأكتر لأنه بجد ساعدني إني ألاقي نفسي اللي أنا عايزاها، بقى وزني ٦٤ ك، بقيت أحلى من وجهة نظري، حتى إنه ساعدني في إني أفتح جمعية للمساعدة العامة، ودعمني بفلوس كتير عشان الحالات اللي كانت بتجي لي في الأول قبل ما توصل تبرعات وتدعمني معنويًّا، لأنه اتحمس لفكرتي جدًّا وشجعني أوي ودعمني عضويًّا، لأنه كان بيجي الجمعية يساعدنا بإيده، بجد وقف معايا أوي في الفترة دي.

في يوم كنت في الجمعيه و حسيت بشوية إرهاق، كان جسمي مكسر ومش قادرة ومش عارفة آكل ولا أعمل حاجة، وأنا بحكي لماما أكدت لي إن دا حمل، عشان كدا رحت لدكتورة عشان أتأكد وطلعت غلطانة، وسألتها ليه مش بيحصل حمل مع إني متجوزة من سنتين.. كنت عايزة أعرف لو فيه مشكلة بس النتيجة بتاعة التحاليل اللي عملتها أكدت إني مش عندي مشكلة، وصدمني سؤال الدكتورة.

- هو أنتِ بتاخدي مانع حمل.

الحقيقة إنه لا، بس هي أكدت لي إني باخد مانع حمل.. سألتني لو عندي مرض معين يعني لو باخد أي نوع من الأدوية، بس أنا مش باخد إلا الفيتامين اللي شادي اداهولي لما كنت بعمل دايت بحكم إنه فاهم في الموضوع كويس، ولما قلت للدكتورة اسم الفيتامين، قالت لي إنه مانع حمل مش فيتامين.

كانت الصدمة الكبرى وأنا اللي كنت حاسة إني عبء عليه لأن كل لما حد يسأل عن الحمل يرد بزعل ويقول ربنا لسه ما كرمناش، صراع كبير بيني وبين نفسي.. أسأله ولا لا.. ممكن يكون له سبب هو أكيد له سبب.. أستنى لما يقول لي ولا أسأل أنا؟

قررت إني أقول له إني حامل.. كنت عايزة أعرف رد فعله، وفعلًا لما قلت له اتصدم وما عرفش يعمل أي حاجة ولا يقول أي حاجة، بس شكله كان قلقان ومفيش أي «ريأكشن» على وشه.

***

- شادي هو أنت مش مبسوط ولا إيه.

- لا يا حبيبتي أنا بس اتصدمت.

- ما تعرفش الدوا المكمل الغذائي اللي باخده من لما خسيت دا عادي ولا لا على البيبي.. شادي.. أنت مش بترد ليه.. مالك؟!

شادي: مش عارف.

- أدخل آخده ولا إيه يعني.

لم تجد ردًّا، فتحركت إلى الداخل وجلست على طرف الفراش وبيدها كوب الماء لتناول الدواء.. تحرك بحركة سريعة خلفها ودفع كوب الماء وأخذ منها حبة الدواء.

- إيه اللي أنت بتعمله دا مالك؟!

- احنا لسه ما نعرفش دا كويس ولا لا للبيبي.

- وأنت يهمك في إيه.. مش أنت كدا كدا مش عايز تخلف.

- مين اللي قال كدا.

- باين أوي، أنت حتى ما قلتليش مبروك من لما عرفت وأنت ساكت.. بتفكر في إيه.. بتفكر إزاي أنا حامل مع إني باخد كل يوم مانع الحمل اللي أنت مفهمني إنه مكمل غذائي.. مش عايز تخلف قُل لي، عرفني، أو على الأقل فهمني.. اطمن يا شادي أنا مش حامل، أنا كنت عايزة أعرف رد فعلك بس.. مالك مصدوم ليه بس، أنا متأكدة إن صدمتك أقل بكتير من صدمتي لما عرفت اللي أنت بتعمله.

صمت ولم يجبها، ظلت عيونه تمتلئ بالدموع وهو ينظر إليها ليجدها منهكة من كثرة البكاء، ولوقت طويل ظل الصمت سيد المكان حتى قطعه شادي قائلًا:

- أنا آسف.

رمقته بنظرة غضب وهي تتكلم:

- عندك تفسير؟!

شادي: أنا آسف.

- عندك سبب؟!

شادي: أنا آسف.

وقفت وتحركت إلى خزانة الملابس وأخرجت حقيبة كبيرة لتضع بها ملابسها.

شادي: لا يا هديل ما تعمليهاش ما تسيبنيش.

لم تنظر إليه، ظلت تضع ملابسها بتلك الحقيبة بإهمال وعصبية.

شادي: أنا بحبك يا هديل ما تسيبنيش.

- أنت كداب، أنت مش بتحبني، لو كنت بتحبني ما كنتش كذبت عليَّ.. لو كنت بتحبني كنت هتبقى مبسوط إني هجيب لك بيبي، لو كنت بتحبني كان هيبقى عندك تفسير للي احنا فيه دا.. كنت دايمًا حاسة إن فيه حاجة غلط، فيه حاجة غامضة في علاقتنا، كنت دايمًا حاسة إن الغلط أو العيب مني، كنت دايمًا بقول دا مستحملني إزاي، دا نعمة كبيرة من ربنا، ما كنتش أعرف إنك عقاب مش نعمة.. كان لازم أعرف إن فيه حاجة غلط، ما أنت لما تسيب واحدة زي تمارا بنت عمتك وتختارني كان لازم أفهم إن دي مش صدفة.

- لا كانت صدفة والله كانت صدفة، كانت صدفة إني أجي البيت عندكم وأتقدم لبنت ما أعرفهاش عشان أقطع الأمل لعمتي في إني هتجوز بنتها، كنت جاي ومقرر هتجوز البنت اللي في البيت دا مهما كان شكلها إيه أو أسلوبها إيه، ولما شفتك حسيت إنك هي دي اللي أنا عايزها، مش بس أنا كنت عايز أتجوز أي واحدة، لا أنا لقيتك البنت اللي أنا عايزها، فيكِ كل المواصفات اللي كنت عايزها تبقى في مراتي وأكترهم حنيتك وخوفك الزيادة عليَّ، أنا آسف لو ما عرفتش أبين لك حبي ليكِ بشكل كافي، بس والله أنا

ما أقدرش أعيش من غيرك، دا اليومين اللي كنتِ عند طنط فيهم لما كانت تعبانة أنا كنت هتجنن وما عرفتش أنام إلا لما رحت جيبتك.

- طب ليه.. ليه عملت دا، قُل لي سبب أنا متأكدة إن عندك تفسير.. طب أنت مش بتخلف يعني ومش عايز يكون العيب منك.. كنت قل لي والله ما كنت هقول لحد، وكنت هقول دا اللي ربنا كتبه لينا وكنت هرضى عشان بحبك وعايزة أعيش معاك، لكن أنا قلت لك قبل كدا.. كدب لا.. ليه تكدب، ليه تعمل معايا كدا؟

- الموضوع مش كدا.. أنا بس كنت عايز أؤجل الموضوع شوية.

- ببساطه كدا.. يعني دا عادي بقالي سنتين عايشة معاك وأكتشف إنك كل دا بتديني مانع حمل، وتقول لي عايز أؤجل.

- لو الموضوع فارق معاكِ أنا موافق إننا نخلف بس ما تسيبينيش.

- لا هسيبك.. أنا مش مشكلتي في الخلفة أنا مشكلتي إنك خدعتني.

- كل الناس سابوني، ما تسيبنيش أنتِ كمان.

- مين اللي سابك يا شادي، أنت هتحوَّر عليَّ، أنت كل الناس حواليك، بس أنا اللي همشي.

- أمي.. أمي سابتني وأنا عندي سنتين، ولأن أبويا مش هيتحمل مسؤوليتي أنا وهادي فسابنا هو كمان.. سابنا لجدتنا، مش فاكر حاجات كتير عنها، بس كانت ست كبيرة مش حمل إنها تشيل طفلين، عشان كدا كنا بنتنقل من عندها لعند عماتي الاتنين أمل ومنى.

أمل كان عندها ولدين توأم في سن هادي أخويا، ومنى مش عندها غير تمارا.. عارفة إيه إحساس إنك تكوني مضطهدة من الكل، يعني أي حاجة هتعمليها هتكون محسوبة عليكِ، يعني أي غلط هتتعاقبي عليه أضعاف ما المفروض تتعاقبي عليه.. ببساطة مش هتسمعي كلمة حلوة لو عملتِ حاجة كويسة، بس هتسمعي ١٠٠ كلمة وحشة لو عملتِ تصرف واحد غلط.. أو لو اتخانقتِ مع واحد من ولاد عمتو أمل، أو لو كنت عايز حاجة وتمارا عايزاها.. حتى لو الحاجة دي أكل فهتتاخد مني ويدوها لتمارا، حتى لو كان الأكل دا على بقِّي، وحتى لو تمارا هتاخده ترميه في الأرض.. كان كل الكلام الحلو والاهتمام والحب لتمارا والخناق والعصبية ليَّ أنا وهادي.. هادي كان الكبير، كان وقته كله للعب، كان بيتجنب القعدة معاهم، بس أنا كنت عندي ٤ سنين.. كنت في السن اللي أي طفل عايز حضن أمه، كنت ببقى قاعد وشايف أحمد وياسر في حضن عمتو أمل، وتمارا في حضن عمتو منى، وأنا واقف في النص ببص عليهم، حتى إنهم مش بياخدوا بالهم إني ببص لهم.. وكل دا أبويا فين في الشغل.. عشان يجمع ألف على ألف ومليون على مليون عشان يخلينا نوصل للي احنا فيه دلوقتِ، بس أنا ما احتاجتش عمري الفلوس دي كلها، ما احتاجتش غير أمي اللي دايمًا كنت بطلب إني أشوفها ويبقى الرد على طلبي دا خناقة كبيرة أوي ورفض شديد، وجملة جدتي المشهورة «دا على جثتي البت دي تدخل البيت تاني بعد ما رمت العيال الرمية دي «.

واللي فهمته من هادي إن هي اللي سايبانا ومش عايزة تشوفنا، بس برضه كانت بتوحشني، بس كل لما كنت بقول دا لهادي كان بيفكرني بإن الست دي احنا مش هينفع نحبها، لأنها السبب في كل اللي احنا فيه دا، عشان هي لو ما كانتش سابتنا كنا هنلاقي اللي يحضنا اللي يقعد جنبنا واحنا بناكل، كنا هنلاقي اللي يطلع لنا هدومنا ويلبسنا.. كل دا كلام عادي، بس بالنسبة لواحد عنده ٤ سنين أخوه اللي عنده ٧ سنين هو اللي بيطلع له الهدوم وهو بيلبس نفسه في الشتا، يعني ممكن يلبس خفيف في عز السقعة ويفضل طول الخروجة بيترعش من السقعة وهما يقولوا عليه بيتدلع زي اللي حصل مع هادي.. كنا في الشتا ودخلنا نلبس.. طلع لي هدوم وطلع لنفسه ولبسنا احنا الاتنين وأنا نسيت الجاكيت بتاعي في البيت لأن وأنا بلبس الشوز تمارا فضلت تشد مني الجاكت، وعمتو أمل قالت لي سيبه ليها وهناخده واحنا نازلين، ونزلنا وسبنا الجاكت، ولما ركبنا العربية كنت سقعان أوي، هادي قلع الجاكت ولبسهوني، بس هو كان عنده برد وحرارته عالية أوي، فضلت حرارته تزيد وما حدش واخد باله، بس كانت معانا صاحبة عمته منى هي اللي خدت بالها وقالت لتيتة، تيتة قالت باللفظ «يعني هو جاي يتعب لي دلوقتِ سيبيه لما نرجع البيت هدِّي له دوا، ولما رجعنا البيت بنصحيه عشان ينزل من العربية كان مات وسابني هو كمان.

حتى الإنسان الوحيد اللي باقي ليَّ في الدنيا مات، وعشان كدا سبت أنا الناس والحياة كلها وبقيت بخترع لنفسي عالم لوحدي، في عالمي كنت موجود وسط عيلة، كان عندي أم باترمي في حضنها، وأخ بلعب معاه، وأب بياخدني معاه نجيب حاجة البيت، وأخت بنت حنينة أوي، ولأني كنت بتكلم معاهم بصوت عالي وأنا بتخيلهم افتكروا إني اتجننت، فاترميت ٣ سنين في مستشفى المجانين، الحقيقة كانت مستشفى نضيفة جدًّا وكبيرة أوي، نظام الأكل فيها مناسب، بلاقي اللي يغير لي هدومي، وخلصت من القعدة مع عماتي، بقوا بيجوا كل فترة مرة، وكنت بلاقي خصوصية أكتر في إني أتعامل مع عيلتي اللي في خيالي، كنت مش برضى أنام إلا في حضن أمي – المخدة – وبلعب بالمكعبات مع أخويا وبالكوتشينة.. أنا عارف إن كل دا هبل وإني في الحقيقة ما ليش عيلة، بس أنا اعتبرت كدا وكنت بكلمهم وبخليهم يردوا عليَّ في خيالي.

وجه وقت دخولي المدرسة، كان لازم أخرج من المستشفى، ورحت عشت مع مرات بابا الجديدة.. ما كانتش فارقة معايا، هي بجد مش بتأذيني وأنا مش بكرهها، أكيد مش هتهتم بيَّ قد بنتها اللي هي ملك.. أحلى حاجة في حياتي، نور حياتي اللي جه يعوضني، ملك أختي اللي أنا الراجل بتاعها.. تمارا كانت بتشوف ملك بتتجنن، تمارا كانت عايزاني أعاملها زي ما بعامل ملك، بس لا أنا ما بحبش تمارا... تمارا بنت مدلعة متعودة تاخد أي حاجة هي عايزاها، بس أنا عمري ما هديها حاجة عايزاها.. كنت متعلق بملك أوي، وأمها بصراحة بدأت أتعلق بيها.. بس عماتي مش بيحبوها لأنها كانت شخصية قوية ومش بتسكت على الحق أبدًا، وهما بيحبوا اللي يطبل لهم، وفضلوا ورا بابا لحد لما طلقها، لا ومش بس كدا دول عشان ما تاخدش حاجة من الفلوس خلوها تسافر برا مصر، دا لو عايزة ملك تبقى معاها، ولو هي ما سفرتش هياخدوا ملك منها.. ملك اختارت أمها وسابتني.

يوميها كان أول مرة أعيط من بعد موت هادي، عشت معاها ١٠ سنين في بيت واحد.. كان عندي ١٧ سنة وقتها وليلى ١٢ سنة.. رجعت لسكوتي وكتماني ورجعت لعالمي تاني، لحد لما اتخرجت من المدرسة وطلبت أدرس في جامعه برا، وفعلًا سافرت لحد لما اتخرجت ورجعت تاني.. وأنا هناك كانت تمارا كل فترة تجي لي.. كنت بتجاهلها بكل الطرق، بس كانت بتيجي تاني.. لما رجعت عمتي قالت لها إنها هتطمن على تمارا معايا لأنها بتثق فيَّ، أنا كنت متأكد إن تمارا اللي بعتاها عشان أنا مش مديها وش.. رديت على

عمتي وقلت لها إني مش عايز أتجوز دلوقتِ، فضلت ورايا زن زن لحد لما قلت لها تدور لي على عروسة قالت لي تمارا، قلت لا، تمارا أختي وعمري ما هشوفها غير كدا.

بابا قال عليكِ لأننا عيلة وبرضه عشان شغله مع باباكِ.. تمارا اليوم دا فضلت تعيط، بس حقيقي ما حستش إني لازم أروح لها ولا أكلمها، بصراحة هي مش مهمة عشان أعمل أي مجهود عشانها.. دخلت نمت ولما صحيت كانت تمارا عمالة تضحك بصوت عالي أوي وتقول «بقى هي دي»، ولما نزلت فضلت تمارا تشجعني إني أجي أتقدم لك، وحصل وجينا عندكم بعد لما روَّحنا دخلت عمتي منى الأوضه بتاعتي بالليل وقالت لي بالنص: «أنا حاسة إنك هتتورط كدا، بالذات إن فيه شغل بين أبوها وأبوك، لو مش عايزها أنا هلغي لك كل حاجة.. أكيد تمارا هتبقى أحسن ليك».

ما حدش كان مصدق إني فعلًا أعجبت بيكِ وإني عايزك أنتِ.. تمارا اتجننت وبقت عايزة تبوظ الموضوع بكل الطرق، بس ما كانش عندي استعداد أسيبك أنتِ كمان تمشي.. عارف إنك مش هتفهمي خوفي، بس ما ينفعش نجيب أولاد وبعدين ننفصل ونعيشهم في نفس التشتت والقرف اللي أنا عشت فيه.. أنا كنت عايز أتأكد إنك مش هتسيبيني.. لا أنا كدا بكدب، أنا عارف ومتأكد إنك مش هتسبيني، بس أنا خايف..

بجد خايف الخطوة دي مش عارف هتبقى عاملة إزاي، مش عارف هقدر أكون أب كويس ولا هبقى زي أبويا، مش عارف أنتِ ممكن مشاعرك ناحيتي تتغير ولا لا، زي ما أمي مشاعرها اتغيرت وسابت بابا وسابتنا، أنا عارف ومتأكد إنك لو في يوم سيبتيني مش هتسيبي ولادك.. لأنك مش زي أمي، أنتِ فيكِ كل الحنية اللي تكفي بيها كل الناس، لا وهتفيض كمان، بشوف دا من تعاملك مع الأطفال في الدار، أنا آسف إني حرمتك من إحساس الأمومه لأني جبان ومش قادر أتغلب على خوفي دا.

أنتِ ليكِ الاختيار ومش هتبقى غلطانة لو مشيتِ، أنتِ مش مجبرة إنك تفضلي مع شخص مكلكع زيي، بس أنا والله بحبك.

***

وكأني شفت كل دا وهو بيحكي، حاسة إني تخيلت كل حاجة.. شادي كان الشخص اللي حببني في نفسي ولغى فكرة إني وحشة من دماغي زي ما دلوقتِ لغى فكرة «فاقد الشيء لا يعطيه» من دماغي، شادي أكتر شخص فقد الحنية زي ما هو أكتر شخص ادهاني.

ما قدرتش أسيبه، ما قدرتش أمشي، وكأني ما سمعتش حاجة، ما قدرتش أعمل زيهم بالرغم من كرهي للكدب، بس قدرت أتجاهل موضوع الكدب وأركز في الحكاية الحقيقية اللي أنا الغلطانة، لأني ما سألتش من الأول أو هو الغلطان لأنه ما حاولش يحكي لي.. بس عادي أنا قررت أعتبر إن رحلة حيانتا هتبدأ من دلوقتِ مع سيلا بنتنا.. آه ما أنا حامل في بنت والحقيقة إني مش عايزة شادي يعرف إني هنا، ولا إني عايزاه يعالج جرحه القديم، بس أنا عايزة أنا اللي أعالجه، ولأني أكيد هحتاج حد متخصص يساعدني أنا جيت لك.

«فاقد الشيء لا يعطيه» مقولة قديمة أنا بؤمن بيها حتى بعد المريضة الأخيرة دي.. بس بقيت بؤمن أكتر بأن «من أكثر في فعل شيء تجاه شخص هو أكثر من يحتاج إليه» دي مقولة ما حدش بيؤمن بيها

غيري، عشان ما حدش يعرفها غيري، يمكن لأن يبان المقولتين شبه بعض، بس أنا من رأيي شايف الاختلاف، المقولة دي بتفسر اهتمام شادي وتمسكه بهديل, شادي كان بيهتم لأنه كان نفسه يلاقي اللي يهتم بيه، شادي كان بيتمسك بيها لأنه ما حدش كان متمسك بيه، وبتفسر أفعاله زي لما يصحى ما يلاقيهاش يقوم يدور عليها لأنه خايف يصحى يوم تكون مشيت.

حتى لما منع عنها الحمل - ودي حاجة أنا مش معاه فيها – بس كان له سبب، وهو الخوف من إن حتة منه هتعيش نفس اللي هو عاشه، لو هديل مشيت وسابتهم ومع إنه كان متأكد إنها مستحيل تعمل كدا، بس برضه زمان كان مستحيل يتخيل إن أمه تعملها وتسيبهم، ولا إن أخوه في يوم هيمشي ولا أخته الصغيرة، وزي ما كل دول مشيوا هديل ممكن تمشي.. شادي مش مريض، شادي طفل في هيئة راجل.. قدام الناس هو راجل، بس هديل بتعرف تطلع الطفل اللي جواه، عشان كدا هي الوحيدة اللي ممكن تعالج شادي الطفل مش شادي الراجل، لأن شادي الطفل هو اللي محتاج علاج.

الماضي

- الماضي هو الذكريات وحشة أو حلوة مش مهم، المهم إنها حاجة عشناها، حاجة يمكن ساعات بنتمنى ننساها، وساعات فعلًا بننساها، بس الأكيد إنها حصلت، إنها فعلًا موجودة في عقلنا حتى لو مش فاكرينها.. في ناس بتخاف من المستقبل وبيقولوا إنه من الغيب، يعني ما يعرفوش هيحصل فيه إيه، بس الصح بقى إنهم يخافوا من الماضي عشان كل حاجة هتحصلهم في المستقبل مترتبة على اللي عملوه في الماضي.. الشخص اللي بيبقى فاكر ماضيه صح هو بس اللي يتوقع مستقبله.. وده بيبقى واحد كل مليون.. لأن سهل الإنسان يفتكر ماضيه، بس صعب يتعامل معاه، صعب يقنع عقله إنه فعلًا عمل أو اتعمل فيه كم من الحاجات البشعة دي.. مفيش إنسان في الدنيا ما خانش أو ما اتخانش، أصل الخيانة مش بس بين حبيب وحبيبة، الخيانة أب بعيد عن بنته، أم مهملة ابنها، أخ بيضرب أخته، بنت بتخون ثقة أهلها وبتتعرف على شاب.. الخيانة أنواع كتيرة ممكن مش بالأفعال، ممكن بالتفكير ممكن بالأقوال، بس مفيش حد ما اتخانش، بس أنا اتخانت بأكتر من طريقة.

أنا اسمي شمس، في بداية كلامي عرفت لك إيه هو الماضي من وجهة نظري، عرفت لك الماضي قبل ما أعرف نفسي لأن الماضي هو أنا.. أنا شخص حياته دلوقتِ كدب في كدب، أنا حقيقتي في ماضيَّ.. الماضي اللي الوقت قريب كنت ناسيه، الماضي اللي وجعني، لدرجة خلتني أنساه من وأنا عندي ١٠ سنين لحد ما بقى عندي ٣٠ سنة، كل سنة في عيد ميلادي ببقى عارف إن في حاجة وحشة هتحصل، مش عارف ليه، بس اللي عارفه إني عندي مشكلة مع رقم صفر.. السنة اللي بيبقى عمري فيها رقم وجمبه صفر بتخان.. اتخنت في عمر الـ ١٠ سنين، اتخنت الخيانة التانية في عمر الـ ٢٠، والتالتة اللي كانت صدمة ليَّ واللي كانت السبب في إني أفتكر، الأولى كانت في عمر الـ ٣٠.. يمكن الصفر بيكرهني بس أنا مش قادرة اتخان تاني، أنا فاضل لي شهر وأدخل على ٤٠، مش عارف هتخان من مين المرة دي.

- أول مرة مين اللي خانك؟

أجاب شمس إجابة جعلت الدهشة تظهر على وجهي:

- الأولى كانت أمي، والتانية كانت أختي، والأخيرة من مراتي.

- نعم هو أنتِ...

- أنا راجل يا دكتور.

- كملي كملي

- أنا مش مجنون أنا فعلًا راجل.

فتح شمس تلك الحقيبة النسائية التي يحملها وأخرج محفظة باللون الوردي، وأخرج منها بطاقة شخصية باسم شمس جلال الدين محمود بصورة رجل لا يشبه ذلك الذي يجلس أمامه مطلقًا.. قَلَبَ البطاقة ليظهر النوع ذكر.

- يعني إيه بقى؟!

«يعني إيه الإنسان اللي قدامي دا ولد؟! يعني إيه؟! هو يمكن كم المكياج اللي حاطه خافي ملامحه، طب والشعر؟! دي شعرها طويل ولونه الغريب دا، ولا الحلقان الكتير اللي في مناخيرها ولا مناخيره دا واللي في ودنه واللي في لسانه، ولا الروج الأحمر اللي هو حاطه والكعب اللي هو لابسه.. منظره مثير للاشمئزاز لو على بنت.. أما دا ولد راجل.»

- أنا راجل بس عملت عملية تحويل عشان مش عايز أكون راجل تاني، يوم ما عملتها أهلي ما صدقوش، مراتي بقت تصوت، أمي صممت إني بكذب، أختي اغمى عليها، وهو دا اللي أنا كنت عايزه، إنهم ما يكونوش مرتاحين حتى لو على حساب نفسي.

- إيه اللي ممكن يكونوا عملوه عشان تعاقبهم في نفسك

- قلت لك خانوني.

في بداية العشرينيات كانت حياتي مثالية، راجل خاطب بيشتغل شغلانة ثابتة في فندق في شرم الشيخ، عندي القدرة إني أفتح بيت، علاقتي بأمي علاقة طيبة جدًّا، والحمد لله أختي محترمة ومتربية، أما أبويا اللي أصلًا مش فاكره ما أعرفش مكانه.. كل حاجة كانت تمام لحد ما خطيبتي سابتني وراحت لواحد تاني، قلت عادي ما ليش نصيب، حتى حبي ليها عادي مش مهم هحب غيرها، وفعلًا ما فاتش كتير وكانت أمي جايبالي العروسة اللي هي جمال وحلاوة إيه، لا ومحترمة ومن بيت طيب، قلت هتوكل على الله واتجوزتها، وفعلًا كانت كل حاجة كويسة لحد ما اكتشفت إن أختي على علاقة ،بشخص ولما واجهتها قدام جوزها وأمي طلعتني مجنون وعندي صدمة عصبية من ساعة ما كنت صغير، عشان كنت حاضر الموقف اللي أبويا حاول يقتل أمي فيه.. موقف أنا أصلًا مش فاكره، الكل بيحاول يغلوش عليه وانا ما كنتش محتاج أفتكره، أنا حياتي كلها كويسة بس أختي اللي كنت فاكرها أختي طلعت ست خاينة، لا ومش كدا وبس، دي طلعتني مجنون وجوزها الأهبل صدق.. من جوايا جزء مني كان بيقول أحسن مش هو اللي بيقول عليَّ مجنون، وجزء تاني كان مكسور يعني أنا أختي تعمل كدا.. دي تربيتي.. أختي خانتني الخيانة الأولي وطلعتني مجنون.

بعدت عنها وقررت إني ما أكلمهاش، وهي كانت بأمانة مستبيعة، وده اللي كان واجعني أوي، بس كنت متعود على البعد، يعني على طول بسافر ببقى في شرم وكلهم في القاهرة، برضه تعايشت مع الواقع وقلت تمام، لحد اليوم اللي مراتي قالت لي إنها حامل.. اتصدمت.. أنا متجوزها من سنين وربنا ما رزقناش، ولما رُحنا كشفنا الدكتور قال إن العيب من عندي، بس أنا خبيت عليها عشان ما تسبنيش، عشان دايمًا كنت بحس إنها بتتلكك لي على الواحدة، بس أنا حبيتها وكنت عايز أكمل معاها، فكرت إن ممكن يكون الدكتور غلط أو العلاج جاب نتيجة، ورُحت كشفت تاني لقتني برضه ما بخلفش.. يبقى يا هي بتكدب عليَّ، وهي أكيد بتكدب عليَّ، أصل مستحيل تكون... تكون بتخوني.. تابعتها فترة لحد لما تأكدت إن فيه حد في حياتها، بس ما كنتش مصدق، حتى لما شفتها معاه ما كنتش مصدق.. وقفت مذهول.. دعاء مراتي خانتني مع واحد.

وكان موقف واحد اللي بيتردد في عقلي.. كانت أمي قاعدة على الأرض وبتصرخ بتقول: «سامحني» وراجل واقف بيضربها.. دا كان أبويا.. آه كان أبويا اللي لأول مرة أفتكر ملامحه.. هنا بس افتكرت تالت يوم العيد كان عندي ساعتها ١٠ سنين، وأنا بلبس عشان نازل مع بابا عشان نروح البلد وقلنا لماما إننا هنبات

هناك،واحنا بنكلمها أماني أختي طلبت منها إنها تنزل تلعب على السلم مع صحابها، وماما ردت قالت لها بعد ساعة يا حبيبتي.. نزلنا ووصلنا لمحطة القطر وكنت خلاص فرهدت من الحر، كنت هموت وأركب القطر أصلي كنت بحبه أوي، وبابا واقف يحجز التذاكر ما لقاش المحفظه وقررنا نرجع نجيبها تاني.. ومش محتاج أحكي لك الباقي لأنه شيء متوقع جدًّا.. لما وصلنا كان فيه واحد مع ماما في البيت، ساعتها حاول أبويا يقتل أمي.. ودي كانت خيانة أمي ليَّ اللي افتكرتها بعد أكتر من ٢٠ سنة.

واعتبروا أبويا هو المجرم، لأن أختي شهدت إن ابويا كان بيشرب حاجات وكان دايمًا بيضرب أمي، مع إنها كانت أول مرة.. وقتها بس عرفت إن أختي ما خانتنيش مرة، لا اتنين، ويمكن أكتر.. كان نفسي أفهم هما بيفكروا في إيه الستات دول، دايمًا بيقولوا إن الرجالة خاينين، بس لما فكرت فيها هي الرجالة بتخون الست مع مين، مش مع ست تانية، يعني مش بس الرجالة اللي خاينين.

- يعني كل الستات اللي في حياتك طلعوا خاينين؟!

وقف وبدأ يتحرك تجاه الباب فأوقفه صوت الطبيب:

- رايح فين لسه الجلسة ما خلصتش.

- أنا خلصت كلامي يا دكتور.

تحرك ليخرج، لكنه توقف قبل أن يصل إلى الباب والتف ليتكلم:

- على فكرة يا دكتور أنت كمان اتخانت دلوقتِ.. لأن مفيش حاجة قلتها لك حقيقية.. أنا بنت واسمي هدى، حتى القصة الجميلة اللي حكيتها لك كلها كدب، أما البطاقة فهي بطاقة شمس أخويا التوأم..

خرج أو خرجت مش عارف.. بس الإنسان اللي خرج دا حقيقي مريض، مش بقول كدا من دافع الغضب منه، لا هو بجد مريض، مش عارف إيه اللي يخلي إنسان يوصل للمرحلة دي من الكلام عشان بس يثبت لنفسه إنه ممكن يسخر من حد بالطريقة دي، مش عارف إيه اللي ممكن يحصل عشان إنسان يوصله للمرحلة النفسية دي، مش بس عدم الثقة في نفسه واللي حواليه، لا دا بيسعى إلى إنه يفقد الآخرين ثقتهم بنفسهم وبغيرهم، وكأنها حاجة بيتغذى عليها.

من فترة

من فترة إسلام أخويا مسك موبايلي بالصدفة لقى رسالة مبعوتة ومحتوى الرسالة خلى الفضول يزيد عند إسلام ففتح الشات كان بيني وبين أكتر واحد حبيته في الدنيا، يمكن بحبه أكتر ما بحب إسلام.. حب الطفولة.. حب سبع سنين على أمل إني لما أكبر أكون أنا اللي شايلة اسمه أكون أنا مراته، بس أنا بالنسبة له واحدة صاحبها سبع سنين، واحدة صاحبها إزاي يتجوزها، إزاي يتجوز واحدة حبها اللي كان كبير لدرجة خلتها تضيع ثقة أهلها، واحدة كانت بتكذب على أهلها سبع سنين عشان تعرف تنزل تشوفه أو حتى تكلمه في الموبايل، يمكن زي ما الناس بتقول الحب بيعمي وأنا اتعميت بيه، كل حركة منه وكل إشارة كان بيثبت لي بيها إنه مش هيكمل معايا كنت بترجمها على إنها حسد من كتر ما احنا لايقين على بعض، من كتر ما احنا بنعشق بعض، بس لا، دي كانت إشارات وأنا اللي كنت غبية وما فهمتهاش، هو لا حبني ولا هيحبني، سبع سنين ضاعوا من عمرنا، بس ليه فضل معايا كل دا؟!

يمكن لأني حلوة؟! ولا لأن كل صحابه كانوا عايزين يرتبطوا بيَّ؟! ولا يمكن لأني كنت بهتم بكل حاجة في يومه، زي إني أصحيه للمدرسة أيام ثانوي، وإني أبعت له ورق الدروس، ولا يمكن لأني في الجامعة كنت بساعده في الامتحانات لحد لما هو جاب تقدير أعلى مني واتخرج بجيد وأنا بمقبول؟! ولا لأني دايمًا اللي بتأسف وأنا مش غلطانة؟! ولا لأن أمه بتحبني من أيام لما خليته يبطل سجاير؟! ولا عشان كنت بساعد أخته؟! ولا لما أبوه دخل المستشفى وهو كان شبه منهار وساعتها عيط قدامي وما نزلش من نظري لا دا كبر، وبكل هدوء مسحت دموعه؟! ولا لما جاله تسمم وكان تعبان وأهله مسافرين البلد، وأنا نزلت له وجبت الدوا وحطيته قدام باب شقته ونزلت، وبعدين اتصلت بيه وقلت له الدوا قدام الباب؟! ولا يمكن عشان عيد ميلاده الأخير أنا عملت له «سربرايز بارتي» وعزمت كل صحابه وجبت صاحبتي عشان ما أبقاش قاعده لوحدي مع الولاد دي كلها؟! لا وكمان يمكن لأن لما سارة صاحبتي اتفاجأت إنها قاعدة مع الولاد دول كلهم وأنا بس اللي معاها اتضايقت وحاولت تفهمني إنه مش بيحبني، بس أنا دافعت عنه؟! لا وكمان لما حكيت له قال لي إنها بتوقع بيننا وأنا صدقته، يمكن عشان كل دا كانت آخرتي معاه رسالة بعتها بيقول لي بكل بساطة كل حاجة...

« كل حاجة بيننا انتهت أنا مش عايز أعرفك تاني».

هي دي الرسالة اللي شافها إسلام، الرسالة اللي أجبرته غصب عنه إنه يشوف باقي الشات، إنه يعرف السر اللي خبيته عليهم كلهم لمدة سبع سنين، إسلام فضل يطلع لفوق، وعشان يعرف سبب اللي خلى الندل دا يسبني.. آه ندل على رأي إسلام يعني.. المهم إن إسلام ما استسلمش مع إنه شاف كلام يحرق الدم زي إني بتأسف له وهو بيذل فيَّ ومش راضي إننا نرجع.. كل اللي جه في دماغ إسلام ساعتها إني عملت حاجة غلط معاهـ عشان كدا بطلب منه يجي يتقدم لي.. بس لا، لا يا إسلام، والله دا ما حصل، اللي حصل إني بحبه ونفسي تبقى في إيدي دبلة مكتوب عليها اسمه، وده اللي أدركه إسلام بعد ما قرأ الرساله دي:

«على فكرة أنا بنت ناس أوي، ومش معنى إني بقالي كتير بتحايل عليك عشان تجي تتقدم إني أبقى رخيصة، كل اللي أنا بعمله دا عشان أهلي، أنا عايزة أعرفهم الحقيقة؛ إني بحبك، وإنك كمان بتحبني زي ما بتقول».

كنت واقفة ورا إسلام وبقرأ الكلام دا معاه، وهو من تركيزه في الكلام ما خادش باله إني وراه...

سرح إسلام في الرسالة دي، مش عارفة كان بيفكر في إيه، بس كل اللي قلقني إسلام هيعمل إيه بعد اللي شافه دا، هيضربني ولا هيزعق ولا هياخد الموبايل ولا هيحكي لماما وبابا وهما يتصرفوا ولا إيه.. كنت واقفة وراه بفكر في اللي هيعمله فسرحت بتخيل اللي هيحصل لحد ما سمعت صوت رسالة جديدة، وزي ما الفضول انتابني انتاب إسلام ونزل يشوف الرسالة اللي خلت عيوني من غير تفكير بتدمع لا مش دموع بس دا عياط دا انهيار.. لف إسلام لما حس بوجودي كنت خلاص مش فارق معايا اللي هيعمله فمهما كان مش هيكون في صعوبة الرسالة اللي فاتت، بس اللي اتفاجئت منه إسلام بص لي بشفقة وأخد الموبايل ونزل من غير ما يقول لي أي كلمة، من غير ما يتعصب من غير ما يضرب.. تصرف غريب من شخص عصبي، بس مهما كانت عصبيته حنيته أكتر وحكمته وتفكيره.

نسيت كل حاجة عن إسلام وتجنبت التفكير في الموضوع، كل اللي عايزة أعرفه أو اللي عايزه أثبته إن الرسالة دي فيها حاجة غلط، أصلًا الرسالة كلامها كان غلط أكيد، يعني إيه بعد سبع سنين حب يجي يقولها بكل بساطة.

«مريم أنا عارف إنك هتكلميني دلوقتِ وتتأسفي عشان نرجع، بس أنا المرة دي مش هرجع، أنا المره دي مش هينفع أرجع بجد، مريم أنا خطوبتي بكرة ومش هينفع أكمل معاكِ، أنا بحب خطيبتي ومش عايز يكون حد تاني في حياتي».

دي حقيقي، أنا فعلًا كنت بتمنى دا بس من جوايا كنت متأكدة إن الكلام دا صح، كنت متأكدة إني بالنسبة له ولا حاجة، أنا حبيته بس هو ما قدَّرش دا، أتمنى إنك ما تكونش كويس وتعيش حياة مش مريحة، أتمنى إنك ما تعيشش أصلًا.. ساعة ساعتين وإسلام لسه ما جاش.. لسه كنت بكمل الجملة لقيت إسلام بيفتح باب الأوضة وبكل هدوء قال لي:

- يلا عشان هننزل.

- إسلام أنا عارفة إنك متعصب أوي بس والله أنا بس عايزاك تسمعني.

- يلا عشان هننزل.

- هغير وأجي.

- ماشي وأنا هقول لماما إننا نازلين.

نزلنا وركبنا العربية، إسلام سايق وهو مركز أوي في الطريق، أو يمكن تركيزه مش في الطريق بس تركيزه في إنه بيرتب حاجة في دماغه، أما أنا ما كنتش متخيلة إيه اللي ممكن يحصل يعني ليه نزلنا.. كنت بفكر في حاجات غريبة زي إنه هياخدني في مكان مهجور يعني عشان يضربني، بس ليه وجع الدماغ دا؟! ما كان يضربني في البيت، وإيه الهدوء دا؟! لا لا إسلام أعقل من إنه يعمل فيَّ حاجة.. استسلمت بعد تفكير طويل، لأني ما وصلتش لنتيجة.. استغربت أوي لما وقف إسلام العربيه وقفها قدام الكافيه اللي بقعد فيه مع أمير حبيبي الخاين، نزلنا ودخلنا وبرضه إسلام هادي أوي، افتكرت إني هلاقي أمير جوة وده اللي كان نفسي فيه، عشان أنزل فيه ضرب، بس لا برضه ما لقتهوش، المهم قعدت وطلبنا كوفي وبدأ إسلام يتكلم:

- دا اسمه إيه اللي احنا قاعدين فيه دا؟!

- دا كافيه.

- لا يا مريم أنا مش غبي أوي كدا، اسم الكافيه دا إيه؟!

- اسمه بلاك.

- اسم على مسمى يعني.

- إسلام هو احنا جينا هنا ليه؟!

كنت مرعوبة وأنا بتكلم، مش عارفة هو ناوي على إيه، وأول لما سألته تعابير وشه اتغيرت وبان عليه الجدية أوي في كلامه.

- أنا آسف يا مريم.. كان لازم أعرف إن كما تدين تدان زي ما بيقولوا، كان لازم أحط الموضوع دا في دماغي، أنا مصاحب واحدة من ست سنين، وبرضه بعاملها بطريقة زفت وهي بتعمل كل حاجة ممكن تتخيليها عشان ترضيني، بس أنا اللي زبالة، أنا ما كنتش أعرف إن لما أعمل كدا هيترد في أختي بالسرعة دي، مريم أنا فكرت كتير، فكرت إني أضربك، فكرت إني أقتلك، فكرت إني اتخانق معاكِ وآخد الموبايل منك، فكرت إنك لازم تتعاقبي، بس في الآخر النتيجه اللي وصلت لها هي إني أحضنك وأتأسف لك، أنا آسف إني أذيت بنت واتردت ليكِ، أنا آسف على كل مرة جيتِ تقعدي معايا وأنا نزلت أقعد مع صحابي على القهوة، على كل عيد حب وما عيدتش معاكِ فبقيتي تعيديه مع غيري، أنا آسف لو في يوم ما ادتكيش الأمان والحنان الكافي اللي خلاكِ تدوري عليهم برة، أنا آسف على إني ما عرفتش أكون أخ وسند لما كلب زي دا يعاملك كدا تشتكي لي، أنا آسف يا مريم، أنتِ آه أختي الكبيرة، بس متنسيش إني أنا راجلك حتى لو كنت وأنا صغير أقصر منك، بس أنا دلوقتِ بوطي عشان أكلمك، أنتِ أختي الكبيرة بس أنا هفضل راجلك، أنا آسف يا مريم عشان سمحت لواحد زي دا إن هو يتكلم معاكِ كدا، أو إن هو يكلمك حتى...

ما كنتش مصدقة إن إسلام اللي قاعد قدامي بيقول كدا، إسلام فعلًا راجلي، حتى لو كان في يوم من الأيام أقصر مني، دلوقتِ بس فهمت معنى الأمان.. إحساس حلو لما قلبي اطمن، إحساس حتى اللي كنت مرتبطة بيه ما عرفش يديهولي، إحساس إسلام بس اللي كان السبب فيه.

شكرًا يا إسلام.. أنا بحبك أوي.. ساعتها قررت إني مش هتكلم مع ولاد تاني ومش هتحايل على حد يجي يخطبني، أنا أصلًا حلوة وألف مين يهواني، كنت فاكرة إن دا العقاب اللي هعاقبه بيه، يعني قصاد خيانته ليه وخطوبته اللي بكرة، بس إسلام كان ليه رأي تاني، إسلام كان عايز يعرفه إني حاجة غالية إني مش قليلة أبدًا، وكانت خطة إسلام إننا نروح الخطوبه أنا وهو بما إنه ما كانش يعرف شكل إسلام أخويا، المهم إسلام جه تاني يوم من غير ما يقول لي أي حاجة وقال لي إنه محتاج ينتقم من حد وعايزني أساعده.. كان جوايا طاقة عايزة تطلع فمن غير تفكير قلت له «إيدي على كتفك» بهزار.. اداني شنطة فتحتها لقيت فستان سواريه يجنن، بص لي وقال لي البسيه، ولبست وخرجت باين إن هو مفهم ماما إننا رايحين فرح، أصل هو كمان لابس بدلة تحفة شكلها جديد، نزلنا وركبنا العربية ووقفنا في نادي

قدام قاعة أفراح بالظبط، ركن إسلام قدام عربية العرسان، المهم نزلت ولسه هدخل وقفني وطلع علبة من جيبه وفتحها كان فيها دبل، أنا استغربت وما كنتش فاهمة فيه إيه، بدأ إسلام يتكلم عشان الحيرة اللي أنا فيها دي تروح:

- دول دبل خطوبة أنتِ كان نفسك تتخطبي للي كنتِ مرتبطة بيه، بس هو كان ندل وبعد كل اللي أنتِ عملتيه عشانه دلوقتِ هو بيعمل خطوبته في القاعة اللي قدامك دي.. احنا هندخل على أساس احنا اتنين مخطوبين وأنتِ جاية تباركي له عشان عشرة العمر والعيش والملح اللي بينكم أيام ما كنتم في مدرسة واحدة.

إسلام كان بيتكلم وأنا ببص له وفرحانة أوي.. مسك إيدي ولبسني الدبلة ولبسها هو كمان وبص لي وقال لي:

- الدبل دي مش هتتقلع من ادينا حتى لو في يوم أنتِ اتخطبتِ، اوعي تقلعيها وأنا والله ما هقلعها أبدًا.

بالرغم من إني دلوقتِ هشوف حبيبي مع واحدة تانية كنت فرحانة أوي، حاسة إن فيه حد أقرب ليه منه.. أخويا.. هو فعلًا راجلي.. دخلنا القاعة أيوه هو كان قدامي، كان جنب واحدة حلوة يمكن أحلى مني، كمان كان بيضحك كان فرحان لحد لما شافني اختفت الضحكة اللي كانت من الودن للودن من دقيقة، كنت بقرب عليه وبدأ التوتر يبان عليه واتهز كدا لوهلة وأنا جاية عليه وبضحك وجنبي إسلام، بس ما خادش باله من إسلام إلا لما إسلام مسك إيدي.. عينه اللي كانت ثابتة عليَّ اتهزت وبقت بتبص على إيدي اللي في إيد إسلام، وطبعًا لأنه مش عارف إسلام، لأنه ما اهتمش يعرف أي حاجة عني قبل كدا، حسيت بكسرة عينيه لما شافني مع غيره.. عينيه ما سابتناش إلا لما وصلنا قدامه ومديت إيدي اللي فيها الدبلة وسلمت عليه، عينيه كانت على الدبلة وكانت بتطق شرار، وبعدها سلمت على عروسته وكانت جملة واحدة اللي حابة أقولها لها.. الله يكون في عونك.. عينه كانت ملازماني زي ضلي وانا عمالة أرقص مع إسلام ومهيصين وإيه ولعناها، وبجد كنت ناسية وجوده عشان أخويا عوضني عنه، أخويا أحسن منه، أنا مش محتاجاه، أنا أخويا دلوقتِ مكفيني، اليوم خلص على كدا عدت فترة كبيرة بعد اليوم دا، أسلام بقى يحكي لي كل حاجة عنه، والبنت اللي كان مرتبط بيها بقى يعمالها حلو أوي، وهي بصراحة كانت قمر لما وراني صورتها وقال لي إن اسمها نسمة، وإن هو مش عايز يسيبها لأنه لو سابها هيندم أوي، وبدأ يشتغل وكل الفلوس كان بيحوشها عشان يتقدم لها، مع إن بابا قال له ما لكش دعوة بحاجة، بس هو كان بيعمل كل اللي عليه عشان يعرف يحقق لها اللي هي عايزاه كله، بجد تعب أوي الفترة دي لحد يوم ما جه يتقدم لها.

اليوم اللي أنا بجد كنت مستنياه، يعني أخويا هيبقى عريس وأحلى عريس كمان.. رُحنا وبصراحة الناس كانوا محترمين أوي، استقبلونا بطريقة شيك ومحترمة، وبابا بدأ يتكلم وطلب البنت اللي كانت قاعدة بتبص لأخويا وعينيها بتطلع قلوب ومش قادرة تقفل بقها من الضحك، كان باين أوي حبها ليه وفرحتها لأنه طلع راجل معاها.. والد نسمة كان عارف ردها وعارف إن البنت نفسها إن الموضوع يكمل؛ فبدأوا يتكلموا عن التفاصيل وأبو نسمه كان بجد متساهل مع أخويا، لدرجة إننا حاسينه إنه فعلًا بيشتري راجل؛ اتفقوا على كل حاجة وناقص حاجة واحدة ميعاد الخطوبة واللي أول لما جت سيرته اتكلم إسلام وقال:

- أنا مش عايز أعمل خطوبة.

قالها إسلام وبالصدفة لاحظت والدة نسمة الدبلة اللي في إيد إسلام، طبعًا كأي ست مصرية عايزة تعرف سبب الدبلة دي، وإسلام ما استناش كتير ورجع اتكلم تاني:

- الدبلة دي مريم لابسة زيها وأنا اللي جايبهم لينا، ووعدتها إني مش هقلعها ومش هعرف ألبس واحدة تانية، عشان كدا أنا عايز يبقى فرح على طول أو حتى كتب كتاب، عشان دبلة نسمة تبقى في إيدي الشمال.

في وقت زي دا ما ينفعش أفرح، بس أنا كنت فرحانة لسبب واحد.. إسلام وفي بوعده ليَّ.. أنا كنت فاكرة دا كلام وإنه لما يخطب هيقلعها، بس إسلام بوظ الدنيا والقعدة اتقلبت ومشينا من غير ما نحدد حاجة، ووالد نسمة قال إنه هيفكر، بس أنا رحت لنسمة وحكيت لها كل حاجة، واتفقت مع والدها والحوار كمل الحمد لله بس كدا.

- ألف مبروك، بس فين المشكلة؟!

- المشكلة إن دا اللي كان نفسي يحصل، بس لا، إسلام ما عملش كدا وعمل عكس كل كلمة قلتها، كان هيحصل إيه لو عمل كدا؟! كان هيموت يعني لو كان بدل ما يضربني اتكلم معايا أو كان قربني ليه من الأول بدل ما أدور على حد تاني يقرب ليَّ؟! كان هيحصل له حاجة لو ما قالش لبابا؟! طب بابا كان هيحصل له حاجة لو ما كانش مسكني ضربني وحلق شعري؟! أنا عارفة إنه صعيدي، بس كان لازم يعرف إن هما اللي خلوني أعمل كدا؛ عدم ثقتهم فيَّ وحبستهم الدايمة خلتني أتعلم إزاي أهرب من المصيدة، شكهم الدايم علمني إزاي ما أسبش دليل ورايا، مراقبتهم المبالغة كانت سبب في كل دا، يعني لو بدل المراقبة اهتمام ومتابعة لو بدل الشك ثقة، لو بدل الحبسة إفراج، لو أخويا يقف جانبي ويبقى سندي مش لو اتعاكست في الشارع يطلع يضربني بدل ما يتخانق مع اللي عاكسني، لو كانوا بيسمحولي إني أعمل أي حاجة زي ما مسموح لأخويا، لو مش شايفة أخويا وهو بيصاحب بنت واتنين وتلاتة على بعض كان كل حاجة اختلفت، لو كان عادي إني أقول لهم إني رايحة لدكتور نفسي أشتكي له مش رايحة لصاحبتي اللي عملت حادثة كان كل حاجه هتختلف.

أنا عارفة إنها مش حاجة صح وإني كبيرة كفاية إني أفهم حاجة زي دي، بس أنا ما فكرتش أرتبط إلا لأني لاقية إهمال من الناس اللي قريبين مني، عشان كدا لجأت لأي حد هيديني الاهتمام اللي كان نفسي فيه لو كان ابويا بيسمعني، بيقرب لي، بياخد برأيي، بيحطني في حسابه، لو كان عندي أخ بيحب يرغي معايا، بيخرج معايا، بيسأل عليَّ، بيعرف إني متضايقة من غير ما أقول، لو كانت أمي على طول معايا مش في الشغل حتى لو أنا تعبانة، لو كانت واخداني صاحبتها، لو كانت ما بتتريقش على أقل حاجة أعملها.. لو كان كل دا ما كنتش صاحبت، لأني مش من النوع اللي يعمل حاجة لمجرد إنها منتشرة وإن الناس كلها بتعملها.

***

- لو كان كل دا ما كانش حصل كل دا.. مستحيل كنت أكون إنسان متفهم في حالة إني عرفت إن أختي

على علاقة بشخص، بس لو فكرت فيها، لو في يوم أختي عملت دا فمتأكد إني أنا السبب، يمكن دين بيترد لي في أختي، ويمكن عدم اهتمامي بيها، بس كل دا مش بيمحي نقطة إنها غلطانة، وبحكم عاداتنا ودينا اللي بيرفضوا دا بشدة هعاملها بشدة وأسوء معاملة، بس لو فكرت فيها من نظرية «فيها إيه لما تغلط ما كل إنسان بيغلط» أعتقد هبقى رحيم بيها شوية، أو لو فكرت أفرق بين المراقبة والاهتمام وبين اللين أو الثقة والإهمال.

الشيطان يتعلم

الباب خبط وفتح اللي بيخبط من غير لما أطلب منه يدخل.. كانت ست كبيرة عندها يجي ٥٠ أو ٦٠ سنة، مش عارف أحدد بالضبط بسبب الميكاب اللي مغطي وشها، شعرها اللي متأكد إنه لونه الحقيقي أبيض بس الصبغة الشقرا حلوة أوي فبتداري, هدومها اللي بالألوان الفاتحة وكأنها بنت صبية عندها يجي ٢٠ سنة.. قعدت على الكرسي اللي قدامي.

- عندك مراية؟!

- نعم!!

- مراية.. إيه هو أنا بقول لك حاجة أبيحة؟!

أشرت بأصبعي إلى الخزانة التي بالجانب الأيسر من الغرفة.

- لو فتحتِ الضرفة دي هتلاقي مراية.

فضلتْ باصص عليها وهي بتتحرك وأنا منتظر أشوف هي بتحاول تعمل إيه ولا بتحاول تقول لي إيه، لحد لما بدأت تتكلم:

- أنا فيروز هانم.

قالت جملتها وسكتت تاني.. فتحت شنطتها وخرجت منها قطنة وسائل، وحطت قليل منه على القطنة ومسحت وشها وبدأت تبان التجاعيد اللي خلتني أبدأ أحس إن الست دي تعدت الـ٧٠ من عمرها، واتأكدت لما خلعت وصلة شعرها (باروكة) وسابت كل حاجة على الكرسي بإهمال وجت قعدت على الكرسي اللي قدامي.

- دلوقتِ أنا جليلة بنت الشيخ عماد اللي عايشة من ١٩٤٩.

هحكي حاجات عدى عليها يجي أكتر من ٦٥ سنة، بس هتفضل محفورة في ذكرياتي، مش لأني مش بنسى حاجة، لا، دا أنا بقيت بنسى إني لابسة النظارة اللي على وشي.. أنا فاكرة الحاجات دي بالذات لأنها كان ليها أثر عليَّ وعلى كل تصرف عملته في حياتي.

طفلة عندها عشر سنين، الخامسة على تسع أخوات من أم مصريه أصيلة وأب مصري قليل الحيلة، اسمها جليلة.. كان أعز وقت على قلبها الوقت اللي بتنزل تلعب في الشارع قدام البيت مع سهام وعايدة وجمال جيرانها، كان سنهم كلهم قريب من بعض، وكان بينزل يلعب معاهم أحمد وسمير وأماني وسعاد إخواتها بالترتيب من الأكبر للأصغر، أما إخواتها الأربعة التانيين ما كانوش بيخرجوا يلعبوا معاهم لصغر سنهم.. أكتر يوم كانت بتفرح فيه وتزعل في نفس الوقت كان أول يوم عيد.

تنزل من بيتها تتجمع مع صحابها ويروحوا يجيبوا حاجة حلوة من عم رضا اللي في آخر الشارع، ودي أسعد لحظة في حياتها، لأنها بتستنى من العيد للعيد عشان تجيب الأرواح، وكمان عشان تروح لعم رضا يمكن تشوف سامي ابنه اللي هي عارفة إنه بيحبها، لا ووائقة لأنه من فترة للتانية يجي قدام بيتها وهو

معاه شوية أرواح ويوزعهم عليها هي وصحابها، أصله كان غني أوي، دا باباه كل شوية يدي له أرواح، وهي أمها بتديها فلوس من العيد للعيد عشان تجيب بيها الأرواح.

دايمًا كل عيد كانت بتنزل وهي زعلانة لأنها مش بتلبس هدوم جديدة زي صحابها، كل سنة بتلبس حاجة من عند أختها سعاد، وسعاد بتلبس من عند أختها أماني، وأماني بتلبس من ألفت بنت طنط يسرية اللي والدتهم بتنضف لها البيت بتاعها..

كل ما كانت جليلة تروح مع والدتها عشان تساعدها في التنضيف كانت بتدخل البيت بتاعهم وهي مع والدتها، كانت عنيها تيجي على البيانو اللي جنب باب البراندة الواسعة اللي دايمًا كانت بتتعب وهي بتمسحها، بس طنط يسرية بتخلي والدتها تمسحها كل يوم، فهي في اليوم اللي بتكون فيه مع والدتها كانت بتمسح بدالها، وكانت بعد ما تمسح تخرج بسرعة على ما الأرض تنشف، بس ألفت كانت بتدخل بجزمتها وكانت بتوسخ الأرض عشان تخلي جليلة تدخل تمسحها تاني.. ألفت بنت مش جميلة بس محظوظة، عندها فساتين كتير وجزم نضيفة وحتى إنها بيتها كبير، مش زي بيت جليلة اللي كان مكون من غرفة واحدة كبيرة بينام فيها إخواتها التسعة ووالدها ووالدتها، أمَّا ألفت فهي ما عندهاش إخوات وعندها أوضه لوحدها بتنام فيها وبتلعب فيها، وكمان ألفت كانت بتروح المدرسة الجميلة اللي جنب بيتها، مش زي جليلة اللي بتمشي نص ساعة عشان توصل للمدرسة اللي فيها مس انشراح اللي بتضربها دايمًا عشان مش بتعمل الواجب، وهي مش بتعمل الواجب لأنها بتفضل طول اليوم عند طنط يسرية بتنضف مع والدتها.. كانت جليلة بتتخانق مع إخواتها عشان تروح مع والدتها تنضف معاها، لأنها بالرغم من التعب اللي بتشوفه بتحب الأكل اللي بتاكله هناك، ووالدتها كانت دايمًا بتختارها لأنها خفيفة الحركة مش زي سعاد مش بتحب تعمل حاجة، وأماني تخينة وحركتها صعبة.

كانت جليلة كل يوم بتكبر وهي عندها نقص من حاجة.. أيامها كانت عبارة عن صحيان الصبح بدري تروح مدرستها، بتذنبها مس انشراح عشان اتأخرت، وبعد مدة تقعدها بعد ما بيكون كل الأطفال ضحكوا عليها بسخرية، ووقت تصحيح الواجب تقوم جليلة تقف من نفسها لأنها عارفة إن مس انشراح هتذنبها لما تعرف إنها مش عاملة الواجب، وتفضل واقفة لحد ما فترة مس انشراح تخلص وتجي بدالها مس سهير الحلوة اللي كانت دايمًا بتحرم جليلة من الفسحه لأنها مش بتعمل الواجب، فكانت مس سهير تاخدها من الفسحة وتقعد تذاكر لها، ومع إن دي حاجة تضايق أي طفل إلا إن جليلة كانت بتحب كدا أوي، لأنها بتحب تذاكر مع مس سهير، وحتى لو نزلت الفسحة هتفضل قاعدة لوحدها لأن مش عندها صحاب.

بتروح من المدرسة بتبقى عايزة تنام، بس والداتها كانت بتكون لسه راجعة من عند كل الجيران اللي كانت بتبيع لهم شوية حاجات، والدتها كانت بالبلدي كدا دلالة، أول لما تعرف إن فيه عروسة هتتجوز تلم كل حاجة ممكن العروسة تحتاجها وتروح لها.. والدتها كانت بتاخد الماهية اللي بتاخدها من عند طنط يسرية وتجيب بيها حاجات تبيعها، والفلوس اللي بتكسبها من البيع بتصرفها في البيت.. وبعد ما بترجع من عند الجيران والمعارف كانت بتسيب الشغل دا كله وتاخد جليلة وتروح لطنط يسرية قبل ما جليلة تنام.. ويرجعوا بالليل بعد ما المغرب يؤذن.

يكون الشيخ عماد خلص صلاة المغرب في الجامع وواقف مستنيهم يرجعوا، وأول لما يلمحهم عن بعد يرسم ملامح الغضب على وشه، وأول لما يوصلوا قدام البيت يدخلهم بعنف ويبدأ يزعق لهم

على التأخير، حتى إنه كان بيمد إيده على والدة جليلة قدامها هي وإخواتها الثمانية.. والدها كان قليل الحيلة، كان شيخ جامع ومش متعلم ولا يعرف حرفة معينة ولا معاه فلوس يفتح دكان، كل اللي كان بيعرف يعمله هو إزاي يصلي ويقرأ قرآن وكان عايش على الـ١٠ مليم اللي بتجي له من فترة للتانية لما بيحفظ أي طفل القرآن كامل، وبالتالي اللي كانت بتصرف على البيت هي الست والدة جليلة.

بعد كل خناقة من النوع دا والدة جليلة تجبرها على الاعتذار من والدها، ودايمًا بتصبره بجملة واحدة «مسير الفلوس تكمل ونشتري الدكان اللي عنينا عليه وأنت تنزل تشتغل وأنا أساعدك وأبطل اتأخر برة، وأبطل الخدمة في البيوت وأتفرغ لشغلتي الأساسيه بدل ما كل ما بتولد واحدة ويجو يطلبوني بكون عند الست يسرية وأم سهام هي اللي شغالة وكل زباييني بدأوا يروحوا لها «

سنة في التانية في التالتة جه اليوم اللي الفلوس فيه كملت ونزلوا يدفعوا فلوس الدكان، وواحدة واحدة بدأوا يجيبوا بضاعة لحد لما اتملا المحل بعد يجي سنة كمان من لما جابوا المحل.. وفتحوا المحل.

أم جليلة قعدت ترقص وحتى إنها ادتها هي وإخواتها فلوس يجيبوا أرواح مع إنه مش العيد، وبالليل قعدت تتكلم معاهم وتقول لهم إن خلاص هانت، العيد اللي جاي هتجيب لكل واحدة فستان وكل واحد طقم جديد هي وإخواتها، ما كانوش مصدقين من الفرحة، وكمان قالت لهم إنهم بعد فترة طويلة شوية هيبطلوا ياكلوا شوربة العيش وإنهم هياكلوا لحمة لأنهم هيبقوا أغنيا.. يمكن دا كان من أسعد الأيام على قلبها هي وإخواتها، اليوم اللي الكل نام فرحان فيه أوي، وبالفعل بدأت والدة جليلة تسيب الشغل عند الست يسرية وآخر مرة راحت عندها كانت جليلة معاها وهما ماشيين جليلة عملت اللي كان نفسها تعمله من كتير أوي، طلعت لسانها لألفت اللي كانت باصة على فستان جليلة الجديد اللي جابته في العيد، وألفت اتغاظت أوي لأن جليلة كالعادة شكلها أحلى منها، لا وكمان الفستان بتاعها حلو أوي.. ألفت كانت بتكره جليلة لأنها كانت بتشوفها أحلى منها، ولما كانت جليلة بتوصل لها هدوم ألفت بعد ما كانت بتعدي على إخواتها الاتنين قبليها كانت الهدوم بتبقى حلوة على جليلة مع إنها ملبوسة قبل كدا، بس بتبقى أحلى من لما تلبسها ألفت، مع إنها كانت بتلبسها جديدة.

جليلة في الوقت دا كان عندها ١٥ سنة، يعني كانت كبيرة كفاية على إنها تحاول تغيظ واحدة إلا إنها بدأت تعيش طفولتها اللي اتحرمت منها، وأول حاجة بدأت تعملها جليلة إنها تقرب من سامي ابن عم رضا، وبدأ هو كل يوم يجي لها تحت البيت وهي تنزل عشان تلعب مع صحابها، بس في الخفا كانت بتقعد مع سامي لوحدهم، حتى إنه أول واحد شاف فستانها الجديد.. يمكن جليلة ما كانتش بتحب سامي، بس هي كانت عارفة إنه بيحبها وإنه عشانها كان بياخد حاجات حلوة من غير ما باباه يعرف ويروح يوديهم ليها، كانت عارفة إنها لما تكبر هتبقى لازم تتجوز، ولما تكبر هتبقى أم سامي عايزة تجوزه واحدة غنية زيهم مش زي جليلة، بس عشان سامي ابنها الوحيد لو قال لها إنه عايز يتجوز جليلة هتوافق زي ما بتوافق إنه ما ينامش بدري عشان هو مش عايز ينام.. جليلة كانت عايزة تتأكد إن سامي هيتجوزها عشان كانت عايزة تتجوز واحد غني، مش زي مامتها.

يوم خروج جليلة من المدرسة واستعدادها إنها تدخل الجامعة لأنها نجحت بتفوق.. هتقول لي إزاي نجحت بتفوق وهي كانت مش بتعمل الواجب ودايمًا بتضرب.. جليلة كانت مش بتعمل الواجب لانشغلها في تنضيف بيت طنط يسرية وبسبب القلق والتوتر اللي البيت كله كان بيعيشه لما كانت سيرة الفلوس بتجي، بس لما البيت يبقى مستقر لأن الدكان بيجيب فلوس، ومفيش دلوقتِ طنط يسرية بقى

وقت جليلة لنفسها والمذاكرة واللعب، عشان كدا نجحت بالتفوق وكان عندها أمل كبير تكمل تعليم، ويوم رجوعها بالشهادة كان والدها بيستقبلها كأي استقبال على عكس والدتها اللي أول لما شافتها رقعت زغروطة حلوة وبدأت تكلمها بكل بهجة وفرح، إلا لما جليلة جابت سيرة الجامعة اللي رفضها الشيخ عماد من غير حتى ما يعرف هي عايزة تدخل كلية إيه، ووصفها ببنت من بنات الليل وبألفاظ مش لازم أقول لها، وقفل كلامه بجملة الست ما لهاش إلا بيت جوزها، كان فاكر إن جليلة هتسكت زي ما دايمًا بتسكت من وهي صغيرة بس هي فاجئته بردها:

« ليه وأنت عايزني أبقى زيك.. مش بعرف اعمل حاجة ولا عايزني لما أكبر وأتجوز واحد ويكون فاشل زيك ويكون مستنيني أصرف عليه زي ما أمي اشتغلت في البيوت عشان تصرف عليك «.

وقتها اترزعت قلم بس لأول مرة الضرب ما وجعهاش، مع إن الشيخ عماد كان بيضربها من غير تفكير، وأمها قعدت تصوت لحد لما إخواتها اتلموا وقعدوا يحوشوه لحد لما بعدوه عنها واتكلمت هي تاني:

« تعرف لأول مرة ما أتوجعش وأنت بتضربني.. يمكن عشان حاسة إني وجعتك أكتر ما أنت وجعتني مع إني يدوبك اتكلمت، يعني ما عملتش مجهود، لكن بص لنفسك وأنت مش عارف تاخد نفسك».

خرجت من بيتها وقعدت على البسطة اللي قدام عتبة البيت، وخرجت وراها أصغر إخواتها اللي أقرب على قلب جليلة.

- إيه الكلام اللي أنت قلتيه لبابا دا يا جليلة؟!

- ادخلي جوة يا ألفت.

- أنتِ عارفة إني بحب أسمع كلامك بس اللي أنتِ عملتيه دا عيب، مش أنتِ اللي بتعلميني إن فيه حاجات عيب؟!

- ألفت ادخلي جوة بقول لك.

- أنتِ ليه بقيتِ قاسية أوي؟!

- ما اللي ما يعرفش يقول عدس.. ألفت أنتِ عارفة أنتِ متسمية على اسم مين؟! طب هسألك سؤال أسهل.. فاكرة أول مرة جالك فيها فستان؟!

- لا طبعًا مش فاكرة لأني كنت صغيرة أوي.

- أنا بقى فاكرة عارفة ليه؟! لأني ولأول مرة كنت أحس بطعم العيد.

ما عرفتش أختها ترد وعدت أيام وفترات، وبدأت سعاد أخت جليلة تتجوز بعد لما جوزوا أحمد.. وجوازة أماني لسه ماشين فيها، كانت جليلة نفسها تخرج من كل اللي هي فيه دا ومن عيلتها، عشان كدا كانت بتتحايل على سامي كل شوية إنه يجي يتقدم لها، بس دلوقتِ الوقت اختلف، سامي كبر وبقى

راجل يعني مش لسه أمه هتسمع كلامه لما يزن لها شوية، كانت زمان فاكرة إن الموضوع أسهل من كدا بس طلع كله تفكير عيال.

جليلة كانت نفسها تتجوز سامي، بس لما شافت صاحبه عماد اللي سامي اتعرف عليه لما راح إسكندريه.. عماد كان أحلى وأشيك وأعلى من سامي في المستوى، بس عماد فيه مشكلة إنه على اسم والد جليلة، الاسم اللي جليلة عمرها ما حبته لأنه كان دايمًا مصدر عدم الراحة ليها، يعني والدها اللي المفروض مصدر الأمان اتحول لأكتر كائن بتخاف أو بتقلق من وجوده، عشان كدا كان هدفها إنها تتجوز واحد عكس والدها في كل شيء.

عماد من لما شاف جليلة وأعجب بيها وجليلة نفس الكلام، بس المشكلة في سامي اللي بقى بيعافر عشان يوصل لجليلة، وأخيرا والدته وافقت وجه عشان يتقدم لها، والدها ووالدتها رحبوا بيهم أوي أوي، والعيلتين اتفاهموا بالرغم من إن والدة سامي لسه مش متقبلة الموضوع، أما جليلة فبرغم إعجابها بعماد إلا إنها هتمشي في أي طريق يخرجها من بيت أهلها حتى لو سامي هو الطريق دا، بس المشكلة إن عماد جالها وقال لها إنه مستعد يتجوزها بس لازم يشتغل الأول، طلب منها تستناه بس هي رفضت.

حددوا ميعاد فرح سامي على جليلة في الوقت اللي والد جليلة طلب من والدتها تسيب الدكان بحجة إنه مش محتاجها، وإنه هو اللي هيصرف على البيت وهو اللي هيشتغل، وبعد إلحاح منها إنها تفضل شغالة في الدكان رفض وحلف عليها بالطلاق.

كانت فاكراه بيعمل كدا عشان يريحها من قعدة الدكان، بس هو في الحقيقة عمل كدا عشان يبيع الدكان بكل اللي فيه، لأن واحد من معارفه حكى له عن شركة لما بتحط فيها فلوسك بتفضل تشتغل وتزيد حاجة كدا زي شركة الريان، ولأنه جبان ما واجهش مراته بأنه باع الدكان إلا لما اتفاجأت هي قبل جواز جليلة بشهرين بس لما لقت إن الفلوس زادت أكتر بكتير من اللي كانت، ففرحت بس قلبها ما كانش مطمن، قالت له يسحب فلوسه وهو قال لها حاضر بس ما عملش كدا، راح استلف فلوس من الناس وحطها في الشركة دي على أساس إن الناس بتساعده عشان جوازة جليلة.

وكان مديهم مهلة لحد فرح جليلة والفلوس بدأت تزيد أكتر وأكتر بأرقام عمره ما حلم بيها، ولأن الطمع وحش استلف تاني وحطهم في الشركة لحد يوم ما سمع خبر إن الشركة دي قفلت، ودي كانت الضربة القاضية لأن كدا كل فلوسه راحت.

حاول يتمالك نفسه وفضل يكلم الراجل اللي كان حكى له عن الشركة دي والراجل مش بيرد، يوم في التاني فضل مستني على أمل إنه يكون غلطان لحد اليوم اللي اتأكد فيه إن فلوسه كلها راحت، طب وفلوس الناس كمان راحت؟!

كل دا لا جليلة ولا إخواتها عرفوا حاجة إلا لما هو قرر يحكي لمراته لانه كدا ما بقاش فيه أي حل، كان متوقع من مراته تقول له مش مشكلة المهم صحته زي ما كانت بتقول دايمًا وتنزل تدور على بيت تشتغل فيه، بس عمره ما تخيل إنها هيكون رد فعلها صويت صويت وضرب فيه وفي نفسها وعلى وشها، صويت بحرقة وهي بتشق هدومها وبتصوت وتقول له «وديت شقاية فين تعب سنين وديته فين» دي

الكلمات القليلة اللي قدرت تفهمها جليلة، لأن الباقي كان مصحوب بصويت وزعيق، لدرجة إن الناس اتلمت وبدأ الكل يعرف إنه كان بيستلف عشان يحط في الشركة وبدأ كل واحد يسأل على فلوسه والكل اتمنع من النزول، أصل هيوروا وشهم للناس إزاي، لحد اليوم اللي سامي خبط على باب البيت ودخلته والدة جليلة وبدأ يتكلم كلام كتير بمعنى واحد «الجوازه هتتلغي».

يمكن اللي عدى يومين، بس والدة جليلة كبرت فيهم أوي، الهم خد حلاوتها والزعل خد لون شعرها الأسود واداها خصل بيضا، والوجع أكل في قلبها لحد ما جالها سكتة قلبية وهي نايمة.. وماتت اللي جليلة استحملت كل حاجة عشانها ماتت الجزء الحلو في حياة جليلة وهي اللي غسلتها.

قرآن.. عياط.. هي دي الأصوات اللي كانت بتسمعها جليلة مع جملة.. البقاء لله.. مع اختلاف صوت الشخص اللي بيقولها، لحد ما جه صوت هي حفظاه وقال «الله يرحمها «

- سامي.. أنت بتعمل إيه هنا؟!

- أنا آسف يا جليلة إني سبتك في الوقت الصعب دا، أنتِ عارفة أمي وبصراحة هي مصرة إن الموضوع ينتهي، بس أنا هقف قدامها عشان نكون مع بعض.

- يبقى الفرح يتم في ميعاده.

- دا كمان ٧ أيام يا جليلة أنتِ بتهزري !!

- لا مش بهزر، النهارده آخر يوم في عزا أمي، وأنا ما بقاش ليَّ أي حاجة في البيت دا.

خلص اليوم والعزا، ومشي سامي وكل اللي كانوا حاضرين يعزوا، ودخلت جليلة تنام من غير ما تكلم حد كالعادة، حتى لو مش هتنام هتعمل نفسها نايمة.. صوت الشيخ عماد وهو بيتلو القرآن بصوت فيه خشوع.. الصوت اللي كان مصدر قلق لجليلة طول عمره بقى كمان مصدر اشمئزاز.. جليلة محملة والدها ذنب موت أمها مع إنها عارفة إنه حاسس بالذنب دا وإنه تعبان ومحتاج أولاده جنبه، بس جليلة ما عرفتش تخلي قلبها يلين ويرق وتسامحه، ما عرفتش تبقى حنينة معاه لأنه عمره ما اداها الحنية ولا الأمان، ما عرفتش تطلع من قلبها غير قسوة زي قسوته عليها.

سمعت صوته بيختفي؛ عرفت إنه دخل ينام، خرجت بحركة بطيئة وهي بتتسحب، وخرجت قعدت على البسطة، وسابت دموعها تنزل، دموعها اللي حابساها سابتها تنزل.

- البقاء لله يا جليلة.

- عماد أنت بتعمل إيه هنا في الوقت دا؟!

- كل يوم باجي تحت بيتك يمكن تخرجي بس ولا مرة خرجتِ، بس النهارده ربنا جبر خاطري وأنتِ طلعتِ.

- عماد احنا خلاص ما ينفعش يكون بيننا حاجة.

- أنا عرفت كل حاجة من بداية المشكلة اللي حصلت لوالدك لحد اليوم اللي سامي قالك إنه مش هينفع تكونوا مع بعض، وحتى موت والدتك.. أنا بحبك يا جليلة.

- تعرف سامي سابني ليه؟! عشان عيلته ما تتشرفش تناسب عيلتي، مع إن الفرق بيننا كان قريب لحد ما حصلت المشكلة وأمه رفضت، تخيل عيلتك اللي الفرق بينها وبين عيلتي نفس الفرق في المسافة، بين بيتي وبيتك الكبير اللي أنا لحد دلوقتِ ما أعرفش أروحه من بعد المسافة.

- بس أنا عايزك يا جليلة، أنا هعمل أي حاجة عشان أكون معاكِ.

- لو هربت تهرب معايا.

- أنا معاكِ ولو هتروحي آخر الدنيا.

- طب أنا عايزة أهرب.

- وأنا عندي استعداد أتجوزك.

ما تضحكش يا دكتور، جليلة هربت معاه فعلًا، أصل إيه اللي يقعدها مع واحد قتل أمها، إيه اللي يخليها تستحمل شخص بتكره تسمع صوته، لا وكمان دا عايزهم يهربوا على إسكندرية.. أيوا والد جليلة طلب منها هي وإخواتها يلموا كل حاجة ليهم هنا عشان يمشوا ويسيبوا البلد، لأن الناس بدأت تطلب فلوسها وهو مش معاه فلوس، فقرر يهرب ويبيع البيت، وطبعًا لأن أحمد متجوز فهياخد مراته، لأن مراته ما لهاش حد، ووالدها ووالدتها متوفين، أما أماني رافضة وقالت إنها هتفضل مع جوزها في بيت أهله ومش هتهرب معاهم، أما جليلة فقررت في اليوم دا إنها هتمشي، هتمشي ومش هتبص وراها، وهربت قبل ما هما يهربوا بيوم وكتبت لهم ورقة...

يمكن حاسة إن إخواتها هيوحشوها بس قررت ما تبصش لحد غير نفسها قررت إنها هتعيش شبابها مش هتضيعه زي ما طفولتها ضاعت، قررت تمشي في أي سكة هتجيب لها السعادة قررت تفرح غصب عن عين أي حد.

عماد قال لها إنه هيتجوزها، بس مش هينفع يقعدوا هنا لازم، يسافروا على إسكندرية في شقة أهله اللي هناك، وفعلًا راحوا واتجوزوا هناك، وشهد على جوازهم أصحاب عماد.. وكانوا أحلى أيام قضتهم جليلة.. عماد كان حنين عليها كان فعلًا بيحبها، حولها لهانم بعد ما كانت مساحة سلالم.. خروج وفسح وهدوم جديدة وأحسن أنواع الأكل وبحر وفلوس وحياة.. شهر مر على جواز جليلة وكان أحلى شهر، عمر جليلة ما فرحت قد ما فرحت في الشهر دا، حاسة إنه كان اختيار صح إنها اتجوزت عماد، بس المشكلة حصلت في يوم جليلة وعماد نزلوا ياكلوا برة، وهما مروحين عماد جاب أرواح لجليلة؛ أصلها لسه بتحبهم، وبعدين طلعوا البيت وهما ماسكين إيد بعض بيتدفوا من برد الشتا، ولما فتح عماد الباب اتفاجئ بأمه وأخوه عصام جوا.

الفرحة ما كملتش طبعًا، أم شايفة ابنها بيهرب عشان خاطر بنت، لا ومش كدا وبس، دي عارفة تاريخ جليلة وتاريخ عيلتها كدا.. أجبروا عماد إنه يطلق جليلة، بس هو رفض وفي وسط كل المناوشات والخناقات جليلة أغمى عليها وعماد جابلها الدكتور، وطلعت حامل طبعًا، نظرت أم عماد ليها اتغيرت، دي حامل يعني هتجيب للعيلة طفل يشيل اسمها بدل ما مرات عصام لسه مش عارفة تحمل.. اضطرت والدة عماد تتنازل وتتقبل جليلة عشان خاطر الطفل بس، وجليلة كانت بتتمسكن فعلًا بكل الطرق عشان تحبب والدة عماد فيها، بس والدة عماد مهما عاملتها حلو مش هتعاملها زي ما بتعامل مرات عصام دا، لأن مرات عصام سوزان تبقى هانم بنت هانم مش زي جليلة، عشان كدا جليلة كانت بتكره سوزان مع إن سوزان طيبة أوي لدرجة الهبل، يعني بتحب أي حد وبتعامل أي حد بطريقة حلوة جدًّا، وعشان كدا جليلة استغلت طيبتها ووقعت بينها وبين والدة عماد.

ابتدت جليلة تتعود على حياة العز والفلوس والخدم.. عشان كدا خافت ليطردوها من البيت بعد ما تولد، فابتدت تدلع على عماد عشان يجيب لها شقة ويكتبها باسمها، وعشان يديها كل شوية فلوس عشان تحوشها، وعماد ما كانش بيرفض بالعكس كان بيعمل لها كل اللي بتطلبه وأكتر، وولدت جليلة بنت شبهها زي القمر، والبيت كله فرح وبالذات والدة عماد لأنها كان نفسها هي تجيب بنوتة، بس أهي البنوتة جت نورت البيت، فضلت جليلة لفترة كبيرة بتدلع على الكل دي جايبة بنت زي القمر، ما حدش راعى مشاعر سوزان، بس لأن سوزان طيبة حاولت تفرح معاهم، بس جليلة ما سبتهاش، فضلت تزن على والدة عماد لحد ما والدة عماد أقنعت عصام إنه يتجوز على سوزان، ولأن سوزان أهلها ما سكتوش فتطلقت، وبكده الجو خلي لجليلة حتى لو عصام اتجوز هتبقى هي البنت الأولى اللي في البيت.

السلطة والفلوس غيروا جليلة كتير، اتحولت جليلة لفيروز هانم بعد ما غيرت اسمها وبقت فيروز هانم، هي اللي بتأمر وتنهي في بيت الشاذلي باشا أبو عماد، حتى والدة عماد فترات المرض بتاعتها هدتها وبقت جليلة ست البيت وسيدة العيلة اللي بتتكلم باسم العيلة في الحفلات والمناسبات، ومن هنا اتعرفت على منى وسميرة اللي بقوا أصحابها أوي وعلى شريف اللي دق قلب فيروز لما شافته، تقريبا مع تغيير اسمها اتغير قلبها وحب بعد عماد، ولأن فيروز مش عندها استعداد تتهور وتتنازل عن السلطة والفلوس، حاولت تبعد عن شريف لأنها ما تعرفش عنه أي حاجة، لا تعرف شغال إيه ولا بيعمل إيه، بس قلبها كان متهور أوي وكان بيشتاق لشريف، وكل ما يشتاق لشريف تروح النادي تشوفه، وعماد لأنه مشغول في الشغل مش واخد باله.

كانت فيروز بتروح تشوفه من بعيد، لحد ما في يوم راحت وعماد كان هناك وهي بتدور على شريف لقته واقف مع عماد، فراحت لعماد ووقفت معاهم وعرفهم عماد على بعض وقال لها بكل احترام *أستاذ شريف أستاذي ورئيسي في الشغل *

قلب فيروز هدي وارتاح، طلع شريف أحسن من عماد.. ومن هنا بدأت العلاقة بين شريف وفيروز تتطور لحد ما وصلت للخيانة، وعماد لأنه طيب وأهبل ما عرفش أي حاجة، لحد اليوم اللي سوزان شافتهم واتصلت بعماد عشان يجي يشوفهم مع بعض وهما ماسكين إيد بعض.. سوزان طيبة بس مش هبلة، سوزان عارفة إن فيروز هي السبب في طلاقها عشان كدا قررت تفضحها.

و دا اللي حصل.. عماد كان عنده استعداد يسامح فيروز لأنه بيحبها، بس هي لا، هي خلاص كانت بايعة لحد ما اتطلقوا وسابت بنتها ليهم مقابل إنها تاخد حريتها وتطلق، وراحت لشريف، بس شريف

كان واطي، شريف ما كانش عنده استعداد يعمل أي حاجة عشان فيروز، عشان كدا قال لها إنه مش هيتجوزها واداها قرشيين كدا ومشي وسابها.

تفتكر فيروز ندمت إنها اتطلقت من عماد؟!.. لا فيروز ندمت إنها سابت إخواتها من الأول.. صحيح هي شافت عز وفلوس عمرها ما كانت شافتها قبل كدا، بس برضه وهي مع عماد عمرها ما حست إنها مرتاحة ولا حست إن دا مكانها الصحيح.. راحت قعدت في شقتها اللي جابها لها عماد.. كانت أول مرة من فترة كبيرة فيروز تحس إن جليلة وحشاها وإن إخواتها واحشينها، فكرت إنها ممكن تروح بيتهم القديم ممكن يكون حد رجع أصل دا عدت سنين.

وراحت فعلًا بس اتفاجأت بالحي بتاعها بقى مختلف تمامًا، وكل البيوت والعشش اتهدت وبقى مكانها عمايز حلوة وشوارع نضيفة، ومشيت من قدام الدكان بتاعهم القديم ولقته متوضب ونضيف وفي واحدة ست قاعده فيه.. افتكرت والدتها وتخيلت قد إيه هي دلوقتِ محتاجة حضن أمها.. وقد إيه بنتها دلوقتِ محتاجة حضنها، بس والدتها سابتها ليه هي كمان ما تسيبش بنتها.

مشيت وهي بتبص حواليها بتحاول تدور على البيت اللي كانت قاعدة فيه أماني أختها، وفضلت ماشية في الحي تسأل الناس لحد لما جه صوت من وراها:

- أنتِ مين وبتسألي عليَّ ليه؟!

- أنا جليلة.

- جليلة مين؟! جليلة إزاي يعني؟!

- هو أنتِ بجد أماني، ياه يا أماني شكلك اتغير أوي بقيتِ كلك ماما - الله يرحمها - بعد ما خسيتِ.

- جليلة ماتت.. أنتِ مين؟!

- والله أنا جليلة، ما تعرفيش الشيخ عماد فين؟! نفسي أشوف باقي إخواتي وألفت واحشاني أوي.

- ألفت اتسمت على اسم مين؟!

- بتختبريني يعني.. على اسم ألفت بنت طنط يسرية اللي ماما كانت بتنضف عندهم، وكانت بتبعت لنا لبس ألفت وكنت بلبسه من بعديكِ وأنتِ كنتِ بتلبسيه بعد أماني.

- أنتِ بجد جليلة؟!

ارتمى الأختان بأحضان بعضهما

- بس إزاي أنتِ عايشة؟!

- هو مين قال إني مت؟!

- يوم ما كنتم المفروض تهربوا البيت ولع، وكله المفروض مات، أنتِ إزاي خرجتِ؟!

أتت الصدمة كالصاعقة على فيروز فلم تتوقع أن يلقى الجميع حتفهم بتلك الطريقة الصعبة.

- فهميني إزاي خرجتي وكنتِ فين كل دا؟!

- أنا هربت.. قبل ما هما يهربوا، أنا هربت ورحت اتجوزت.

- إخص عليكِ يا جليلة إخص.

- مش أحسن ما أكون معاهم وكنت أموت.

- الله يرحم الجميع.. أهو عدى سنين والأموات اتنسوا.

- وأنتِ عاملة إيه دلوقتِ؟!

- الحمد لله معايا سامح ومريم وجوزي اشترى لي الدكان.. دكان ماما يا جليلة.

- الدكان اللي كان سبب في كل حاجة.. الدكان اللي كان بداية ونهاية كل حاجة.

- احمدي ربك يا جليلة.

- أحمده على إيه؟!

- إيه اللي أنتِ بتقوليه دا؟!

- أحمده على أمي اللي ماتت؟! ولا على إخواتي اللي اتحرقوا؟! ولا على جوازتي اللي كانت زي الزفت؟!

- لا، على إنك عايشة ولسه فيكِ روح، ولسه عندك فرصة إنك تستغفري وتتوبي عن أي فعل غلط عملتيه، في ناس مش بتلاقي حتى فرصة إنها تتوب.

- أنتِ مبسوطة مع جوزك.

- والله هو مراعي ربنا فيَّ وبيحبني أنا والعيال، ربنا يخليه لينا ويديمه على راسنا يا رب.

- ما فكرتيش في مرة إيه اللي ممكن يخليكِ تسيبيه أو تطلقي؟!

- تفي من بقك يا جليلة.. بس لو فكرت فيها يعني إنه يتجوز عليَّ، بس إن شاء الله ما تحصل أبدا.. إلا أنتِ بتسألي ليه؟!

- لا عادي، بس كنت عايزة أعرف الستات بتفكر إزاي.

- ليه وأنتِ مش ست زينا؟!

***

فيروز كانت شايفه نفسها غير كل الستات، كانت حاسة إنهم مختلفين عنها في التفكير، عشان كدا كانت بتحب تسأل ست بتكون متعلقة بجوزها إيه اللي يخليها تبعد عنه، عرفت إنه الخيانة.. عشان كدا بدأت تدور على مرات شريف لأنها عارفة إن شريف ما يقدرش يعيش من غير واحدة في حياته، ولو مراته مشيت هو هيفكر فيها.

وبدأت تدور على أصحاب مراته واتعرفت عليهم، وعرفت إن فيه واحدة منهم صاحبة النادي كله ولسانها في ودن كل اللي تعرفهم، عشان كدا فيروز حكت لها إنها كانت على علاقة براجل اسمه شريف وشغال في كذا كذا، وعيلته فين ومنين وإنه ضحك عليها، وطبعًا التانية عرفت إنه جوز صاحبتها وفضحت الدنيا، وكمان دخلت في الحوار سوزان ونشرت الصور في جريدة النادي اللي كل اللي في النادي بيشوفها ومنهم مرات شريف اللي اتحول لخاين وفيروز الضحية اللي اتضحك عليها في رأي البعض والخاينة في رأي البعض، أما في رأي شريف.. المظلومة اللي هو جه عليها، لا وكانت صاحبة مراته السبب في إنها تتفضح وتيجي سيرتها على كل لسان، عشان كدا راح ليها وطلب منها إنها تسامحه، ومثلت فيروز إنها البنت الحزينة.. فيروز ذكية وعرفت إزاي تخلي شريف يحبها لدرجة إنه فعلًا هيتجوزها، وهنا هتعتبر إنها عملت أكبر انتصار في حياتها، وانتصارها زاد لما رفض إنه يطلق مراته ولا يرجع لها، سابها كدا عشان أولادهم واتجوز فيروز اللي رجعت لمجدها تاني بجوازها من راجل زي شريف.

كان سن فيروز وقتها ٣٠ أو حاجة و٣٠، واستمر جوازها ٢٧ سنة.

شريف كان يتحب وكان بيحب فيروز أو بيحب الشخصية اللي هي بتظهرها مش حقيقتها.. حقيقة فيروز عرفها شريف في وقت الشدة وقت لما مراته كانت بتموت وهي بتشجعه إنه يسيبها ولا يسأل فيها، حتى لما أولاده كانوا بيتحايلوا عليه عشان يسفرها برة فيروز كانت شايفة إنه مش مستاهل يصرف الفلوس دي كلها على واحدة هتموت هتموت، عشان كدا فعلًا ماتت وفضلوا ولادها بيكرهوا فيروز، مش بس عشان هي رفضت علاج أمهم ولا عشان هي كانت بتعاملهم وحش لما كانوا بيزوروا والدهم..

لا عشان هي اللي شتت العيلة، هي سبب انفصال والدهم ووالدتهم، هي السبب في عدم إحساسهم إحساس العيلة أو إحساسهم بالتشتت وعدم الأمان، كان دخول فيروز حياة والدهم أسوء حاجة حصلت لهم.

لحد اليوم اللي مات فيه شريف وبدأوا أولادهم يدوروا على الميراث، واللي ما خدوش منه جنيه، لأنه كان عامل لي توكيل، وأنا بالتوكيل دا بعت كل حاجة لنفسي.. أيوا أنا فيروز هانم وأول مرة في حياتي أحكي حكايتي لحد.. تفتكر أنا ندمت على حاجة عملتها في حياتي، لا، بس اتمنيت إني كنت موت محروقة مع إخواتي وأبويا، أهو على الأقل كنت هموت وأنا نقية ونضيفة مش وأنا عاملة حاجات ما أقدرش حتى إني أطلب المغفرة عليها، لأني مش ندمانة عليهان بس اتمنيت لو كنت فضلت في بيتنا أموت على فرشة أمي..

- حاسة بإيه بعد ما حكيتِ كل دا؟!

- ولا أي حاجة، أنا مش جاية أتعالج، أنا جاية عشان بنتي.. نازلي عماد الشاذلي.

- دا اسم مراتي.

- اللي هي بنتي.

***

جليلة، ولا بنت الشيخ عماد، ولا مرات عماد باشا، ولا فيروز هانم، ولا مرات شريف باشا.. مش عارف إيه اللقب اللي المفروض أندهها بيه، بس مع آخر جمله عرفت اللقب «حماتي.. أم مراتي.. جدة أولادي» هي الست دي.

مش عارف أتعاطف معاها ولا أكرهها ولا أنساها وكأنها ما جاتليش، ولا أعرف مراتي اللي طول عمرها بتشتاق لأمها.. كنت متوقع إن مراتي أول لما أحكي لها وتشوف أمها هتصرخ فيها وتقول لها امشي، بس مراتي اترمت في حضنها وقالت لها اوعي تمشي، أنا عارف إن مراتي واخدة طيبة وحنية والدها، بس ما كنتش أعرف إن طيبتها للدرجة دي.

حماتي كملت لي باقي الحكاية، بعد موت شريف اتجوزت تاني، بس راجل أصغر من نازلي بنتها، والشيء الطبيعي إنه سرق فلوسها، الفلوس اللي هي عملت كل حاجة عشانها خسرتها بكل سهولة، ورجعت تدور على بنتها وهي في آخر أيامها.. حماتي لأول مرة من سنين تدخل تتوضى وتصلي، ويشاء القدير إنها تموت وهي ساجدة.. يمكن موتتها تكون حلوة، بس ما حدش جالها العزا ولا الدفنة غير الحاج عماد والد نازلي اللي كان في المستشفى وقام من على أجهزه التنفس عشان يروح دفنتها وفضل قاعد على قبرها يكلمها.. وكأنها عمرها ما هتخرج من قلبه.

قلبها اتحرق

يجلس ذلك الرجل صاحب اللحية السوداء والشعر الطويل، يبدو أنه لم ينظر إلى ملابسه بالمرآة قبل نزوله؛ فملابسه التي يغطيها اللون الأسود غير مرتبة، ووجهه الممتلئ بالبؤس والحزن. يجلس على أحد الكراسي في تلك العيادة التي يعتقد انه سيتحسن فور دخوله على طبيبها.

قطع شروده مناداة إحدى الممرضات اسمه، فوقف بهدوء ثم تقدم نحو باب غرفة الطبيب ودخل دون أن يطرق الباب.. سمح له الطبيب بالجلوس وتكلم:

- أهلًا.. اسمك عادل صح.

لم يجبه اكتفى بهز رأسه بالإيجاب، فتكلم الطبيب مرة أخرى:

- أول مرة تيجي هنا صح؟!

أجابه عادل:

- أول مرة أروح لدكتور نفساني أصلًا.

- طيب يا عادل.. تعالى اقعد هنا.. واحكي، احكي مشكلتك.

استجاب عادل له وتكلم:

- كانت حياتي عادية أو مملة بس كل حاجة اتغيرت لما دخلت إسراء حياتي.

إسراء أجمل بنت شفتها، مش عشان عيونها الزرق ولا بياضها ولا غمازاتها ولا شعرها الطويل الناعم، لا عشان روحها.. روحها كانت حلوة أوي، كانت طيبة وفيها كل الحاجات اللي تخلي أي حد يفكر هي بجد من الناس ولا من الملايكة.. بالمناسبة إسراء زي ما أنا وصفتها، عينيها زرقا وشعرها ناعم وعندها غمازات، وكمان بيضا بياض بحمار، وكانت بتنور بس هي كانت بتنور قبل ما أنا أطفي نورها.

***

مر عادل من بوابة جامعة حلوان واتجه إلى كليته، وقبل دخوله أوقفته تلك التي لا ترتدي ما يستر جسدها، فكل ما ترتديه يظهر ملامح جسدها، وتكلمت بدلال:

- هو أنت عادل مكتبة؟!

تعجب عادل وأردف بحدة:

- نعم!!

تكلمت مرة أخري

- آسفة آسفة أقصد بتاع الملازم.. أصلي أنا عايزه ملخص الشريعه.

- طب تعالي لي في المكتبة كمان ساعة.

تركها ودخل كليته وراءه أولائك الشباب الذين اعتادوا على التلسين والسخرية منه، ولم يعتد هو التكلم أو الرد عليهم بما يفعلونه، ليس بسبب ضعف لكنه لا يريد افتعال مشاكل، يريد أن يتخرج في تلك الجامعة بهدوء.. اقتربوا منه كالمعتاد حتى يعطيهم تلك الملخصات التي يعرف بل ويثق بأنهم لن ينظروا إليها حتى.

تكلم ذلك المدعو هيثم.

- إيه يا صاحبي عايزين الملخصات بقى.

أجابه عادل بلا مبالاة

- ماشي بس متنسوش الفلوس.

تكلم مصطفى ساخرًا:

- طب إيه رأيك تاخد بدل الفلوس حشيش؟!

وأضاف هيثم:

- أو أشقط لك واحدة لاحسن الحشيش غالي اليومين دول؟!

تركهم عادل ليكملوا حديثهم الذي يبدو له غير مهم أبدًا، ذهب إلى المكتبة كعادته عندما لا تكون لديه محاضرات.

لكن اليوم ليس كالمعتاد.. فقبل أن يسمع ذلك الصوت الناعم المهتز كان يبدو اليوم كالمعتاد، والتفت ليرى صاحبة الصوت التي نادته:

- هو أنت عادل صح؟!

صعق عادل فور أن وقعت عيناه على تلك العيون الزرقاء التي تشبه أمواج البحر، وتكلم وهو مثبت نظره بعيونها:

- آه أنا، فيه حاجة؟!

اقتربت وجلست بالكرسي الذي أمامه وتلجلجت:

- بصراحة مش عارفة أبدء منين بس يعني.. بص هو أنا يعني، بصراحة.. يعني...

ابتسم عادل وتكلم:

- اهدي بس الأول ورتبي كلامك وأنا سامعك.

حاولت الهدوء وتكلمت مرة أخرى.

- هو أنت بتكتب ملازم صح؟!

لم يكتفِ بالابتسام هذه المرة، بل بالضحك وتكلم:

- كل دا عشان عايزة ملزمة؟! طب ما كنتِ تقولي لي من الأول.

ارتبكت أكثر وتكلمت دفعة واحدة:

- لا أنا عايزة أشتغل معاك.. يعني زي عم عيد كدا أصور ورق وبيع أدوات وكمان أنا بكتب ملخصات وحاجة كدا زي الملازم اللي أنت بتعملهم آخر كل ترم، أنا عارفة إن صاحب المكتبة دي مخليك أنت المسئول على كل حاجة

كان عادل ينظر إلى عيونها التي لمعت من الدموع وهي تتكلم، تبدو حقًّا أنها تريد أن تعمل.. يبدو أن لديها ما تحتاج المال من أجله، لم يتردد عادل بالموافقة، فكيف يرفض طلبًا لتلك العيون، بعد أن وافق لمعت عيونها مرة أخرى ولكن فرحًا، وتكلم عادل ليقطع الصمت الذي كان يسود بعد أن أخبرها بموافقته:

- طب أنتِ اسمك إيه؟! مش معقول تبقى شغالة معايا ومش عارف اسمك.

- اسمي إسراء.

كاد يتكلم، ولكن قاطعهم دخول تلك التي أرادت ملزمة شرح.

تكلم عادل بمزاح:

- يلا يا ستي زبونتك الأولى أهي.

***

كنت ساعتها ما أعرفش إن قلبها الصغير هيخليني أتجنن.. وفعلًا اتجننت، اتجننت من حلاوتها.. من ضحكتها.. من كل حاجة كانت بتعملها.. من هزارها المستمر بعد مخدنا على بعض، كانت هي الحياة اللي ما شفتهاش قبل كدا.. حياتي من غيرها حاجة وبيها حاجة تانية.

تكلم الطبيب مقاطعًا إياه..

- طب وهي كانت محتاجة الفلوس دي ليه؟!

هنا انهار عادل باكيًا:

- كان عندها سرطان ولازم تعمل العملية، وما كانتش عيلتها قادرة توفر الفلوس دي.. عيلتها المكونة من أم وأخت.. يعني ما فيهاش راجل.

فضلنا نشتغل مع بعض.. كنت ديما بشوف ها غريبه .. عشان مفيش حد كامل الكمال اللي هي فيه، بس بعد ما عرفت ظروف عيلتها، وبعد لما عرفت عن مرضها عرفت إن ربنا اداها الجمال والحب لكن خد منها المال والصحة.

بعد ما الامتحانات خلصت بقيت مش عارف أشوفها بحجة إيه.. طب لما كانا في الجامعة كنا بنتقابل كل يوم تقريبًا.

بس أنا ما كنتش عارف إن القدر اللي جمعنا أول مرة هيجمعني بيها في الشارع صدفة.. كنت في وسط البلد وكانت هي هناك، كانت مع والدتها اللي يبدو إنها ورثت الجمال منها، قربت منها عشان أشوفها من قريب أكتر بس هي شافتني وضحكت لي الضحكة اللي بحبها، وبتلقائية ندهت على اسمي.

اقتربت منها وتكلمت وهي مبتسمة:

- ماما دا عادل اللي قلت لك عليه.. اللي ساعدني.

تكلمت أمها بوجه بشوش كما اعتادت إسراء التكلم:

- أهلًا يا حبيبي.. صحيح أنا متشكرة أوي أوي على اللي عملته مع إسراء.

عادل: أنا عملت إيه بس، دا ولا حاجة، دا كله تعب إسراء.

نظرت إليه وهي تحرك رأسها نافية، وتكلمت والدتها:

- تعبها إيه، أنا بتكلم على الولد اللي كان بيضايق إسراء.

إسراء: على هيثم، هيثم يا عادل.

عادل: آه آه، لا شكرعلى واجب يا طنط.

تكلمت تلك الجميلة المدعوة إسراء:

- عامل إيه في الإجازة؟

أجابها بإحباط:

- إجازه تحفة.. طول اليوم قاعد لوحدي عشان بابا وماما مسافرين.

تكلمت أمها بشفقة:

- إيه دا؟! يا حبة عيني، أمَّال بتاكل إزاي وقاعد إزاي؟!

عادل: أهو عادي بقى، بجيب أكل جاهز وكده، وبلملم أنا البيت.

والدتها: لا دا أنت تيجي تتغدا عندنا بقى.. حتى نرد جميلك دا.

عادل: لا لا يا طنط مفيش داعي، أنا أصلًا رايح أجيب أكل.

أكدت أمها على طلبها وحاولت إقناعه قائلة:

- يا بني دا أنا عاملة محشي.

لعق عادل شفتيه مشتهيًا تلك الأكلات.

- محشي!!

إسراء: شكلك بتحبه.. طب يلا بقى.

ساروا جميعا تجاه البيت الذي لم يكن بعيدًا بكثير.

لم يكن البيت بمنطقة سيئة، وحتى البيت لم يكن سيئًا أبدًا، جلس عادل في غرفة السفرة، وخرجت إسراء لمساعدة والدتها وتجهيز وتسخين الطعام.

وبعد قليل دخلت إسراء غرفة الجلوس ووضعت بعض الأطباق على المائدة.

وتكلمت وهي تمزح:

- دوق بقى أكلي اللي لا يعلا عليه.

عادل: إيه ده احنا هنتغر ولا إيه.. عموما حتى لو وحش بالنسبة لي هيبقى حلو أوي.. دا محشي يا ماما.

إسراء: بتحبه أوي كدا؟!

عادل: مش هو بس.

تدخلت والدتها قائلة:

- هو أنت أهلك على طول مسافرين كدا؟!

عادل: آه ما هما شغلهم مش في مصر.

والدتها: خلاص كل لما تحب تاكل محشي تعالى على طول.

وضعوا الأكل وبدأ عادل بالتهام الأكل حتى انتهى، جلسوا على الكراسي بعد أن لملموا الأطباق وغسلوا أيديهم.

عادل: ياه كرشي الصغير لا يحتمل.. إيه دا بجد يا طنط أكلك تحفة.. بقالي كتير أوي ما كلتش محشي وبالطعامة دي.

والدتها تكلمت مبتسمة

- بالهنا والشفا.. هاا أعمل شاي بقى؟!

خرجت والدة إسراء وبعدها خرجت إسراء وعادت ومعها الكثير من الأوراق.

- عادل.. أنا عملت ملازم وكنت عايزك تشوفها.

تفاجأ عادل، فلمَ لا تستمتع بوقتها بالإجازة وتقوم بكتابة تلك الملاحظات؟!

- يا بنتي أنتِ مش في إجازة؟! وبعدين جبتِ الكتب منين؟!

- ممكن يكون الموضوع مش مهم بالنسبة لك، بس أنا فعلًا محتاجة الفلوس دي، وكمان احنا ملازمنا أرخص بكتير من كتب وشيتات الدكاترة، فحتى لو بدأنا بدري احنا طلاب هياخدوا مننا.

- طب أنا آسف يعني، بس أنا شايف إن عيشتك مش وحشة عشان تبقى محتاجة الفلوس أوي كدا.. هو فيه حاجة تانية أنتِ عايزه الفلوس عشانها؟!

تلجلجت إسراء وتوترت، ولكنها حاولت استجماع نفسها مرة أخرى ونظرت حولها لترى أن والدتها ليست قريبة.

- عادل.. أنا عندي السرطان ولازم أعمل العملية، بس مش عايزة أمي أو أختي يعرفوا.

***

تكلم الطبيب محاولًا تهدأته وهو يحكي ودموعه لا تتوقف ولا تجف.

- طب أنت عملت إيه سبتها ولا ساعدتها؟!

تكلم صارخًا وهو منهار.

- يا ريتني كنت سبتها.. كان أرحم لها من اللي عملته فيها، أنا ساعدتها عشان أموتها بالبطيء.

- طب كمل ساعدتها إزاي؟!

- قربت من مامتها أكتر وبقيت كل كام يوم عندهم، بس مش لوحدي، كل لما أطلع ألقى ناس كتيرة طالعة، هما آه ما عندهمش أهل؛ هم أهلهم مش قريبين بس الشارع كله بيبقى عندهم زي كأنهم عيلة، تلاقي مرات الجزار وأخت المكوجي وابن صاحب الفرن، تحس إن أم إسراء دي أم الشارع كله، هنا ناس تعرفها وهنا ناس تدعيلها وهنا ناس تشتكي لها، أنا مرة لقيت السباك قاعد بيشتكي لها من مراته.. بيتهم مش كبير أوي بس بيساع من الحبايب ملايين، أصلًا في الأول استغربت إزاي دخلتني بيتها وأنا راجل غريب بس وهما ستات من غير راجل، بس بعدين عرفت إن رجالة الشارع كلهم في ضهرهم.

المهم دورت على شغل ليها واشتغلت معاها.. كدا كدا أنا فاضي وكمان هيبقى أحسن لها.. لأني كنت بحط أكتر من نص مرتبي على مرتبها من غير ما هي تعرف، دا كان طلبي من صاحب الشغل اللي هو صاحب أبويا.

كنت كل يوم بآخدها وبوصل لها بالليل، كنا بنتكلم أكتر بنعرف بعض أكتر، كنت كل يومين عند مامتها وعلى طول بنتكلم، حتى إني كنت بناديها بماما.. بس إسراء كانت بالنسبة لي هي اللي ماما.. بجد كانت أمي أو أكتر كمان.. أنا أهلي دايمًا مشغولين في الشغل، وجدي هو اللي حببني بالقراءة وبالمذاكرة، توفي من ٣ سنين وساب لي المكتبة اللي في الجامعة، وجدي التاني والد أبويا بروح له زيارات، بقابل كل أعمامي بحكم إنهم عايشين مع بعض في عمارة واحدة.. فضلت طول حياتي من غير صحاب من غير فرحة من غير أم أو أب.. يعني من غير حياة.. إسراء بقى كان فيها كل الحاجات اللي بترفع معنويات أي حد.. كان عندها قدرة غريبة على إنها تفرح حد بكل حاجة فيها، بجد كان عندها حاجة كدا لو زعلان أكنها بتقول لك معلش.. كل حاجة هتبقى كويسة.. كنت بعشق إني أبص في عيونها.. بحس إن عينيها فيها مغناطيس بيلزق بكل العيون اللي تشوفها.. تخليها مش عارفة تتشال من عليها بمعنى الكلمة، إسراء كانت الحياة..

***

عدت فترة كبيرة وكنت كتير بحاول أبين لها حبي دا، وكتير لما كانت بتيجي سيرة مرضها كانت بتعيط، زي اللي حصل لما كلمتني في اليوم دا الساعة ٨ بالليل.. كلمتني وصوتها ما كانش كويس، طلبت إننا نتقابل لأنها مش هينفع تروح وهي في الحالة دي.. كنت ساعتها هموت من الرعب عليها، نزلت جري وركبت عربيتي اللي نادرًا أوي لما بركبها وطرت عشان أوصل بسرعة، حتى إني وصلت قبلها وفضلت قاعد في الكافيه اللي اتعودنا نقعد فيه لحد لما لقيتها داخلة وهي منهارة عياط، كنت خايف عليها من غير تفكير حضنتها.. الغريبة إن رغم عادتها الناشفة مع الولاد وحدودها اللي دايمًا حطاها لكل اللي بيتعامل معاها، إلا أن هي مسكت فيَّ أول لما حضنتها.. أكنها بتقول ما تسبنيش.. أنا محتاجة الحضن دا..

فضلت أمشي إيدي على شعرها الناعم وأنا بقول لها:

- إسراء كل حاجة هتبقى كويسة ما تنسيش دا.. بس أنتِ اهدي وقولي لي مالك؟!

- عادل أنا خايفة.. خايفة يحصل لي حاجة وأسيب أمي لوحدها، أنت عارف إن أميره أختي متجوزة

وقاعدة في إسكندريه مع جوزها.. مين هيخلي باله من ماما؟!

- يا بنتي أنتِ موجودة ومش هيحصل لك حاجة طول ما أنا معاكِ.

إسراء ابتعدت عن حضنه وجلست على أقرب مقعد وجلس هو أمامها وهي تتكلم:

- أنا حالتي اتأخرت أوي، وحتى العمليه اللي مش هعرف أعملها ممكن ما أخرجش لو عملتها.. يعني هبقى دفعت الفلوس على الفاضي.

- بس ممكن تعيشي.. على الأقل فيه احتمال.. يا إسراء أنتِ لو حصل لك حاجة مش مامتك بس اللي هتتعب.. أنا ممكن أموت.. أنتِ لازم تعملي العملية وبأسرع وقت.

- ما أنت عارف إني ما جمعتش غير نص المبلغ وبس، ولسه كتير عقبال ما أجمع الباقي دا لو فضلت في الشغلانة دي.

- طب.. طب يعني أنا ممكن أساعدك.. أنا ممكن آخد الفلوس من بابا...

وقفت إسراء متمردة

- عادل لو سمحت بطل مش كل شوية تفتح نفس الموضوع.. أنا مش بحكي لك عشان أصعب عليك فتتجى عليَّ.

ثار عادل غضبًا وصرخ بوجهها وهو يقف ولم يهتم أحدهما بالناس التي أصبحت تتابع حديثهما بعدما قال عادل:

- يعني أنا أعمل إيه.. قولي لي أعمل إيه.. أسيبك تموتي وأنا قاعد بتفرج عليكِ عشان أنتِ شايفة مساعدتي ليكِ تجي.. يا إسراء أنا كدا بنقذ نفسي قبل ما بنقذك.. أنتِ فاكرة لما تموتي هتموتي لوحدك.. لا يا حبيبتي أنا هموت معاكِ بس أنا بقى هموت في اليوم ألف مرة بعد ما هسيب حب عمري يموت قدام عينيا بس عشان كرامتك.. افهمي بقى أنا بحبك.. أنا بجد بعشقك يا إسراء.

صعقت إسراء من تلك الصرخات المتتالية التي يليها ذلك الاعتراف الذي تمنت كثيرا أن تسمعه.. تمنت أن يخبرها عن حبه لها حتى تستطيع أن تخبره أنها لم ترَ رجلا بحياتها سواه.

- ماشي يا عادل أنا كمان بحبك.. بس أنت بالنسبة لي إيه عشان تدفع لي كل المبلغ دا.. أنا ما أضمنش إني هعيش وهقدر أرجع لك الفلوس تاني.

- تتجوزيني.

قالها عادل تلقائيا ونظرت إسراء إليه بعدم فهم.. فأي رجل مجنون هذا الذي يريد الزواج بواحدة من المحتمل أن تموت وتكلمت:

- نعم.. إزاي يعني؟!

ابتسم عادل وهو يتكلم بكل ثقة:

- يعني تبقى مراتي، يعني كل يوم الصبح أشوفك وأحضنك وتبقى معايا على طول.. مش أنتِ قلتِ إنك بتحبيني، وأنا بموت فيكِ..

ابتسمت بغير إرادتها، فماذا يقول ذلك المجنون.

- وكنت بتقول عليَّ أنا مجنونة دا أنا عاقلة جدًّا جنبك.

- أنا اتجننت فعلًا بس من ساعة ما شوفتك.. يا إسراء أنتِ بالنسبة لي الحياة... أقول لك على حاجة مجنونة أكتر.. قومي هنروح لطنط دلوقتِ.

أولائك الناس لا يكفون عن متابعتهم، وبالرغم من ذلك أمسك يدها بقوة وجذبها خلفه.. وتكلمت:

- ياا عادل اصبر.. هتروح تعمل إيه عندنا؟!

تكلم عادل وهو يسير تجاه سيارته وهو يجذبها خلفه حتى تمشي.

- هروح آكل محشي.

***

تكلم الطبيب الذي يبدو أنه تحمس لمعرفة باقي القصة:

- طب ومامتها وافقت ولا رفضتك؟!

نظر إليه عادل بوجه بائس:

- وافقت بس إسراء اللي ما وافقتش.. فضلت تقول مش عايزاك تتجوز واحدة ممكن تموت في أي وقت، إسراء من الناس الي بتفكر دايمًا في المستقبل.. بتفكر أنا هعمل إيه لو مراتي ماتت، المهم حاولت كتير أوي أوي إني أرضيها بس هي دماغها أنشف من الحجر.. المهم قلت لها إن هي تعمل العمليه الأول دا بعد ما الدكتورة قالت إن النسبه الأكبر إنها هتعيش، المهم أقنعتها واتخطبنا بس مش زي الناس العادية.. احنا اتخطبنا من غير حفلة والكلام دا.. احنا اتجمعنا أنا وهي ومامتها وأكلنا محشي وبعدين لبسنا الدبل.. بس الغريبة إن طنط عايزانا نتجوز بسرعة أوي عايزه كل حاجة تيجي في السريع يعني، هي موافقة إن إسراء ما يكونش عندها بيت تمليك، وموافقة إننا نتجوز في بيتي اللي أنا عايش فيه، واننا نتخطب من غير ما أهلي يجوا عادي أو من غير كمان أخت إسراء، دا غير انها حقيقي ما طلبتش ولا طلب.

- طب وأنت جبت فلوس العملية منين، وغير فلوس الحاجة اللي بتجهزها، والدبل والحاجات دي؟!

- بعت عربيتي وجمعت الفلوس اللي كان أهلي بيبعتوها لي.. بس من غير ما هي تعرف ودفعت فلوس العملية.

راحت المستشفى قبل العمليه بيومين، دا بعد لما أقنعنا مامتها تسافر تقعد عند أختها يومين تغير جو وتشوف أحفادها.. كانت إسراء مرعوبة، وكانت دي أكتر حاجة مخوفاني.. أصلي دايمًا كنت شايفها قوية، كنت شايفها بتتحمل كل حاجة، ما كنتش أعرف إن هي هشة أوي كدا، ما كنتش عارف إن القوة دي كان غطا لضعف من جواه، وأنا حبيتها بقوتها وبضعفها..

***

كانت إسراء تجلس فوق فراشها وعيناها ممتلئة بالدموع ووجهها مبتل وعيناها حمراء من كثرة البكاء، وتضم قدمها عند صدرها وتبكي دون صوت كي لا تيقظ عادل الذي ينام بسرير مرافق المريض كي لا يتركها وحدها.. كانت دموعها تنزل باستمرار، وشفتاها تتمتم ببعض الأدعية وبعض الأمنيات التي أولها أن يتم لها زواجها من عادل ذلك إن ظلت حية.

أتاها ذلك الصوت الرجولي من عادل وهو ما زال نائمًا ومغمضًا عينيه:

- وحياة عيونك الزرق دول لهتجوزك.

تلك الجملة جعلت للابتسامة مكانًا بوجه إسراء.

و تكلمت دون أن تنظر إليه:

- أنا بحبك أوي.. ما أعرفش إزاي، بس يوم لما شفتك في وسط البلد ندهت عليك عشان أعرفك على ماما، لأنها أغلى شخص عندي، حبيت أعرفها على الراجل اللي ساعد بنتها، الراجل اللي فضل معايا، اللي حماني من هيثم وصحابه الزبالة، تعرف إني ما كنتش ناوية أقول لحد إني عندي المرض دا.. بس لما سألتني حسيت إني مش هينفع أكدب عليك.

لم يأتها صوته؛ فنظرت إليه وجدته يقف بجانبها ينظر إليها؛ فابتسمت، أما هو فقد اقترب منها وضمها إليه دون وعي وشعرت هي بالسكينة والراحة، لأنها أخيرا وجدت موطنها الذي تنتمي إليه.

تحرك الترول الذي تجلس فوقه إسراء ذات العيون الجميلة وهي تلوح بيدها إلى عادل الذي يكاد يبكي من خوفه عليها، ولم يستطع عادل منع نفسه من الاتصال بوالدتها حتى تكون معها بعد العملية وأتت والدتها من السفر وكانت قد خرجت إسراء بالفعل.

***

تكلم الطبيب وهو يعطي عادل منديلًا:

- وماتت ؟!

أخذ عادل منه المنديل وهو يبتسم ساخرًا من كلامه:

- كنت على الأقل ذنبي هيبقى صغير.. إسراء ما ماتتش في العملية، إسراء ماتت من ساعة ما اتجوزتني.

عاد الطبيب يطرح سؤالًا:

- يعني هي خرجت واتجوزتك.. طب ليه بتقول إنك أذيتها؟! أنت لحد دلوقتِ دايمًا بتساعدها.

عاد عادل وتكلم:

- حياتها من ساعة ما اتجوزنها وهي بقت زفت، في الأول أمي كانت بتكرهها عشان عيلتها أقل من عيلتنا، وعشان مامتها كانت عايزة كل حاجة تمشي بسرعة فماما كانت بتقول إن فيه حاجة وراهم أو هما عايزين فلوسنا وخلاص.. بس أنا وقفت لهم وقلت لهم إني هتجوزها يعني هتجوزها.. أهلي ما كانش يهمهم حاجة غير راحة دمغهم فوافقوا، بس ماما دايمًا كانت بتعامل إسراء وحش.. بس مش دي المشكلة؛ فماما وبابا كدا كدا هيسافروا، المشكلة في اللي عرفناه عن مامتها بعد ما اتجوزنا.

***

توقف سائق السوبرجيت وأعلن عن وجود استراحة.

نزل عادل وهو ممسك بيد زوجته وحبيبته التي تكلمت بزعل قائلة:

- كان نفسي نقعد شوية كمان، بس الجامعة بقى والقرف دا.

نظر إليها عادل وتكلم بهدوء تام:

- خلاص إجازة نص السنة نروح تاني.

وقفت إسراء أمامه وهي تتكلم ببهجة:

- بجد.. بجد بجد هنروح تاني؟!

تكلم عادل وهو يمسح على شعرها:

- أنتِ طلباتك أوامر ياا باشا.

- يالهوي على جوزي الحلو دا.

- لا لا ما تخليش عينيكِ تلمع كدا.. دا لما بيبقوا بطبيعتهم بيجننوني، أمَّال بقى لما يلمعوا كدا.

انتهت الاستراحة بعد وقت قليل، وبعدها عاد الجميع إلى السوبرجيت، وجلس عادل بجانب فتاته التي وضعت رأسها على كتفه وتكلمت بهدوء:

- ماما وحشتني أوي يا عادل.

- وأنا كمان ماما وحشتني.

ابتأست دون أن يلاحظ وتكلمت قائلة:

- خلاص تعالى نروح نشوف طنط بكرة لو وحشتك.

ابتسم وهو ينظر إليها:

- على فكرة مامتك هي اللي وحشتني مش مامتي، ويعني هنروح لها بكرة لاحسن أنا هموت وآكل محشي.

في صباح اليوم التالي استيقظت والدة إسراء على صوت طرق الباب العالي المزعج، فزعت وجرت لتفتح لتجد ابنتها بصحبة زوجها ومعهم بعض الأكياس.

رحبت بهم بحرارة وأمسكت منهم الأكياس متسائلة عما بداخلها.

عادل: دا حاجة المحشي.

***

دخلت إسراء غرفة والدتها لتبحث عن شيء مريح لترتديه، وفتحت الخزانة ونظرت إلى ما يمكن أن ترتديه ويكون مقاسها، وجدت جلبابا يبدو أنه صغير عن والدتها، فأخذته وهي تأخذه شعرت ببعض الأوراق تتحرك تحت يدها فأخرجتها.

فوجدت أنها أوراق أشعة سونار تشبه تلك التي اضطرت إسراء أن تقوم بها لفترة بسبب ذلك المرض اللعين الذي كان ينهش جسدها.. هل والدتها تملك ذلك المرض أيضا.. نظرت إلى بعض الأوراق وحاولت أن تفهم، وإنها تفهم لكنها لا تريد الاستيعاب أن والدتها لديها ذلك المرض.

نادت عادل بصوت هادئ حتى لا يلاحظ كونها تبكي وهو بالخارج، فأتى إليها وفتح الباب ووجد دموعها على خدها الناعم، تكلم بصوت عالٍ:

- فيه إيه بتعيطي ليه؟!

لم تتكلم اكتفت فقط بكلمة:

- هششششششش وطي صوتك.

عادل: مالك فيه إيه طيب؟!

اقتربت منه وضمته وهي تتكلم باكية:

- ماما يا عادل، ماما عندها الزفت اللي كان عندي.

ابتعد عنها وهو يتكلم وهو يحاول أن يستوعب ما تقوله.

- عندها إيه.. لا ياا إسراء أكيد أنتِ غلطانة.

كادت إسراء تتكلم ولكن قاطعها صوت والدتها التي تكلمت بثقة:

- أيوه إسراء مش غلطانة، أنا عندي سرطان القولون وما ينفعش أتعالج لا بعملية ولا بحاجة لأني في آخر مرحلة فيه.

***

تكلم الطبيب ساخرًا:

- إيه العيلة اللي ما فيهاش حد سليم دي!!

رمقه عادل بنظرة غضب ووقف وأخبره أنه سيعود مرة أخرى إليه في الأسبوع القادم.. ليكمل قصته، خرج وركب سيارته وهو يقود، لكنه راح بذكرياته ليتذكر.

***

يقف عادل أمام باب شقته وهو متحمس للدخول، فهو يعرف أنها بانتظاره، وما إن يدخل المفتاح ستأتي جريًا لاستقباله كالمعتاد، وفتح الباب ووجد تلك الطفلة التي يبدو شعرها على شكل قططين وتجري تجاهه وهي تترنح وتقول:

- هيبه هيبيبه.. جوزي جه جوزي جه.. هيبيه هيبيبيه.

نظر لها وهو يشعر بالراحة فتلك الأوقات التي تمنى أن تدوم طويلًا، تمنى لو أن حياته تنتهي على تلك الأوقات.

***

أفاق عادل من تفكيره حينما فتحت الإشارة التي كان يقف بها وأكمل طريقه وتوقف بالسيارة أمام المبنى الذي يقطن به، وصعد ووقف أمام الباب، تمنى أنه عندما يفتح يجد تلك الطفلة صاحبة العيون الزرقاء تجري تجاه الباب وهي ترحب به فيضمها، لكنه فتح وهو متأكد أن ما يريده مستحيل أن يحدث.

دخل ووجد امراة بالداخل تمنى أن ينظر ويجدها إسراء، لكن كانت والدته تلك المرأة.

حين رأته اقتربت منه وحاولت ضمه لكنه ابتعد عنها فورًا وتكلم ببرود:

- عايزة إيه مني تاني.. ارحميني بقى.

تكلمت والدته التي تمثل دور الحزينة

- ليه بس يا بني، دا أنا كنت عايزة مصلحتك.

تكلم وهو يصرخ ويبتعد عنها كلما اقتربت منه:

مصلحتي كانت إسراء، وأنتِ دمرتيني أنا وإسراء، بسببك أنا عملت كل دا في إسراء.. وهي ما لهاش ذنب في حاجة.

عادت والدته تتكلم بطريقتها الصارمة المعتادة:

- عمومًا أنا كنت جاية عشان أقول لك إنك ما ينفعش تسيب مراتك كدا.

تكلم بكل الغل الذي يسكن قلبه:

- أنتِ عارفة إنها مش مراتي.

تركها عادل ودخل غرفته وأغلق على نفسه من الداخل وجلس على السرير.

***

كان كل من إسراء وعادل يجلسان على السرير وإسراء بحضنه وهو يبتسم وهو يقول:

- بنت أختك دي عسل أوي.. وحلوة أوي لما بتعملي أنتِ وهي قطتين بتبقى شبه الأطفال زيها.. ياه يا إسراء أنا عايز بنت زيك عشان تعملوا أنتم الاتنين قطتين قمر كده.

ابتسمت إسراء وهي تقول:

- إيه الإغراء دا.. بس بيقولوا إن أول طفل بيبقى شبه أبوه أو عيلة أبوه.

تكلم عادل غاضبًا:

- لا لا أنا عايزها شبهك، عايز كل عيالي شبهك أنتِ وبس، عايزهم ياخدوا عينيكِ ويخدوا قلبك ويخدوا كل حاجة فيكِ.

- آه عشان يبقوا هما أحلى مني بقى، ما هما هيكونوا ولادك؛ فأنت عايزهم أحلى مني ويبقوا أهم مني لما يجوا عشان هيقلوا لك يا بابا.

لمح عادل نظرة الغيرة التي بعين إسراء.. فهي تغير من طفلتهم التي لم تولد، بل لم تحمل بها إسراء من الأساس.

- خلاص قولي لي أنتِ كمان يا بابا.

نظرت إليه تلك النظرة التي يعشقها وقالت:

- بابا

***

عاد عادل بعد أسبوع إلى الطبيب ودخل وجلس كما كان يجلس في المرة السابقة.

الدكتور: كمِّل.. بعد ما عرفتوا إن مامتها عندها المرض دا إيه اللي حصل؟!

- ماتت أمها في نفس اليوم.. وإسراء كانت في صدمة إنها ما اقتنعتش بموت أمها.. وحتى أمي لما كانت بتشوفها بعد موت أمها كانت بتعاملها وحش أوي.. كانت ماما مقتنعة إن فيه حاجة وحشة في إسراء وإن هي هتأذيني.. ماما مش من النوع اللي بيخاف على حد، بس هي خدت دا تحدي في إنها هتثبت لي إن إسراء مش كويسة.. فترة عدت على موت طنط وإسراء لسه مطفية على عكس أختها اللي عيطت شوية وخلاص.

***

كانت إسراء تجلس فوق السرير بهدوء ودموعها تنزل دون صوت كالمعتاد.. دخل عادل ليخبرها أن والدته قد وصلت.. وأرادت أن تعزيها؛ فخرجت إسراء ورحبت بوالدة عادل ولكن بوجه خالٍ من التعابير، لكن والدته نظرت إليها من بدايه رأسها حتى أخمص قدميها.

جلسوا وتحدثوا كثيرًا؛ فزيارة تلك الأم لم تكن للتعازي، لكن للتفتيش عن أي شيء يضر إسراء، لكن ماذا تفعل فإسراء ليس بها ما يعيبها، لكنها وجدت ذلك الشيء الذي تأخر عند إسراء «الحمل».

عادل: إيه بقى يا ماما هترجعي دبي إمتى؟!

والدته: أنت بتطردني ولا إيه؟!

عادل: لا لا بسأل عادي.

والدته: أصلي.. زهقت من الشغل وكمان حابة أقعد هنا فترة أطول من كل مرة.

و بعدها تكلمت والدته بمزاح:

- إيه يا إسراء أنتِ هتفضلي مكتئبة كدا ليه، بس ياا حبيبتي دا حتى الحي أبقى من الميت.

نظر إليها عادل بغضب كي تكف عن الكلام، وتكلم هو لتلطيف الجو:

- لا إسراء مش كئيبة ولا حاجة، دا بس بسبب المذاكرة؛ أصل امتحاناتنا هتبدأ.

عادت والدته تتكلم بذلك الخبث:

- آه أخيرًا هتخلصوا جامعة وتبقوا فاضين بقى عشان تخلفوا وتعيشوا حياتكم.. هو مش أنتِ برضه مانعة الخلفة لحد ما تخلصوا، ولا هي اتأخرت لوحدها؟!

تكلم عادل بنفاد صبر:

- مش وقته الكلام دا.. وكمان لسه فيه ترم تاني.

عادت تلك المرأة تتكلم:

- لا مش وقته إزاي.. أنا عايزة أبقى تيتة.. وأنتم بقالكم أكتر من ٥ شهور متجوزين.

كاد عادل يتكلم مرة أخرى لكن تكلمت إسراء بكل ثقة:

- لا أنا مش مأجلة حاجة أنا سيباها على ربنا.. وكمان ٥ شهور دا مش كتير.

تكلمت والدته باستفزاز من ثقة إسراء:

- بس يا حبيبتي احنا الصعايدة، والصعايدة بيحبوا الخلفة في أول الجواز.. وياريت يكونوا ولاد.

تعجب عادل ثم قال:

- الصعايدة.. احنا الصعايدة.. دا إزاي؟!

والدته: أنا أهلي كانوا صعايدة أنت مالك !!

***

دخل عادل من باب الشقة واقتربت منه وهي تجري وتصيح:

- جوزي جه هيبيه هيبيه جوزي الحلو جه جه.

كالمعتاد أخذها بحضنه وتكلم مبتسمًا:

- طب ياا مراتي يا حلوة ادخلي دلوقتِ جهزي هدومنا وحطيهم في شنطة..

- أيه ده ليه؟!

- هنسافر بالليل.

- بالليل.. هنسافر بجد؟!

- مش أنا وعدتك في الإجازة هنسافر؟!

- يالهوي على القمر اللي أنا متجوزاه.. حقيقي شكرًا على كل حاجة بتحاول تعملها عشان أرجع للمود تاني، أنت عارف يا عادل عمري ما هسامحك لو سبتني.

***

- وكان ليها حق ما تسامحنيش.

سافرنا وكنا مبسوطين أوي.. كانت رجعت زي ما هي.. بس الغريبة إن أنا مش فاهم ليه كان في وقت بتبقى سرحانة وعينيها مدمعة.. ولما بنكون في الأوضه في الفندق لوحدنا كل لما أقرب منها تبعد هي، كان فيها حاجة غريبة.. حاجة ما لهاش علاقة بمامتها، لأن لما بتفتكر مامتها كانت بتعيط قدامي عادي، لكن دا كل لما ألمحها تقوم ماسحة دموعها.. كل لما نضحك شوية ترجع عينيها تدمع.. ولو سألتها مالك بتقول لي افتكرت ماما، ومش ببقى عايز أضغط عليها.. أنا مش عارف مالها بس كل اللي أعرفه إن دي مش إسراء.

قعدنا الأسبوعين هناك ورجعنا. على بداية الترم التاني وأول يوم رحنا دخلنا وقعدنا في مكاننا المعتاد، إسراء فضلت بتاع سبع مرات تقول لي عايزة أقول لك على حاجة وبعدين تسكت، أو تدخل الحمام أو أي حاجة من دول، المهم أصلًا ما كانش عندنا حاجة مهمه فروحنا بدري.. ووقفت إسراء عملت «محشي» وأنا نمت.. صحتني إسراء كالمعتاد بكل دلع.

وقعدنا ناكل وإسراء ما كلتش أي حاجة، وأنا طبعًا نطيت في صينية المحشي.. بس وقفت لما لاحظت توترها وطبعًا سألتها مالك.. ردها خلاني أترعش من جوه.. إسراء طلعت ما بتخلفش.. فقدت السيطرة على كل حاجة وأعصابي حستها اتشلت، وما حستش بنفسي غير وأنا بزق الأكل على الأرض وأنا بقول:

- وأنا ذنبي إيه إني اتجوز واحدة كان عندها الزفت دا.. إسراء أنتِ كنتِ عارفة قبل الجواز صح.. ردي عليَّ أنا بكلمك، كنتِ عارفة إنك ما بتخلفيش صح؟! وخلتيني أتجوزك عشان تدبسيني؛ ما أنتِ مش هتلاقي حد يعرف يشيل غير الأهبل اللي حبك.. بقى دي آخرة مساعدتي ليكِ.

سكت بعد ما استوعبت كلامي وقمت وفتحت الباب ونزلت وفضلت أمشي.. أنا مش عارف أنا عملت كدا ليه؟! عشان ما قالتليش على طول؟! ولا عشان أنا كان نفسي في أطفال؟! ولا هي فعلًا كانت عارفة

قبل الجواز إن اللي بيتعالج من الكانسر وبالذات اللي كان عندها بيبقى عنده صعوبة في الخلفة؟!

فضلت مكمل مشي.. وكل اللي قدام عيني منظر إسراء بعد لما رميت الأكل على الأرض.. إسراء مش بتعرف تتنفس لما بتتوتر أو تعيط إسراء أكيد تعبانة دلوقتِ.. وأنا رد فعلي كان زيادة.. أنا ما سمعتهاش. رجعت لأني قلقت عليها ونسيت الحوار أصلًا.

لما فتحت باب الشقة كانت الأطباق لسه متكسرة على الارض وإسراء قاعدة على الأرض جنبها.. ورجليها بتنزف من بين صوابعها.. وهي حاضنة رجليها الاتنين وقاعده وعينيها دبلت من العياط، وما كانتش عارفة تاخد نفسها.

شلتها ودخلت حطتها على السرير وأنا بتكلم بخوف عليها:

- إيه اللي عورك أوي كدا.. مش بتبصي تحت رجليكِ قبل ما تمشي ليه؟!

رحت جبت لها البخاخة عشان تعرف تتنفس بعد ما هديت كانت هتحضني.. بس جت حركة تلقائية مني ورجعت ورا.

فضل الموضوع كدا متساب وماما لاحظت إن كل لما بتجيب الموضوع قدامنا بنتلجلج أو بنتوتر غير المرة الأولى لما إسراء اتكلمت بثقة.. كنت كل لما ببص ليها كنت بفتكر شكلها وهي بتقول لي: «الدكتورة قالت لي إن ممكن يبقى صعب أوي تخلفي بسبب العلاج اللي كنتِ بتاخديه، وإن معظم الحالات اللي زيك ما خلفوش أصلًا، بس أنا عملت تحاليل ولسه النتيجة هتطلع» كنت بحاول أبين لها إن مفيش مشكلة عندي وإن كل حاجة كويسة، بس ما كنتش عارف آخدها في حضني زي الأول حتى بعد ما عدى شهر.

***

طرق باب شقتهم ففتح عادل ووجد والدته ومعها فتاة ببداية العقد الثاني وامرأة خمسينية، فأدخلهم عادل وجلست الفتاة والمرأة في الصالون، وسحب عادل والدته.

- مين دول؟!

- العروسة وأمها.

- وجايباها هنا ليه؟! لو إسراء جت بقى هنعمل إيه؟!

- مش أنت قلت إنها في الجامعة.. وبعدين ما تعرف إيه المشكلة، ما أنت لك الحق تتجوز عليها بدل الواحدة ٣، وكمان مش هي اللي ما بتخلفش، وبعدين أنت عايز العروسة تتجوز في شقة من غير ما تشوفها.

- تتجوز فين.. لا أنتِ فاهمة غلط، أنا هتجوزها آه بس عشان عايز عيال، لكن أنا هعيش مع إسراء

وإسراء هي اللي هتقعد في الشقة، والتانية دي ممكن نبقى نشوف لها شقة إيجار وخلاص، لكن الشقة اللي هتعيش فيها إسراء.

- لا يا حبيبي اعرف إن دي مش شقتك وإن ابوك هو اللي جابها لك.. أنا هسيبك تعمل اللي أنت عايزه في بداية الجوازة دي وهخليها تقعد في شقة إيجار.. بس اللي هتخلف الأول هي اللي ليها الشقة.

عاد عادل مع والدته وتعرف عادل المدعوة «غادة» ووالدتها، واتفقوا على أنه لن يكون هناك خطوبة، فقط كتب كتاب بعد امتحانات الفتاة.. فالفتاة ما زالت تدرس.

سمع عادل المفتاح يدخل بالباب فزع ووقف يراقب إسراء وهي تتجه إليهم وهي مبتسمة:

إسراء: إيه يا حبيبي.. إزيك يا طنط.

نظرت إسراء إليهم ليعرفوا بأنفسهم، ونظرت غادة إلى والدة عادل وهي تتكلم باستهزاء:

- هي دي بقى يا طنط مرات عادل؟!

تكلمت إسراء وهي مبتسمة وبنية صافية:

- آه وأنتِ مين؟!

- أنا بقى...

كادت غادة تتكلم، لكن قاطعها صوت عادل:

- دي غادة تبقى بنت خالتي.

اتسعت حدقة والدته لأنه يخشي زعل إسراء لكنه لا تهمه غاده ووالدتها.

تكلمت والدة غادة:

- طب نلحق نمشي احنا.

لم تكن إسراء تجرؤ على الكلام لا مع والدة عادل ولا من تعتقدها خالته أو ابنتها، فتركتهم ينصرفون بهدوء.

- عادل ممكن نتكلم شوية.

نظر إليها عادل وتعجب من كلامها؛ فهو أخبرها أنه لا يهمه إن كانت ستنجب أم لا، ولكن ما خطب طريقتها الرسمية الزائدة.

- أنا عارفة إن أنت همك أوي موضوع الخلفة.. عارفة إنك بتعمل كدا عشان خايف إني

أتعب، بس أنا مش مستحيل أخلف، أنا ممكن وممكن لا، بس على الاقل فيه احتمال، مش دا كان كلامك.

- مش وقته الكلام دا، وبعدين أنا قلت لك خدي وقتك ما دام فيه احتمال.

- بعدك عني بيثبت عكس كلامك.. أنت مش مصدق كلامي، بس انهارده أنا مشيت من الجامعة بدري عشان أروح للدكتورة ولما رحت قالت...

قاطعها عادل وهو يصيح:

- آه أنا فارق معايا الخلفة.. أنا زي أي راجل نفسي أخلف، نفسي يتقال لي يا بابا، أنا مش عارف أنا ببعد عنك ولا ببعدك عني، أنا بحبك بس برضه محتاج الخلفة، محتاج أكون أب وده حقي، عارف إنك واخدة بالك من نومي على الكنبة ساعات كتيرة، من قلة كلامي معاكِ، من إني ما بقتش ببص في عيونك اللي كانوا بيسحروني.. من كل حاجة، بس دا بيبقى غصب عني، أنا حتى مش قادر أبص في وشك، أنتِ عارفة من الأول خالص إني عايز أخلف، وأنتِ اتجوزتيني وأنتِ عارفة كويس إنك مش هتخلفي.

لم تتكلم إسراء، ذهبت تجاه الباب ودموعها على خدها، وذهبت إلى بيت والدتها الذي ظل مغلقًا منذ فترة، دخلت وذهبت إلى غرفة والدتها لتجلس على سريرها وهي تضم وسادتها.

- ليه يا ماما سبتيني.. خلتيهم ينهشوا فيَّ.. هو دا عادل اللي قلتِ إن هو الراجل الوحيد اللي هيقدر يحميني.. استنى لما اتجرحت وداس على الجرح بكل قوته.. ماما هو أنا ينفع أجي لك ولا أنتِ اللي ما كانش المفروض تسبيني.. أيوه صح أنتِ اللي ما كانش ينفع تسيبيني، على فكرة مش معنى إني بتكلم معاكِ إني خلاص ما بقتش زعلانة، لا أنا زعلانة منك أوي.. ليه ما اتعالجتيش ياا ماما؟! ليه على الأقل ما قلتليش؟! مُتِّي من غير ما أكون جنبك.

أنا آسفة أرجوكِ سامحيني.. أنا بتحجج إني زعلانه منك بس عشان أنا عارفة إن أنتِ اللي ليكِ الحق تزعلي، أنا لو كنت عارفة قبليها بفترة كنت عرفت أساعدك.. أنا آسفة.

ظلت نائمة وبحضنها وسادة والدتها.. وهاتفها لم يصمت، ظل يرن والساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً، عادل كان يموت كل دقيقة خوفًا عليها، ولكن أين ستكون في ذلك الوقت، إسراء ليس لديها الآن سوى أختها التي تمكث بالإسكندرية.. وشقة والدتها.

أفاقت إسراء على صوت طرقات الباب المتتالية ففتحت لتجده عادل.. لكنه ليس هو عادل القديم.. فعادل القديم كان سيضمها فور أن فتحت، لكن ذلك العادل لم تجد بعيونه ذرة حنان في البداية، ولكنه أثبت أنه ليس عادل بعد صفعها.

تفاجأت من رد فعله العنيف الذي لم يكن ليفعله من قبل.. أتأثير عدم الخلفة ما فعل هذا به؟! أم أن هذا عادل الحقيقي وذلك كان المزيف؟!

لم تتكلم إسراء وذهبت إلى أقرب كرسي وجلست وتكلمت بهدوء:

- أنا هقعد هنا فترة وأنت محتاج ترتاح مني شوية عشان تفوق للعروسة.

اتسعت عينا عادل فور سماعه تلك الجملة.

- أنتِ عرفتِ.

ابتسمت إسراء وتكلمت:

- أنا استحملت طريقتك معايا وطريقة مامتك.. وعلى إيه؟! على حاجة أنا ما عملتهاش بمزاجي، وافتكرت إنها فترة وهتعدي وهترجع وهتساعدني إني أقدر أعدي المشكلة دي.. بس أنت عملت إيه.. رُحت دورت على عروسة.

- عرفتِ منين؟!

إسراء باستهزاء:

- من بنت خالتك.

***

تكلم الطبيب باندهاش:

- إسراء كانت ذكية أوي!!

- أوي.. ساعاتها أنا نزلت من غير ما أكلمها ولا كلمة.. إسراء كانت بتكلمني ببرود وهدوء مستفز أوي.. بس هي دي عادة إسراء، عمرها ما هتعترف إنها محتاجة حد مش عايزها، وطبيعي إني أستنتج إن هي ظهرت زعلها لما أنا نزلت، وعشان كدا أصلًا نزلت عشان لو إسراء قالت لي ما تتجوزش مش هتجوز.

ممكن تفتكر دا كلام وخلاص، بس أنا فعلًا لو شفت إسراء بتعيط قدامي وطلبت أي حاجة بعملها من غير تفكير.. بس برضه عمري ما هنسى إنها تعبت وأنا سبتها ونزلت.

بعد لما روَّحت جات لي مكالمة من رقم إسراء وبصوت راجل غريب بيقول لي: إن صاحبة الموبايل في المستشفى وده آخر رقم كلمته فهو اتصل وطلب إني أقول لعيلتها.. أنا عيلتها.. أنا المفروض عيلتها أنا اللي سبتها لما كان المفروض أكون معاها.

نزلت جري ورحت لها اطمنت عليها وعرفت إنه إغماء عادي.. وقفت قدام باب الأوضة اللي هي فيها ورجلي مش عايزه تتحرك.. عقلي رافض يديني أي أمر يخليني أروح لها.. أصلًا إزاي أرح لها وأنا السبب في اللي هي فيه.. خرجت من المستشفى ولأول مرة من سنين كتيرة دموعي نزلت من عينية غصب عني، فضلت ماشي عمال أفتكر كل وعد وعدته لها في يوم وما نفذتهوش.

***

فتحت إسراء عيونها لترى ممرضة بجانبها تترقب مؤشراتها الحيوية.

الممرضه: صحيتِ.. طب كويس.

إسراء: أنا إيه اللي جابني هنا؟!

- اتصلت بينا واحدة من جيرانك وقالت إنك أغمى عليكِ وما فيكيش نفس خالص، وكنتِ ماسكة في إيدك ورقة سونار يعني ممكن تكوني حامل، ولما اتنقلتِ هنا كنا فكرين إن الطفل مات.

- لا لا أرجوكِ لاااااء.. ما ماتش، ابني ماات؟! ردي عليَّ !!

- لا اهدي اهدي ابنك عايش وكله تمام.. عارفة لو ما كنتيش بتخدي الفيتامينات كان حصل له حاجة، عموما يا حبيبتي لو عايزة أي حاجة ابقى خلي صاحبتك تنده لي، ولو بقيتِ كويسة لحد الصبح هتمشي.

كادت الممرضة أن تخرج لكن أوقفتها جملة إسراء:

- صاحبتي مين.. وهو جوزي ما جاش ولا ما عرفش أصلًا؟!

ابتسمت الممرضة:

- جوزك دا غريب أوي.. لما سألني عنك قلت له إن دا إغماء بسيط وإن الطفل صحته كويسة

كان باصص لي ومتنح وقال لي:

- أنا مراتي اسمها إسراء سلامة هي فين أو عاملة إيه؟!

أكني كنت بكلم نفسي، المهم شاورت على الأوضه بتاعتك راح بسرعة أوي وقبل لما يفتح الباب لقيته خرج ومشي..

مع نهاية جملة الممرضة سقطت أول دمعة من عيناها وطرق الباب؛ مسحت إسراء دمعتها وابتسمت لاعتقادها أنه عادل.. لكن أملها قد خاب فور أن رأت فتاة بمثل عمرها تتجه نحوها.. إنها تعرف هذا الوجه الذي يعلوه الحجاب وتكلمت الفتاة:

- إيه يا إسراء مش فاكراني يا كلبة؟!

ابتسمت إسراء فور استيعابها أنها صديقة طفولتها وجارتها التي اعتادتا أن تلاعبا على السلم معًا.

- هند وحشتيني أوي.. أنتِ رجعتِ أخيرا، وفين كريمة؟! والله وحشتني أوي، مش مصدقة إنكم رجعتوا.

- لا كريمة حياتها كلها هناك، دماغها بقت زي الأجانب وعمالة أنا وماما نزن عليها عشان تتجوز وهي راسها حجر، ما أنتي عارفاها.

طال حديثهما وتكلما عن سفر هند وعن موت والدة إسراء.

- ياااه.. الله يرحمها يا رب ويصبرك.

لمحت هند ذلك الخاتم بإصبع إسراء فتكلمت مرة أخرى:

- أنتِ اتجوزتِ يااا بت.

- آه اتجوزت وهتطلق.

- بتهزري.. طب ليه؟!

- أول لما اتجوزنا كان بيعمل لي كل حاجة حلوة، كنت كل حاجة بالنسبة ليه، وبعد موت ماما هو اللي فضل جنبي لحد اليوم الزفت اللي جت فيه مامته وفتحت موضوع الخلفة، وحسستني إن احنا متجوزين بقالنا ١٠ سنين وهما يا دوب ٥ شهور، المهم تاني يوم رحت لدكتورة وعملت تحاليل، وكان المفروض أستلمها بعد أسبوع لكن أنا وعادل سافرنا وفضلت خايفة من إني أطلع مش بحمل زي مامته ما قالت.. ولما رجعت رحت للدكتورة وعرفت إني ممكن أحمل بنسبة بسيطه جدًّا لأني كنت بتعالج من الكانسر، وطلبت تحاليل تاني.

و لما قلت لعادل.. اتجنن واتعصب ورمى الأطباق على الارض وحاجات كدا غريبة، وبعديها رجع وقال لي إنه هو مش هامه الموضوع وإن أنا مكفياه.

بس طريقته وتصرفاته غير كدا؛ كان مش بيبص لي حتى وهو بيكلمني، كل لما أقرب منه وأقول له إني محتاجاه كان بيبعد، يقعد يقول أي كلام، كنت بموت بالبطيء، فكرة إن ما كانش حد معايا الفترة دي كانت مأساة بالنسبة لي، ماما ماتت وعادل بيبعد عني.. طب وبعدين المفروض أعمل إيه؟! المهم قعدنا فترة كدا وكان كل ما كان بيبعد عني خطوة كان بيقطع في قلبي.

كنت بموت وأنا عايشة والفترة دي كنت بتعب وكل شوية أرجع وأدوخ وحاجات كدا، لما رحت للدكتورة تاني عشان أستلم نتيجة التحاليل عرفت إني بقيت حامل أصلا، وده الفرق بين التحليل الأول والتحليل التاني إن الاول اتعمل في وقت تغير هرمونات، يعني في وقت غلط، بالتالي النتيجة ما كانتش واضحة، عشان كدا عملت التحليل التاني بس الدكتورة كانت مش عايزاني أتعشم؛ فعرفتني إن بنسبة كبيرة مش هخلف، بس لما طلعت النتيجة بتاعت التاني طلعت حامل، حاولت أقول له أكتر من مرة، بس كل لما أفتح الموضوع هو يقفله، كمان كنت عايزاه يرجع بس يعاملني زي الأول ويقول لي أنا عايزك أنتِ مش عايز غيرك زي ما على طول كان بيقول لي، والله وقتها كنت هجري وأقول له إني حامل أصلًا، المهم عدت فترة وفي يوم عديت على الدكتورة وسمعتني نبضه كان ألطف وأحلى حاجة سمعتها في حياتي، وجريت على البيت وقلت أنا لازم أقول له، بس لما وصلت لقيت عادل ومامته واتنين ما أعرفهمش، المهم الست الكبيرة ما اتكلمتش وعادل ارتبك أول لما شافني، والبنت كانت بتبص لي وبتفصصني،

المهم لما مشيوا أنا كنت هتكلم معاه بس هو ما سابليش فرصة، رحت على بيت ماما، وبعد لما دخلت بشوية الباب خبط افتكرته عادل، بس كانت مامته تقريبًا هي ممشية حد ورايا لأنها عرفت من الدكتورة اللي بروح لها إني حامل، وجت عرضت عليَّ شيك تقيل أوي مقابل إني أنزل الطفل، ولو ما وافقتش هي هتنزله بمعرفتها، وحاولت إني أمسك نفسي على قد ما قدرت لحد ما مشيت، بعدها بكتير جه عادل واتخانقنا، ورحت قلت له إني عارفة إنه عايز يتجوز.. كنت مستنية يقول لي إيه الهبل دا أنا بحبك أنتِ، بس هو قال لي عرفتِ منين.. عارفة يعني إيه، يعني هو فعلًا عايز يتجوز، أنا لما جمعت اتأكدت إنها البنت بتاعت الصبح اللي كانت في البيت، أكيد جاية تعاين البيت اللي هتعيش فيه.

أردفت هند والدموع تملأ عيونها:

- يا حبيبتي.. عارفة يا إسراء أنتِ في اختبار صعب قوي، ويمكن دا امتحانك أو يمكن يكون جرس ربنا بيرنه ليكِ عشان ترجعي له شوية.. أنا رأيي إنك تبعدي.. تبعدي عن عادل وعن إسراء، تحاولي تكوني حد متفرج لأن لا أعصابك ولا أعصاب البيبي هيستحملوا كل دا، وتبقى كمان بعيدة عن الست المجنونه دي.. أنا جوزي لسه مش راجع مصر دلوقتِ، وأنا قاعده في شقة ماما، تعالي واقعدي معايا، هو مستحيل يفكر إنك هنا، ولو عرف بيت جدو مش بعيد، وممكن نروحه في أي وقت، هو أصلًا كان عايزني أقعد معاه لما عرف إني خلاص هولد وكريمة وناجي جوزي مش معايا.

***

دورت عليها كتير أوي يا دكتور بس ما لقتهاش.. وجت الامتحانات وأنا كنت بحل أي حاجة، وطبعًا ما كنتش بشوفها لأني أنا كلية وهي كلية تانية خالص، وما كنتش متخيل إنها بتروح أصلًا، وآخر يوم امتحانات شفتها صدفه عند المركز التجاري وكانت معاها واحدة صاحبتها وكانت بتضحك.. يعني هي بتضحك وأنا بموت ومن غير تفكير رحت لها جري وجبتها من شعرها وضربتها على وشها.. آه أنا الحقير اللي ضربها إزاي ما أعرفش، حقيقي الغضب كان عاميني.. حاشوني عنها ولما بصيت لها لقيت عينيها الزرق بيعيطوا.

بصت لي واحدة أول مرة أشوفها، لا لا كنت شوفتها قبل كدا، كانت هي اللي فتحت من الباب الشقة اللي قدام شقة والدة إسراء وقالت لي إن مفيش حد في الشقة، المهم بصت لي وقالت جملة عمري ما هنساها:

«عارف لو كنت راجل ليها زي ما أنت راجل عليها ما كانش كل دا حصل».

فعلًا أنا ما كنتش راجل لإسراء، رحت في نفس الاسبوع لبيت أم إسراء وخبطت على باب الشقة اللي قدمها، فتحت نفس البنت وهي حاطة إيشارب على شعرها، بصيت لها بترجي:

- ممكن تقولي لي إسراء فين.. أنا بموت حرام عليكِ.

بكل برود تكلمت هند:

- لو أنت بتموت بس لمجرد إن هي بعدت عنك، أمَّال هي تعمل إيه وأنت بعيد عنها ومامتها ميتة، وأنت ومامتك عمالين تدوسوا على جرحها.. ارحموها بقى.

عادل حاول دفعها ليدخل.

- هي هنا صح.. أنا متأكد إن هي عندك.. ياا إسراء اخرجي نتكلم بس عشان خاطري.

ابتسمت هند باستهزاء.

- خاطرك دا تبله وتشرب ميته.. وقلت لك إسراء مش موجودة.. أنت فاكر لو هي موجودة كانت هتفضل قاعدة جوة وأنت على الباب.

أنهت كلامها ودفعته ليخرج وهو مستسلم، وجلس على السلالم بيأس حتى رفع عينيه على فتاة تشبه الملائكة وهي تصعد السلالم بهدوء ورفعة عيونها الزرق تبدو مختلفة قليلًا، أيمكن أن يكون بسبب حجابها الذي يعلو شعرها الذي طلب عادل كثيرًا منها أن ترتديه، لكنها كانت ترفض والآن إنها ترتديه.

ورأته ولكنها تجاهلته تماما ومرت بجانبه دون أن ترمش حتى، وهذا ما أثار غضبه وأمسكها من يدها وبصوت يمتلئ حزنًا وترجيًّا:

- إسراء.

حتى هذا لم يجدِ نفعًا معها وأفلتت يدها من يده وأكملت طريقها.. نزل وعاد إلى بيته ليجد والدته، وكان حقًّا يحتاج إلى حنان الأم.

والدته: كنت فين كل دا؟!

لم يجبها؛ فعادت وتكلمت مرة أخرى:

- مش المفروض كنا هنقابل أم البت اللي فرحها بعد أسبوع دا عشان نجيب الفستان والبدلة؟!

- هاتيهم أنتِ أنا مش رايح في حتة.

- طب عايزين نغير أوضة النوم عشان العروسة بقى.

- أوضة إيه.. أنا قلت لك أنا مش هتجوز في الشقة دي، الشقة دي بتاعة إسراء.

- وهي سابتها لك.. هي اللي مشيت.

صرخ عادل:

- بجد أنتِ إزاي قلبك كدا؟! أنتِ جاحدة.. أنا بقي كتبت الشقة باسم إسراء على فكرة.. وأنا مش هتجوز هنا فاهمة ولا لا؟!

أنهى جملته وتحرك ليخرج من البيت لينزل.

***

الدكتور: أنا مش فاهمك.. أنت عايز إيه.. عايز إسراء ولا عايز تتجوز ولا عايز إيه؟!

عادل: أنا كنت عايز كل حاجة حلوة، وما كنتش أعرف إن الحاجة الحلوة فيها إسراء.. المهم إني رحت لها تاني وفضلت أخبط وأتكلم وأعيط.

***

- إسراء أنا بحبك، أرجوكِ ما تكونيش باردة كدا، إسراء طب ممكن ترجعي البيت وأنا همشي وهسيبه صدقيني.. أنا أصلًا كتبته باسمك.. إسراء أنا فرحي كمان أسبوع.. إسراء أنا بحبك والله بحبك.

طب ممكن تقولي لي إنك لسه عايزاني وصدقيني أنا مش هتجوز ولا هعمل حاجة، إسراء أنا بموت وأنتِ اللي ممكن تحييني أنا بضيع نفسي بإيدي..

***

ساعتها نمت وصحيت تاني يوم الصبح بعد لما اتغرقت بالمياه الباردة وكانت من هند وهي بتقول:

- أنت إزاي مستحمل نفسك؟! إزاي مستحمل إنك تعيش وأنت كدا؟! عايز تتجوز روح ربنا يسهلك .. مش عايز تتجوز ارفض و خلاص لكن ايه الأنانيه دي ليبه عايزها هي اللي تقول لك متتجوزش

كان ما عنديش طاقة عشان أناهد معاها، طلبت منها ورقة وقلم، وبعد ما زعقت شوية راحت جابتهم كتبت عليها رقمي وقلت لها لو إسراء احتاجت حاجة أو حصل لها حاجة كلميني ومشيت.. فضلت أجي كل يوم تحت بيت إسراء بس هي ما كنتش بتنزل بما إننا خلصنا الامتحانات اللي أنا متأكد إني مش هلحق أنجح فيها.

جه يوم الفرح وأنا طول اليوم عمال أسمع زعاريد أصواتها بتخرم ودني، ببقى عايز أصرخ وأقول لهم إني المفروض أعيط مش أضحك، يمكن يوم فرحي أنا وإسراء كان في أصوات وزغاريد أعلى من دي وكان على قلبي زي العسل عشان دي إسراء.

دخلت القاعة وكانت العروسه جنبي.. بس أنا حاسس إني مش شايفها ولا شايف المعازيم ولا سامع أي صوت أنا حاسس إني مت.. أنا فعلًا مت لما فكرت أبعد عن إسراء، أنا زي السمك اللي طلع من الميا بس بإرادته.. أنا عايز فعلًا أخلف لكن من إسراء، أنا عايز ولادي يكونوا من إسراء، لو هما من واحدة غيرها يبقى ما يلزمونيش أنا مش عايز غيرها.

تكلم الطبيب مستهزئًا:

- هاا، ما تقوليش بقى إن أنت سبت الفرح زي الأفلام، أصلًا كل اللي أنت بتحكيه ليَّ دا لو اتفرجت عليه في فيلم هقول إنه فيلم أوفر أوي.

ابتسم عادل:

- أنا فعلًا سبت الفرح عشان أنا عرفت إني أعيش يوم مع إسراء ولا أعيش مية مع واحدة تانية وعيالها.

- طب والبنت التانية عادي كدا تسيبها يوم فرحها؟!

- ما أنا قلت لك إنك مش هتلاقي أحقر مني.

تكلم الطبيب مرة أخرى:

- طب وبعدين، رجعت لها؟!

صرخ عادل:

- ويا ريتني موت قبل ما أرجع.

- ليه.

- مشيت من هناك وكانت معايا عربية ماما، ركبتها وكنت رايح بيت هند جارتها دا، وقبل لما أوصل بشوية رن تليفوني وكان رقم غريب، رديت كانت هند اللي من سرعة كلامها ما فهمتش غير إن إسراء مختفية من امبارح وهي ما تعرفش مكانها، بس إسراء كلمتها وقالت لها إنها هتبات في حتة تانية، وكانت بتسأل لو فيه مكان معين ممكن تكون فيه، لأن هي أكيد مش في الشارع كل دا.. طبعًا أنا استغربت إسراء كانت خجولة شوية وما كانش عندها معارف كتير، وكمان كانت مش بتقعد عند قرايبها.. بس برضه سألتها طب وإيه اللي قلقك دلوقتِ.. قالت لي إن جات لها رسالة من رقم إسراء بتقول «آسفة.. بحبك يا صاحبتي.. شكرًا على كل حاجة» وبعدين تليفونها اتقفل.

ساعتها من غير تفكير قلت إنها في شقتنا وغيرت اتجاهي وقلت لهند تيجي.

وصلت البيت وفتحت الباب كان في شوية أنوار مفتوحة ومتسحيل أكون أنا اللي سايبها لأن أنا قافل الشقة من ساعة ما قلت لإسراء إني كاتب الشقة باسمها.

دخلت كانت الصالة فاضيه ومش سامع أي صوت من أي اتجاه، فضلت أمشي لكن جات عند حتة ورجلي خبطت في حاجة ببص على الأرض.. كانت إسراء.. إسراء والدم مليها.. إسراء مش بتتنفس جربت أحط إيدي عند رقبتها بس ما كانش فيه نبض إسراء ماتت...

***

ركع عادل على ركبته فور رؤية إسراء ممددة على الأرض، وظل يحركها حركات تلقائية بشكل هستيري

وهو يصرخ بها حتى تستيقظ، حاول الشعور بأنفاسها لكنها لا تتنفس، وضع يده عند رقبتها ليشعر بنبضها، تكلم وبكل هدوء:

« إسراء قومي تعالي نروح المستشفى.. إسراء يالا عشان نسافر تاني ونعيش أحلى وقت تاني.. كدا ينفع ما ترديش عليَّ «

صرخ عادل وهو يهزها بسرعة:

«ياااالا قووومي.. أنا سبت الفرح وجيت لك، أنا مش عايزك تخلفي أنا عايز أعيش معاكِ كدا «

دخلت هند تركض على صوت عادل الذي كان يصرخ:

دخلت لتجد إسراء ملقاة على الأرض وبجانبها الأيمن يوجد الكثير من الدماء، وتلك الدماء تغطي يدها اليمنى، وعادل يحضن رأسها وعيونه ممتلئة بالدموع، ووجهه مبتل من كثرة الدموع وهو يصيح بها حتى تقف مرة أخرى، ولكن كيف لها أن تقف وهي في طراح الموت، وحتى هند لم تستطع التحمل ووقعت على الأرض وعيونها تمتلئ بالدموع.

النهاية

أغلق الطبيب ذلك الكتاب اللعين الذي بدى كأنه مرآة تطل على الماضي التعيس.. أراد تكذيب أي من هذا، فكيف وصلت كل تلك المعلومات إلى الكاتب، أم أن الكاتب هو شخص أتاه من الماضي.. مرت ٣ أشهر منذ أتى ذلك الكتاب إلى مكتبه ولم يعد صاحبه الذي أراد الطبيب سؤاله مئات الأسئلة، لكن لم يظهر بعد، حتى جاء اليوم المتمم للشهر الثالث، أتى طرد مجهول، وحين فتحه كان الكتاب ومعه رسالة:

«أعتقد ٣ شهور كفاية إنك تفتكر كل تفاصيل حياتك وتفكر كويس عشان تعرف أنا مين.. بس خليني أساعدك أنا جوا أول ثلاث قصص وآخر ثلاث قصص.. أيوا أنا منك»

قرأ الكتاب للمرة الحادية عشرة لعله يجد الإجابة، لعله يعرف الرابط بين الثلاث الأولى والتلاث الأخيرة، فهو يعرف أن القصة الثانية هي قصة زواجه الثالث، وما قبل الأخيرة قصة والدة زوجته الحالية، الزوجة الثانية أم الأخيرة، فهي قصة حب حياته وزوجته الأولى، لكن كيف جمع الكاتب معلومات تلك الثلاث زيجات؟!

مرت ٣ أشهر أخرى وفي اليوم المتمم للشهر الثالث طرق الباب فسمح للطارق بالدخول وهو ينظر إلى بعض الملفات ولم ينتبه، حتى ألقت الفتاة التي دخلت للتو نفس الكتاب على مكتبه وهي تتكلم:

- كدا أنت أخدت الثلاث نسخ من تلات أشخاص مختلفين.

انتفض من مقعده وأمسك بذراعها وبنبرة تهديد تكلم:

- أنتِ مش هتخرجي من هنا إلا لما أفهم كل حاجة.

- أظن إني سبتك محتار كتير أوي، وحرام أنت راجل كبير، ولو ضغطت عليك أكتر من كدا ممكن تروح فيها، وأنا مش عايزاك تموت دلوقتِ، أو على الأقل مش قبل ما تتوجع زي ما وجعت كتير.

- أنتِ مين؟!

- تحب نبدأ من النسخة الأولى ولا من النسخة الأخيرة من الكتاب؟!

- نبدأ من أنتِ مين.

- يبقى هنبدأ من النسخة الأخيرة.. أنا مين.. دي حاجة مش عايزة أقولها بس أنا بنتك.. وسع بس كدا واقعد لأن لسه عندي كلام كتيير، وأنا رجلي بتوجعني من الوقفة.

- سيبك من الهبل اللي بتقوليه دا، وقولي لي أنتِ مين وعرفتِ عني كل دا إزاي؟!

- مش عاجبك إني بنتك، خلاص أنا بنت إسراء.

- اوعي تقولي اسمها على لسانك تاني.. ما تحاوليش تقنعيني بالهبل دا، بنت إسراء ضاعت أو ماتت الله أعلم.

- بنت إسراء اتخطفت.. حقك ما تصدقنيش، ما أنت بمجرد ما ورثت من أم نازلي مراتك ظهرت واحدة بتقول لك إنها بنتك، بس ما تخافش أنا ما آخدش منك جنيه ولو هموت عليه.

- أنتِ عرفتِ حكاية أم نازلي إزاي؟! اتكلمي بقى بدل ما أدفنك مكانك.

- مش بعيدة عليك تعملها عادي!!

- تمام.. تعالي نفترض إنك بنت إسراء.. بس إزاي الكتاب دا بينتهي بموت إسراء وهي حامل؟!

- أنت عارف كويس إن دي مش نهاية الحكاية واللي كان مصبرك طول الفترة دي إنك شايف حاجات في الكتاب غير اللي حصلت في الحقيقة.. زي إن والدة نازلي ما اتجوزتش عيل صغير وخد فلوسها زي ما مكتوب في الكتاب، وزي إنك يومها أنت وطنط هند أنقذتم ماما في المستشفى، بس بالنسبة لي ماما ماتت اليوم دا، يوم ما فكرت تسامحك وترجع لك، يوم ما فكرت تتحدى أمك وتقرر تحميني رغم كل التهديدات اللي انتهت بخطفي، القرار اللي أخدته أمك بعد ٧ سنين من ولادتي، مش قادرة أفهم إيه اللي صبرها كل دا، ما كانت موتتني وقتها وخلصت.

- أنتِ عارفة أنتِ بتقولي إيه؟! أنتِ اتخطفتِ عشان أمك كانت بتغير منك وبتكرهك، أو بمعنى أصح هي اللي اتخلت عنك وسابتك في الشارع لوحدك و عشان كده عملتي الحادثه اللي معرفش انتي خرجتي منها ازاي .

- دا الكلام اللي أمك أقنعتك بيه.. أنا هحكي وأنت هتسمع حتى لو مش هتصدقني، بس لو رحت سألتها هتقول لك إني مش بكدب.

- اتكلمي.

- حاجة مقرفة أوي إني أعاتب حد زيك، بس أنا عايزة أخرج من كل القرف دا من غير ما حد يفضل يدور عليَّ ولا يبعت حد يدور عليَّ.

- مين اللي بيدور عليكِ؟!

- اللي خطفتني زمان.. جدتي.. الست اللي مش فاكرة شكلها أصلًا بس فاكرة نبرة صوتها اللي رعبتني لسنين اللي خلتني ٢٣ سنة من عمري نايمة مغمضة عين ومفتحة التانية، نبرة صوتها وتهديداتها اللي عشت عليهم سنين وكأني مجرمة أذنبت يوم ما اتولدت، لأنها رجعت وجمعتك أنت وماما تاني لسبع سنين، فضلت تعمل بينهم مشاكل لسبع سنين، أمي اتعاملت أسوأ معاملة، حتى لما حملت تاني قبل لما تقول لك حتى أمك نهت كل حاجة وخلصت من أخويا أو أختي، ولما أمي استحملت كل القرف دا ما كانش الحل غير إنها تطلعها مهملة وبتكره بنتها وضيعتها و سابتها في الشارع لحد ما عريبه شالتها و موتتها بس الحقيقه اني أمي مسابتنيش و أنا معملتش حادثه كل ده اتقال، عشان أنت ترمي أمي زي ما هي رمتني، وكأنك بتجيب حقي بس أنت كنت بتدبحني، تعرف كدا؟!

أصل لما أكبر وأعرف إن أمي اترمت بهدوم البيت في الشارع وهي ميتة من الرعب عليَّ، وأنت بتتخلى

عنها وأنت عارف إنها ما لهاش حد يبقى أنت كدا بتدبحني، بتشيلني ذنب حاجة ما عملتهاش.. فترة وأمك سابتني، ما هانش عليها تقتلني فرمتني في الشارع، ولقاني راجل ابن حلال، طبعًا أنت الكلمة دي ما تعرفش معناها إيه.. المهم إنه فضل معايا لحد ما رجعني لأمي، ومن هنا بعنا الشقة بتاعت تيتة بس مش بمزاجنا، لا بأمر من أمك إننا ما نرجعش القاهرة أبدًا، ورحنا إسكندرية عند خالتي أميرة اللي ما صدقت وخدت تمن نصيبها في الشقه ومشتنا من شقتها، ورجعنا ما عندناش حد، حتى طنط هند كانت رجعت وسافرت لجوزها تاني.

أنا عشت طول عمري من غير أب يسندني ويحميني، بيتنا كان من غير عمود، كنا بنام مرعوبين ليقع علينا في أي وقت، بيتنا كان من غير راجل، وبقت أمي اللي بتقول «إنها بتكرهني» هي الأم والأب والصاحبة والممرضة والمدرسة والخالة والعم والأخ والأخت، كانت كل حاجة، الست اللي أنت بتقول «إنها بتكرهني» دي كانت هي عمري، كانت أيامي، كانت هي ضهري، عارف يعني إيه؟! أمي كانت كفاية آه، بس أنا عشت مش عارفة يعني إيه بابا زعق لي، بابا قال لي ما تتأخريش، بابا خرجني، بابا جاب لي هدية عيد ميلادي.

أنا عشت أسمع عنك بس من غير ما أشوفك، كبرت على حكايات ماما عن البطل الخارق اللي حول حياتها لجنة، البطل اللي مات بسبب موقفه النبيل، البطل اللي مات وهو بيدافع عن بنت مسكينه.. كل لما كنت أشوف أب مع بنته كانت تقول لي افرحي وافتخري أنتِ أبوكِ بطل، وزي ما هو وقف مع الغلبانة ربنا هيبعت اللي هيقف معانا.. ما هي ما كنتش تعرف إني قريت مذكراتها من وأنا في إعدادي، مذكراتها اللي كتبت فيها الحكاية الحقيقية، اللي كتبت فيها ملايين من جمل العتاب اللي بتنهيها بـ «هو جزاتي يعني إني حبيتك» وملايين من كلمة «وحشتني يا عادل».

وعادل فيين بقى؟! عادل في حضن مراته وعشيقته، عادل اللي نسي إسراء في يوم وليلة وراح لنازلي وكريمة.

تكلم وهو يمسح الدموع التي تنهمر على وجهه:

- لا كله إلا دي، اتهميني بأي حاجة إلا إني نسيت إسراء.

- مش هصدقك، يمكن ماما هتصدقك بس أنا مستحيل.. مش قادرة أفهم ليه؟! ليه بتصدقك؟! ليه بتحبك؟! بجد لييه وإزاي بعد ما عملت كل دا فيها؟! أنا ما فهمتش كل دا إلا لما قابلت مراد وحبيته ولقيت نفسي بستحمل كل حاجة بيعملها تحت مسمى الحب، استحملت ضرب وإهانة وإهمال لحد ما قتل ابني اللي كان جوايا.. وقتها عرفت إني زيي زي ماما، وإني لو ما مشيتش هبقى نسخة تانية منها وهخلف طفل يكون ذنبه إن أبوه راجل مستهتر وجبان، زي ما كان ذنبي إني أبويا يكون أنت.. قفلت كل حاجة وحاولت أبدأ حياة جديدة، بس أمك ما استمحلتش تشوفني كويسة.

رجعت تاني أحس إن فيه ناس ماشية ورايا، رجعت أشوف الرجالة أم بدل سودا، الرجالة اللي راقبونا أنا وأمي لوقت طويل، عرفت إنهم تبعها، رجعت لنفس الرعب ورجعت أترعش لما أحس بحد منهم بيقرب عليَّ، رجعت لكل حاجة بس ما لقتش اللي يحضني زي ما ماما كانت بتعمل، وزمان ما كانش قدامي إلا مراد اللي أروح له، وصلت لأني بروح للإنسان اللي بقيت بخاف منه عشان يحميني من الناس

اللي بترعب منهم.. بس طلعوا الرجاله أمر بدل سودا جايين يبعتوا لي رسالة بعنوان:

«أنا بموت يا بنتي.. عايزة أشوفك لآخر مرة يمكن أعرف أخليكِ تسامحيني»

أسامحها.. على إيه؟! على كم الدمار اللي اتدمرته؟! على خوفي من كل الناس ومن كل حاجة؟! أنا عشت عمري خايفة، الإحساس اللي ما حدش بيقدر يستحمله لساعات أنا استحملته لسنين، الإحساس اللي أنا حاولت أحطك فيه ٦ شهور بس، يعني نص سنة، أنا عشته ٢٣ سنة.. روح قول لها إني لو موتها بإيديا هموتها بدون تردد.

- خلاص خلاص يا حور مش قادر اسمع حاجة تاني

- لسه فاكر اسمي.. طب افتكر دي كمان إن اللي أنت مش قادر تسمعه أنا عشته.. كل دا ما كانش هيحصل لولا الهانم والرجالة اللي بعتتهم عشان ترجعني لنفس التوتر والقلق والخوف، تصدق الموضوع بقى يضحكني أكتر من إنه يخوفني يعني، حقيقي مش فاهمة جايبة الجبروت دا منين والجرأة دي كلها وبتقول لي سامحيني.. أسامحها ليه؟! هاا؟! عشان تموت وما تتحاسبش؟! إزاي أعمل كدا وأنا مؤجلة انتقامي للآخرة عشان يبقى انتقام يليق بيها.

- أقسم لك بحياة إسراء، أنا ما كنتش أعرف كل دا.

- حتى دي ما تقدرش تقسم بيها لأن إسراء ماتت.. ماما ماتت يا بابا.

- ماتت!!

- ماتت وسابتني أتعرى قدام الناس وكأني مش لابسة حاجة وعيون الناس مش سايباني، ماتت وهدت حيطان البيت وهي خارجة منه وبقيت أنا مكشوفة.. بقى بيتي من غير عمود ولا حيطان.

- هو أنتِ ممكن في يوم تسامحيني يا حور؟!

- مستحيل.. يمكن ناس تشوف إني ظالمة وإني المفروض أسامحك، أصل أنت ما عملتش حاجة، بس هي دي المشكلة؛ إنك ما عملتش حاجة، ما عملتش حاجة عشان تلاقيني، ما عملتش حاجة عشان تحمي ماما، ما عملتش حاجة عشان طنط كريمة، ما عملتش حاجة عشان جوازة أمنية بنتك تكمل.

- كريمة وأمنية.. أنتِ عرفتِ منين حكاية كريمة.. على فكرة ابن كريمة مش ابني.

- مش بقول لك أنت كنت مطمن عشان شايف إن الكتاب فيه حاجات مش حقيقية، بس هي دي الحقيقة اللي أنت بس ما تعرفهاش.

- يعني إيه؟!

- يعني عمرو ابنك.. أنا النسخة التالتة من الكتاب، وعمرو هو النسخة التانية من الكاتب اللي اتبعتت لك.

طرق الباب ثم فتح الطارق دون أن يأذن له.

- تعالى يا عمرو سلم على بابا.

- بابا!! ما أعتقدش الكلمه دي تتقال للراجل دا.. بصراحة أنا مش زي حور ومش عندي كلام كتير أقوله لأني ما حصليش اللي حصلها، أنا اتربيت في بيت ناجح مع جوز أم بطعم أب وسند، كبرت وحلمي إني أخليهم فخورين بيَّ زي ما أنا طول عمري فخور بيهم، وبصراحة مفيش في حياتي مكان ليك ولا لبنتك اللي مؤخرا عرفت إنها أختي، واللي برضه مالهاش مكان في حياتي لأني معنديش غير أختيين؛ حور بنت طنط إسراء ورشا أختي من أمي وبابا هلال.

- وهنا نيجي للنسخة الأولى، مراد جوزي اللي قرر ينتقم منك لمراته وعمرو ابن خالته.

أمسكت هاتفها ووضعته أمام فمها وهي تقول:

- مستني إيه ما تدخل يا مراد.

فتح الباب ودخل مراد وهو يبتسم:

- مش قلت لك بداية الكتاب دا سبب معاناتك ونهايته سبب معاناتها هي.. بس أنا زي ما نفسي أوقف تعبها ومعاناتها هوقف قلقك ومعناتك.. أنا مين أنا ابن هند صاحبة إسراء أم حور، وأنا برضه ابن هند أخت كريمة أم عمرو.. قد إيه القدر غريب إنه جمعني بيك من كل الجهات، وفي نفس الوقت أنا مراد اللي كتب قصة دكتور نفسي.. أعتقد إن فضولك لسه ما انتهاش زي إني إزاي عرفت أول تلات قصص وآخر تلات قصص.. الأولي حكايتي مع حور، والتانية حكاية عرفتها بتفاصيلها من خالتي كريمة، والتالتة بقى مفاجأة، اللي هي أجهزة، بصراحة خدت مني وقت ومجهود وتعب يعني إني أدور على واحد وأدخله السجن، ويكون اللي جوز أخت مراتك مسئول عنه وأقنعه إنه الراجل دا مريض عشان أنت تيجي وتسمع القصة اللي جه من الفضاء أو بمعنى أصح من وحي خيالي، وبعد فترة أهرب الراجل دا وأقنعك إنه اختفى وإن ما حدش يعرف أي حاجة غيرك، عشان لما تقرا القصة ما تصدقش نفسك، أما القصة الأولى من التلاتة اللي في الآخر هي قصة رشا أخت عمرو، اللي بطبيعة الحال مش حقيقية وجت تلعب معاك شوية اصل نفسها تمثل ف حفظتها السيناريو بس طلعت فعلا موهوبه، والقصة التانية اللي ما كناش هنعرفها لولا ممرضتك القمر.

- ما تتلم يا مراد دي بقت تبعي خلاص.

- هو أنا قلت حاجة يا ابن خالتي، أنا بس بعرفه عرفنا حماته منين، والأخيرة مذكرات طنط إسراء وجِّبت معايا فيها، والحقيقة أنا ما كتبتش فيها كلمة، كلها مذكرات طنط إسراء حتى هتلاقي تفاصيلها قديمة.. وأنا كدا وجِّبت معاك للآخر، ابعد عن عيلتي لأني والله هأذيك، بس أنا لسه عامل حساب إنك أب لأغلى اتنين في حياتي، غير كدا والله ما كنت أنت والست الوالدة لسه بتتنفسوا لحد دلوقتِ، صدقني أنا فكرت أقتلك ومش بقولها تهديد، بس حسيت إنك هترتاح لو مت كدا، حسيت إن عقابك اللي بجد إنك تعرف أنت مين وعملت إيه، أنت مش بس أذيت طنط إسراء وخالتو كريمة، أنت أذيت حور وعمرو، حتى أمنية بنتك، أنت أذيت كل اللي حواليك ومع ذلك لسه عايش ومبسوط.. أنا حبيت ألعب مع أعصابك، المرة

اللي جاية هتبقى مع بناتك أو طنط نازلي.

- كفاية كدا يا مراد.. يلا يا حور.

***

أوقف مراد السيارة بعد أن مر من الباب الكبير ليقف أمام البيت ويخرج معه كل من عمرو وحور ويقفوا أمام الباب الخشبي، لتفتح لهم امرأه في أواخر العقد الخامس وهي مبتسمة.

- عملتوا إيه؟!

مراد: يا ماما استني ناخد نفسنا حتى.

- اتكلمي أنتِ يا حور.

حور: خلاص يا طنط هند الكابوس خلص.

عمرو: هنفضل على الباب كتير عديني يا خالتو.

دلف الجميع إلى الداخل واستقل كل منهم على مقعد وبدأوا بسرد تفاصيل ما حدث.

هند: حق سكوتك رجع يا إسراء.

ناجي: بصراحة أنا شايف إنكم ذودتوها، الراجل مهما كان أبوكِ يا حور، حرام عليكم.

مراد: حرام إيه يا بابا، دا راجل واطي.

حور: حراام.. هو يعني اللي حصل لي ما كانش حرام؟! وموت ماما مقهورة ما كانش حرام؟! وحق إني أعرف إن بالصدفة إن ابن خالة جوزي يبقى أصلًا أخويا دي مش حرام؟! تخيل كدا يا عمي لو كانت قصة افتكريني دي حقيقة، وكان مراد شخص مش كويس وطنط هند كانت بتكرهني، تخيل لو دي كانت حياتي بعد كل اللي شفته.. أنا بحمد ربنا كل دقيقة إنه اداني شخص بيخاف عليَّ أكتر من نفسه، شخص قدر يتعامل مع كل الكلاكيع اللي جوايا ويحاول يفكها ويرتبها، تخيل كنت هعيش تعيسة إزاي لو كان مراد إنسان وحش.

ناجي: لا يا حور، ربك عمره ما سابك، والدليل إن يوم ما قلبك دق كان لابن الست اللي عمالة تدور عليكِ، الست اللي كانت نفسها تلاقيكِ أنتِ وأمك، ويوم ما دخلتِ العيله ربك حب يجمع اللي افترقوا من وهما في اللفة وجمعك بأخوكي.. يا حور أنتِ خدتِ عوضك تالت ومتلت، أنت ربنا جمعك بعيلة بتحبك بجد، عيلة أنتِ كمان نورتِ حياتهم، عارف إنك تعبتِ في حياتك، بس دا وقت راحتك، وأنتِ مش هترتاحي إلا لما تصفي وتسامحي، حتى لو هتسامحي بينك وبين نفسك.

كريمة: الوقت هينسيكِ يا بنتي.

عمرو: لا يا حور ما تسامحيش، أنتِ حقك ما تسامحيش، ولو فكرتِ تسامحي يبقى تقوليها في وشهم وفي كل الحالات احنا معاكِ.

حور: أنا عايزة أسامح عشان لما أغلط ابني أو بنتي يسامحوني.

هند: تربية إسراء.

وضعت حور كلتا يديها على بطنها وهي تقول:

- عشان كدا هسميها إسراء.

هند: مرااد...

مراد: هي دي مفاجأتنا اللي قلت لكم عليها، إسراء مراد.

-كأن بعد كل نهايه يظهر النور .. ضوء خفيف يبدأ يكبر و يوضح و يتشكل في انسان .. انسان يداوي و يشفي وجع سنين انسان وجوده راحه و بعده وجع .. انسان يلمس جرح مفتوح و يعقمه و يخيطه لحد ما يتقفل .. انسان يزرع ورده جو الجرح .. و حقك دلوقتي تحصد الورده اللي زرعتها يا مراد

تمت بحمد الله

شارك سطورك مع العالم

01122380443